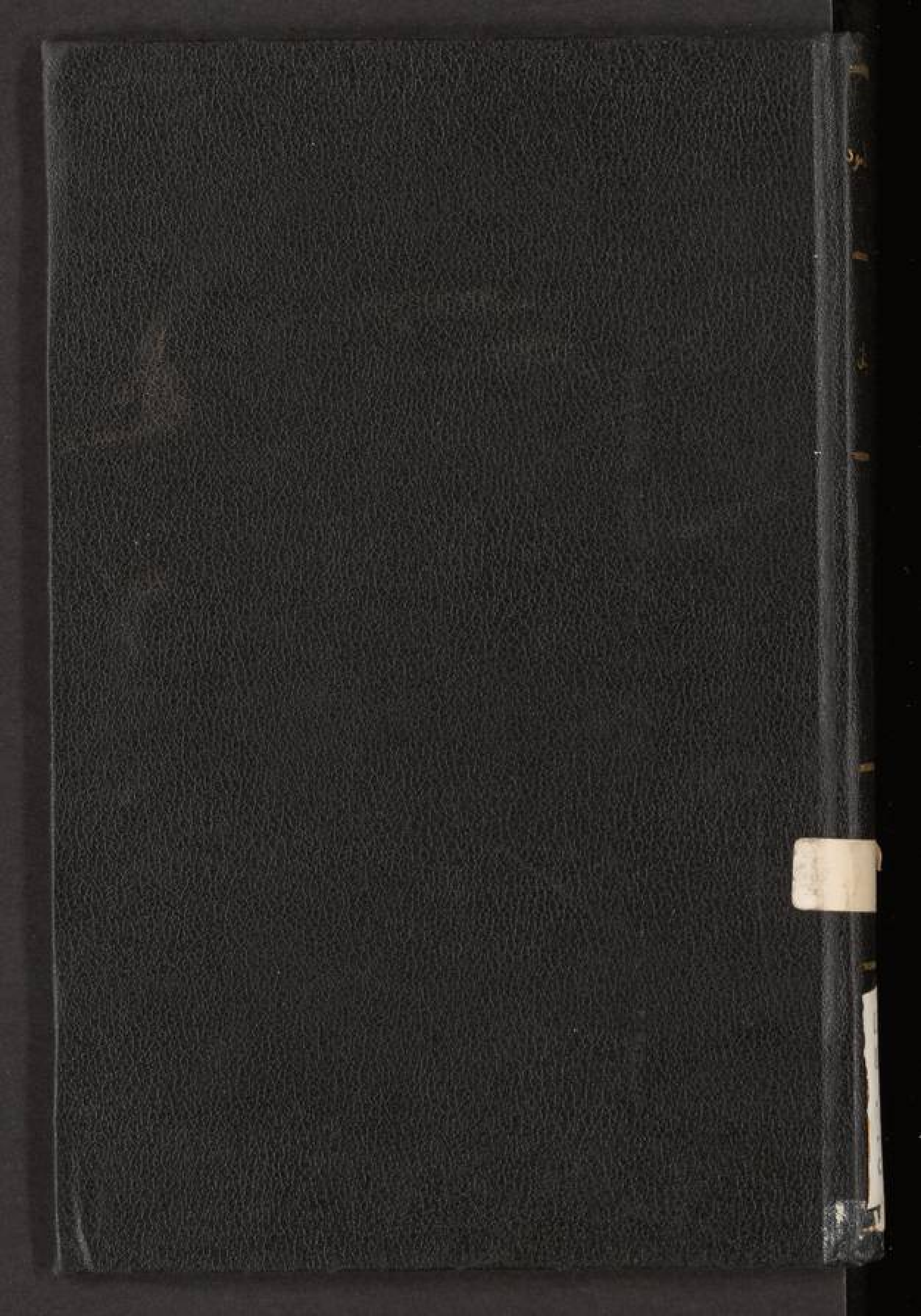
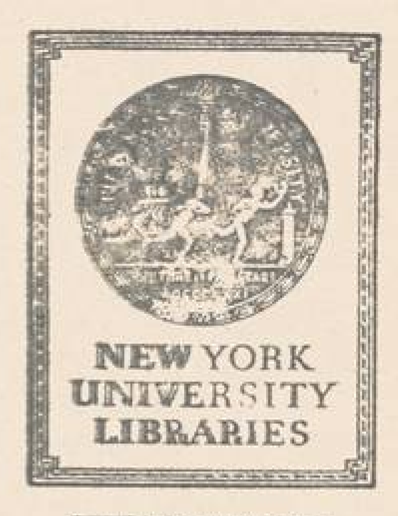
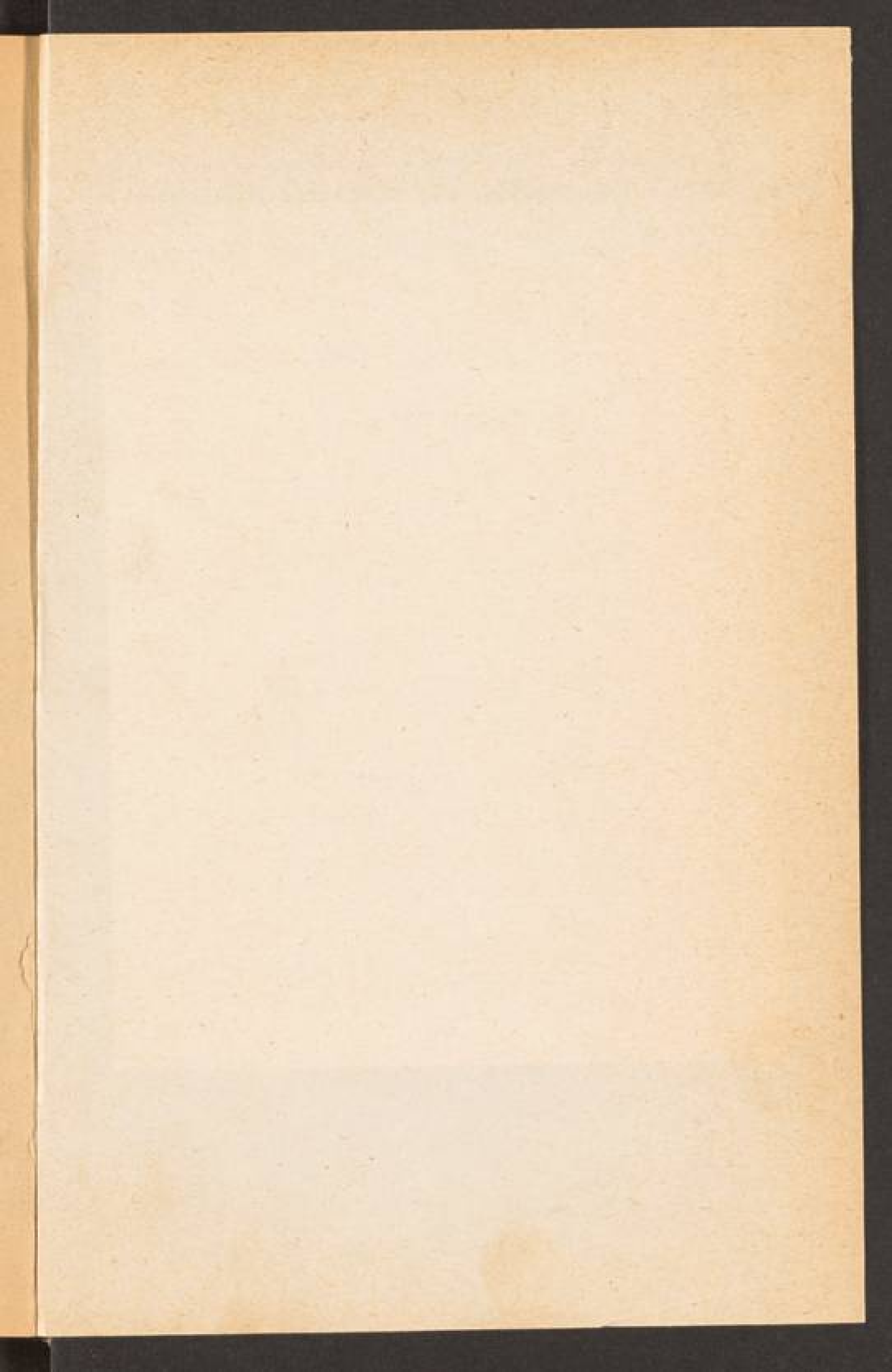





NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

DATE DUE



كتاب

ذخائر لبنان

تأليف

عزتلو ابرهيم بك الاسود

طُبع في المطبعة العثمانية في « بعبدا * لبنان »
سنة ١٨٩٦

مقدمة

خير ما في استطاعة كاتب ان يهديه الى قومه من ثمرات قلمه كتاب يضمنه شيئاً من بيان حال بلادهم ماضيها وحاضرها وآثار العمران فيها في كل زمان وحال من عمَّرها والنهج الذي نهجوهُ في تعميرها حتى يكون لهم بذلك سفرٌ يجتنون منه لمستقبلهم ما يصلح به الحال ويحسن المآل لان خير العلم الذي ينتفع به المرء انما هو العلم الذي يبدأ به بنفسه وبقومه والثمرات التي يجتنيها من مثل هذا العلم لا يتأتى له اجتناؤها من العلم بغيره من بقية الاقوام اذ لكل قوم في عاداتهم واخلاقهم ومشاربهم وموقع البلاد التي استوطنوها وطبيعة تربتها وماءها وهواءها من المميزات ما يجعلهم في بعض الشؤون صالحين لما لا يصلح له غيرهم حتى يكاد يكون لكل قوم تربية خاصة بهم لا تنطبق على شؤون غيرهم كل الانطباق

فالهدية التي رأيت خيرها في إمكاني ان اهديها الى اللبنانيين ابناء وطني العزيز سفرٌ أضمنه ثمرات بحث الباحثين ونظر المحققين في احوال جبل لبنان وما طرأ عليه من طوارىء الحدثان واضم الى ذلك كل ما عنَّ لي من الخواطر ووصلت اليه من المعلومات عن هذا الجبل القائم عند البحر المتوسط كخطيب كلل الشيب هامته ليحدث عن غير الدهر فيه وفي ما حوله من السهول المطمئنة والآكام والروابي وهذه كلها مصغية اليه الا البحر كأنه عاهد الدهر على كتمان الاسرار فجعل يقطع على الخطيب حديثه فيلطمه بامواجه فيدفعها الجبل باسناده فترتد عنه ممزقة من الغيظ من عناده

في افشاء الاسرار من مفاعيل الاقدار

الأ ان لغة هذا الخطيب القديمة لغة الطور الحجري او طور الظران التي تنبئنا عن سكان هذا الجبل ايام كانت شفار الانسان ومخارزه ومقاشطه ومجارفه وغير ذلك من ادواته من صوان ومن الخزف صقيلاً او غير صقيل لم تكشف لنا اسرار جميع ذلك الطور اذ لم يتصل الينا من تلك الادوات وغيرها من الآثار الناطقة باحوال الناس يومئذٍ من مثل عظام الحيوانات التي كانوا يصيدونها اكلاً لهم وعظامهم ايضاً الا المتحجرات التي اكتشفها علماء طبقات الارض من الغرباء في ما اهتدوا اليه من مغاور لبنان وكهوفه والغريب اعمى ولو كان بصيراً فبقي لذلك كثيرٌ من تلك الاسرار مدفوناً في قلب تلك الآثار المستورة

واما لبنان بعدَ انقراض ذلك الطور وازدهاءه بالطوائف التي عمرته الى ان سقطت صيدا في منتصف القرن الثالث عشر فتاريخه لا يعلم منه الا ما ورد في التوراة وما بقي من اقوال المورخ الفينيقي البيروتي سنكنيتن والمؤرخ فيلون الجبيلي وما اذاعته الخرافات والتقاليد

ثم ان تاريخ لبنان بعد سقوط صيدا تغشاه ظلمات من الجهل كثيفة وغاية ما ينكشف منه للباحث عن حقيقته ما يستخرج من تواريخ الاقوام التي بلغت بفتحها هذا الجبل او الاقوام التي لجأت اليه فراراً من وجه الاعداء لانه كان في الغالب اما ملجأ الفارين او محط رحال الفائزين

ولم يذكر شي من تاريخ هذا الجبل ذكراً مقصودا بنفسه الا التاريخ الحديث منه ومع هذا فان الذين توخوا ذكره من الافرنج لم يكونوا في مأمن من السقطات الناشئة عن جهل لغة اهل البلاد التي كتبوا عنها وطباعهم

واخلاقهم وعاداتهم والذين توخوا ذلك من اهل لبنان نفسه لا نبرئهم من العيب التاريخي بما هو ظاهر على كلامهم من مسحة التحزب

فالمهمة التي انتدبت نفسي لها باهداء مثل ذلك السفر الى اخواني اللبنانيين ليست ميسورة الاسباب من كل الوجوه وافضل طريق رايت ان انهجه في اتقاء تلك العيوب التاريخية ان اكتب عن كل طائفة من طوائف لبنان راجعاً في ما اكتب الى ما رواه علماءها عنها تاركاً بذلك لنظر المطالعين مجالاً ولحكمهم مقاماً

وقد جعلت هذا السفر جزئين تسهيلا لتداولها

فالمسأول من اهل النظر والتحقيق ان يراعوا ماعرض لي من الصعوبات في التأليف ويقابلوه بالمعذرة



لبنان

لبنان كلمة عبرانية معناها الابيض وهو مأخوذ من بياض الثلج الذي يغشى قممه صيف شتاء وهذه التسمية من قبيل تسمية الشيء بظاهرة من ظواهره كما هو جارٍ في اوضاع اكثر اللغات . فلا شيء يؤثر في نفس الناظر الى لبنان عندما تقع عينه على قممه اكثر من بياض الثلج الذي يغشاها وغالب الظن ان التعليل في هذه التسمية على هذه الصورة انما هو ادنى ما يكون الى الصحة فقد سميت جبال كثيرة باسم (الابيض) لما يكسوها من الثلج مثل جبال حملايا (١) التي هي اعلى جبال الدنيا وكذلك جبل الشيخ لحرمون الكبير من سلسلة جبال لبنان فان تسميته بالشيخ كما قال ابو الفداء انما هي لاكتساء قمته بالثلج كاكتساء هامة الشيخ بالشيب وقد ذهب البعض من المحققين الى أن تسمية لبنان بهذا الاسم مأخوذة من صنف الشجر الموجود في ارضه كثيراً المسمى باللبنى وقال آخرون من كلمة فارسية يقرب لفظها من لفظ لبنان ومعناها فتات الخبز وقيل ايضاً لبياض صخوره الكلسية ولكن هذه الاقوال كلها بعيدة بحسب حكم العقل عن الصواب وما اوردناها الا من قبيل التوسع في التفصيل

---

(١) حملايا كلمة مركبة من لفظتين سنسكريتين معناها موطن الثلج وهي سلسلة جبال في اسيا على حدود الهند من الجهة الشمالية فاصلة بين هذه وتبت

﴿ حدود لبنان ﴾

لبنان يشتمل على سلسلتي جبال على شاطيء البحر المتوسط تمتدان من الشمال الى الجنوب وهما من حيث الموقع و بعض الاحوال الطبيعية لا يصح فصلهما الى جبلين منفردين وخصوصاً لان التاريخ القديم يقضي باعتبارهما جبلاً واحداً ولكن لما كانت بغيتنا من هذا الكتاب مقصورة على القسم الغربي وكان لنا من المميزات الطبيعية ما يمكننا من فصلهما فصلناهما الى لبنان الشرقي والى لبنان الغربي كما هو مشهور عند اللبنانيين اليوم ٠ فالغربي تبتدىء سلسلته من وادي قلعة الحصن ودير الحميراء بالقرب من جبال النصيرية شمالاً وتنتهي في وادي الليطاني عند قلعة الشقيف جنوباً واعلى رؤوسه فم الميزاب فوق طرابلس وارتفاعه احد عشر الف قدم ثم رأس صنين وارتفاعه تسعة الاف قدم

واما الشرقي فتسير سلسلته من الشمال على بعد مرحلة من حمص جنوباً بين حسيا وشمسين تجاه اخر جبال النصيرية ثم تأخذ الى الجنوب الغربي وبينها وبين السلسلة الغربية سهول بعلبك و بقاع العزيز وتعرف عند الاقدمين باسماء ثلاثة كيلي سورية اي سورية المجوفة وسورية الثانية وسورية الوسطى واعلى رؤوس لبنان الشرقي جبل الشيخ فوق حاصبيا وارتفاعه عشرة الاف قدم وتمتد من هذا الجبل شعبة الى الجنوب الشرقي ثم الى الجنوب البحت وتنتهي في موضع يقال له تل الفرس

ولو اردنا ان نذكر جميع الجبال التي يتناولها اسم لبنان بحسب

اصطلاح ابناء القرون الأولى و بعض ابناء القرون الوسطى لامتد لبنان الى جبل جلعاد وهو جبل الصلت والى جبل الكرمل وارتفاعه الف وخمسمائة قدم . ولكن غرضنا من لبنان في تأريخنا هذا انما هوما يحده من جهة الشمال جبل تربل فوق طرابلس ومن الجنوب جبل الريحان فوق صيدا ومن الغرب البحر المتوسط ومن الشرق وادي البقاع او سورية الثانية وما زاد على هذا فهوخارج عن حد موضوعنا الآ انا يلزمنا في كثير من الشرح والتفصيل ان نورد هذا القسم متصلاً بغيره مما هو مندرج تحت اسم لبنان بحسب التأريخ القديم لان ابناء تلك القرون القديمة جمعوا في كلامهم على لبنان بين السلسلتين الغربية والشرقية ووسعوا في نطاقهما كثيراً كما سبق لنا ان اشرنا الى هذا فيما تقدم

﴿ سهول لبنان ﴾

يتصل بسلسلتي لبنان ثلاثة سهول فسيحة وهي السهل الممتد من امام جزيرة ارواد الى وجه الحجر شمالي البترون حيث ينتهي بالجبل والجأ في البحر و يعرف هذا الموج برأس الشقعة او رأس النورية ثم يمتدهذا السهل من ناحية البترون الى بيروت على اختلاف في عرضه ثم يتناول الشويفات الفسيحة و يتصل بالمكان المعروف بخلدة على شاطىء البحر فينقطع هنالك قليلاً ثم يبتدىء فيمتد حتى المكان المسمى بالسعديات وراء الدامور فينقطع هنالك ويلبث منقطعاً الى حد القرية المسماة بقصوبة من قرى اقليم الخروب ثم يبتدىء آخذاً بالانفراج قليلاً حتى ما وراء الجية حيث ينتهي في مكان يقال له زاروط ومن بعد ذلك يبتدي من راس الرميلة بالقرب

من بساتين صيدا الشهيرة ثم يجيء بعد هذا قسم من الارض المستغدرة في بعض المواضع منها تمتد على شاطىء البحر الى نهر القاسمية ومن وراء هذا النهر يجيء سهل صور الذي ينقطع عند رأس الابيض وهو على بعد سبعة اميال من صور الى جنوبي الجنوب الغربي ويلبث منقطعاً حتى رأس المشيرفة الذي تشرف منه على سهل عكا المنتهي عند جبل الكرمل والمعروف برج ابن عامر وارتفاعه اربعمائة قدم واما السهل الثاني فهو السهل المسمى بسهل البقاع تكتنفه الجبال من جميع جهاته وفي رأسه من جهة الشمال مدينة بعلبك ذات القلعة الشهيرة وينتهي جنوباً عند جبل الشيخ وطوله نحو سبعين ميلاً وعرضه بين ثلاثة اميال وسبعة ومساحة ارضه اربعمائة الف فدان (الفدان الف وستمائة ذراع مربع) وارتفاعه عن سطح البحر تسعمائة متر

واما السهل الثالث فهو سهل دمشق يمتد من سفح الجبل الشرقي الى بادية سورية وارتفاعه سبعمائة وثلاثون متراً عن سطح البحر

وهذه السهول عجيبة الخصب في تربتها ولا سيما السهل الاخير منها واننا لم نتصدَّ لذكرها مع عدم اختصاص لبناننا اليوم بشيء منها الا لنبين فيما يأتي ان لبنان بعيد العهد في الحضارة

وقبل الانتقال من هذا المطلب مطلب السهول يجدر بنا ان نذكر ما عراها من التغيير والانقلاب وافضى بها الى ما هي عليه الان وذلك على اثر الزلازل الناشئة عما في بطن الارض من الموارج من النيران وعلى اثر ما يحدث للارض من حركات خفيفة بطيئة متتابعة على ممر السنين

اما الزلازل فقد ذكرها كثيرون من المؤرخين الشرقيين القديمين

والحديثين ممن كتبوا في سوريا وقد اهتموا بذكر تلك الحوادث وبالغوا في وصف آثارها مبالغتهم في كل شيء راوه في سنتهم فوق العادة من قحط وجوع وظهور نجوم ذات اذناب وغير ذلك وكثيراً ما شغلهم هول المشهد ورعب الاثر واعتقاد ان ذلك ضربة خفية من يد خفية لا تبلغها نفوس العالم الادنى بمداركها عن استكناه تلك الضربات واننا لنرى العالم منهم بالغاً منه حب البحث عن الحقائق ما بلغ يقف عند حد واقع الحال ولا يتعداه الى التعليل

وقد راينا في العددين ٧ و٨ من مجلة المشرق مقالة للعالم الاب هنري لامنس اليسوعي في «الزلازل في سوريا وبيان نواميسها وسيرها» يتبين منها ما كان لهذه الزلازل من الاثر في بعض الاماكن من تلك السهول مما غير بعض الشيء في وضعها فرأينا ان نلخص منها ما يتعلق بمطلبنا واننا لنأسف كما أسف حضرته على ما فات المؤرخين في اوصافهم المسهبة من مراعاة ما تقتضيه الابحاث العلمية من التحقيق ولكن لا غرو ان نرى مثل ذلك صادراً عن ابناء بلاد المعجزات بلاد قام فيها حول العقيدة الخالصة سور منيع

ان ما يصيب الثغور الشامية من الزلازل جار بين خطين متوازيين على قدر معلوم ثم ينحرفان الى ملتقى واحد عند حلب بشكل زاوية حادة فالخط الاول وهو الغربي يبتدىء عند مجرى دجلة السفلي بقرب ديار بكر ويجري الى الرها (اورفة) فمنبج فحلب فانطاكية ثم يميل الى الجنوب فيمر بساحل البحر الى عسقلان وغزه حيث ينتهي وبناء عليه فان هذا الخط يجتاز جميع ساحل لبنان والخط الثاني وهو الشرقي يبتدىء عند عينتاب

وينحدر مستقيماً نحو الجنوب ويقطع الخط الاول عند حلب ثم يجوز سائراً في وسط وادي العاصي ووهاد بلاد البقاع الى غور الاردن

ففي مواقع الخط الاول من البلاد المجاورة للبحر المتوسط وقع على ما رواه اصحاب الآثار عدة من الزلازل في السنين الآتية للمسيح وهي سنة ١٣١ و٣٦٠ و٣٣٣ و٣٤٠ و٣٨٧ و٤٤٤ و٤٥٨ و٥٢٩ و٥٤٣ و٥٦٠ و٥٨٠ و٥٨٩ و٧١٣ و٧٧٥ و٨٥٣ و٨٥٩ و١٠١٦ و١٠٣٣ و١٠٦٣ و١٠٦٩ و١١٠٩ و١١٢٩ و١١٥٥ و١٢٠٤ و١٢١٢ و١٣٣٩ و١٤٠٢ و١٥٤٦ و١٦٥٦ و١٧٨٣ و١٧٩٦ و١٨٢٢ و١٨٥٩ و١٨٧٢ و١٨٧٣

وحدثت عدة زلازل قبل المسيح منها ما اخبر به سترابون في عرض الكلام على الموقعة التي جرت في سنة ١٤٣ قبل المسيح بين اهل عكة والقائد سريدون اذ قال جاشت مياه البحر بين عكة وصور وامتدت كما في المدّ واغرقت من فرهارباً من جنود سريدون ولما حسرت المياه وجد جيشهم على سيف البحر بين الاسماك الهالكة

ومن اعظم الزلازل الزلزلة التي حدثت ايام يوستينيان الاول في سنة ٣٤٥ واشتهر ذكرها في التاريخ وبقيت آثارها الى ايامنا هذه دالة على ما حدث في بعض الاماكن من تغيير هيئة الساحل قال المؤرخ ثاوفان ان راس الشقعة موقعه بين البترون وطرابلس قذف يومئذٍ الى البحر وصار في مكانه خور واسع واصبحت الطريق شمالي هذا الرأس متعذراً سلوكها واصبح الساحل صخوراً قائمة فوق وجه الماء قياماً عمودياً .

ولا غرو قال الاب هنري لامنس ان حادثاً من مثل ما تقدم ذكره حدث فغير شكل الاراضي الساحلية فانخسفت الارض في عدة امكنة

وساخت ولا سيما في قيسارية وصور وصيدا و بيروت وجبيل والبترون وربما كان ذلك هو السبب المانع من تعيين موقع صور قديماً وموقع صيداء كذلك تعييناً محكما بالضبط والدقة وفي كل هذه المدن يرى عند ركود ماء البحر مآثر جليلة ومباني عظيمة قد غمرتها المياه منذ قرون عديدة ويشاهد عند مصب نهر الكلب آثار مقالع قديمة وهي اليوم تغمرها مياه البحر.

هذا ومن مثل ما اشار اليه الاب لامنس من الآثار الدالة على تغيير السواحل يشاهد كثير كما في الرأس الواقع الى جهة الجنوب من المحلة المعروفة بخلدة وكذلك في الامكنة القريبة من الجية

وفي الخط الشرقي حدثت زلازل كثيرة خص الاب منها بالذكر ما حدث في السنين الاتية ٧٣٨و٧٤٦و٩٩٢ و١١١٤ و١١٣٨ و١١٥٧ و١١٧٠و١٣٠٢ و١٣٠٧و١٦٥٩و١٦٦٦و١٧٥٩و١٨٣٧و١٨٥٤

قال تاوفان ان زلزال ٧٣٨ حل في وادي الاردن وفي البرية الواقعة بين القدس وبحر لوط فدمر غالب اديرة تلك الانحاء

وقال ابن الاثير في تاريخ سنة ١١٧٠ (٥٦٧هـ) ان حدثت في هذه السنة زلزلة لم يرَ الناس مثلها عمت اكثر بلاد الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد وكان اشدها بالشام فخرب كثير من دمشق وبعلبك وحمص وحماة وشيزر وبارين وحلب وغيرها

ووصف كمال الدين المعروف بابن العديم في كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب الزلزلة التي وقعت في سنة ١١٣٨ وصفاً هائلاً وقد يظهر من مفاعيل مرج النيران في بطن الارض في مواقع الخطين فالزلزلة حينئذ تكون اسواء عاقبة كما كان في زلزلة سنة ٨٥٩ (٢٤٥هـ) مما وصفه الطبري

اذ قال كانت في هذه السنة بانطاكية زلزلة ورجفة في شوال تقطع بهـا الجبل الاقرع وسقط في البحر فهاج وغار منها نهر على فرسخ لا يدرى اين ذهب واصاب حمص ودمشق والرها وطرسوس وادنة وسواحل الشـام وارجفت اللاذقية وذهبت جبلة باسرها وحدث مثل هذه الزلزلة واحدة في سنة ١١٥٧ (٥٥٢هـ) خربت منها حماة وحمص وانطاكية واللاذقية وطرابلس و بيروت وصيدا وصور وعكة

واثبت عبد اللطيف البغدادي في كلامه على زلزلة سنة ١٢٠٢ في كتاب الافادة والاعتبار نسخة كتابين وردا من حماة ودمشق يتبين منهما ان تأثرت من تلك الزلزلة قلعة حماه مع اتقانها وعمارتها و بارين مع اكتنازها ولطافتها و بعلبك مع قوتها ووثاقتها وتساقطت عدة مساكن بدمشق على اهلها وان بانياس سقط بعضها وكذلك صفد وتبنين ونابلس لم يبق بها جدار قائم سوى حارة السمرة واما بيت جن فلم يبق منهـا ولا اساس الجدران الا وقد اتى عليه الخسف وكذلك اكثر بلاد حوران غارت ولم يعرف لبلد منها موضع يقال فيه هذه القرية الفلانية وجاء في احد الكتابين : يقال ان عكة سقط اكثرها وصور ثلثها وعرقة خسف بها وكذلك صافيتا واما جبل لبنان وهو موضع يدخل الناس اليه بين جبلين يجمع منه الر يباس الاخضر فيقال عنه ان الجبلين انطبقا على من بينهما وكانت عدتهم تناهز مائتي رجل

وقد سبق لنا ان قلنا ان الزلازل ليست هي وحدها محدثة التغير في سواحل لبنان بل يشترك معها في ذلك ما يحدث للارض من حركات خفيفة بطيئة متتابعة على ممر السنين فقد اثبت العالم الاب غدفريد زموفن

مدرس الطبيعيات في كلية القديس يوسف في العددين ٩و١٢ من مجلة المشرق مقالتين في ارتفاع ساحل بيروت وسوريا انتج منهما ان ساحل سوريا على طول مداه قد ارتفع وان ذلك يظهر خصوصاً من قرب غور المياه في المرافئ القديمة كيافا وصور وصيدا وطرابلس ومن الرواسب البحرية التي ترى الان مرتفعة فوق سطح البحر

وبالجملة فانه مما لا شبهة فيه ان جبلاً قائماً مثل لبنان يناطح بشماريخه السحاب كبرياء فتقشر جلده بقذائفها من ثلوج وسيول جارفة · وينظر الى البحر عند مواطىء اقدامه ازدراء · فيرغي البحر ويزبد عليه ويصدمه بامواجه صدمات الابطال المغاوير · وينظر الى ما حوله من السهول الراقدة المطمئنة فيتلظى قلبه بنيران الحسد لها على سكينتها جبلاً مثل ذلك لا بد ان يعتريه هو وما حوله التغيير والتبديل على ممر السنين

﴿ تربة لبنان ﴾

ان تربة لبنان هي في الغالب طبقة رقيقة مرتكزة على الصخور واما في الوديان فسميكة لتراكم الاجراف فيها ولما كانت الارض في لبنان شديدة الانحدار عمد اهله الى معالجتها بالجدران صوناً لترابها من السيل وهنا يجمل بنا ان ننبه اللبنانيين الى أمر لا يخلو من الفائدة لو وضع موضع العمل به · ذلك ان نترك الارض الشديدة الانحدار بدون حرث منبتاً لصنوف الاشجار التي تقوى على النمو فيها بدون حرث تربتها مثل اشجار الآجام المتروكة وشأنها من النماء الطبيعي فان ذلك اصون لترابها من الجدران وفي هذه الاشجار منفعة اعظم من غيرها سواء كان من جهة صون التراب

لتماسك اجزائه بما يشتبك فيها من الجذور او كان من جهة الريح فان ريعها بطول المدى يجيء اكثر من غيرها واما لو حرثت هذه الارض فانها لا تكون في مأمن من جرف السيول مهما عولجت بالجدران فان المجروف من ترابها بمياه السيل يذهب من خلال الجدران هذا اذا لم يثغر السيل نفسه تلك الجدران ويذهب بترابها ففي كل حال لا يمر بتلك الارض المنحدرة زمن حتى تمسي فاقدة لما عليها من تلك الطبقة الترابية وينكشف من تحتها صخور لا تنبت شيئاً وقد ذهبت الغرة ببعض الناس الى ان عمدوا الى شيء من اراضي تلك الآجام على ما هي عليه من الانحدار فقطعوا اشجارها واستأصلوا أرومها وجعلوا يحرثونها ويزرعونها مغترين في اول الامر بخصبها بسبب المتناثر من اوراقها طبقة فوق طبقة فأدى بهم الامر الى ان رأوا تلك الارض بعد مدة من الزمان فاقدة لما كان عليها من التراب غير صالحة للزرع ولا للغرس مع انهم لو ابقوها عامرة باشجارها لانتفعوا بها كثيراً اما نرى ان اللبنانيين كانوا في القرون الغابرة مشهورين بتجارة الاخشاب من الارز وغيره مما كان يستعمل في اصطناع السفن والمباني ولكن ربما كانت الحاجة اضطرتهم في ذلك كله الى اجتناء الثمرات الدانية وان قل مقدارها والتغاضي عن الثمرات القاصية وان كثر مقدارها

والارض اللبنانية في كل حال كريمة صالحة للنمو بما يدخل في تراكيبها من الجواهر والاجزاء العضوية الصالحة لغذاء النبات ونموه وهذه الارض تختلف الوانها فمنها بيضاء وحمراء وسوداء وما يلامس الصخور منها يكون عذياً تزداد صلاحيته للانماء بعذاوته المكتسبة من ملامسة الصخور وبما

يدخل في تراكيبه من المتحات من بعضها لان هذه الصخور لا تخلو ان تكون اما من الطباشيري او من الجصي او الصدفي او الرملي او الصواني وبالجملة فان ارض لبنان جيدة كثيراً وان كان المستعمل منها قليلاً بسبب كثرة الصخور فيها واللبنانيون لولا اقدامهم ونشاطهم لما تيسر لهم ان وسعوا في نطاق المستعمل من اراضيهم حتى بلغ ما هو عليه الان وذلك بازالة تلك الصخور وتغشية البعض منها بطبقة ترابية · ولا غرو فان افتقارهم الى الارض وقلة موارد الاسترزاق من دونها اوجدا فيهم ذلك النشاط فان المرء ابن الحاجة

هواء لبنان

لبنان واقع بين الدرجة الثالثة والثلاثين من العرض الشمالي والخامسة والثلاثين منه ومع هذا فانه يختلف كثيراً من حيث جودة هوائه عن الاماكن الواقعة في هذا العرض نفسه مثل شمالي افريقيا ومكسيكو والهند وان الانسان ليجد فيه من كل صنف من صنوف الهواء ويتخير منها ما يوافق مزاجه فللبنان في هذا مزية على سائر البلدان اذ الحرارة فيه تختلف درجاتها بين سواحله واعاليه اختلافاً منسوقاً بحسب درجات الارتفاع لكل مائتي متر من العلو نقصان درجة واحدة من الحرارة وانك لو سرت من السواحل المنبسطة عند اقدامه الى هامته لتيسر لك بسيرة يوم واحد ان تجتاز جميع تلك الدرجات اذ لو ركبت صباحاً من سواحل شماليه وحر الصيف بالغ معظمه ٨٥ درجة من مقياس، فارنهيت لما غربت عنك الشمس الّا وانت على قمته ترشف الحياة من لطيف نسماته وتعلل بصرك ببياض ثلجه · وبالجملة فان هواء لبنان ملائم للأبدان على اختلاف امزجتها حتى

اصبح يضرب المثل بجودته والامراض المزمنة يكاد لا يعرفها اللبنانيون الا البعض من سكان سواحله الذين يصيبهم الالتهاب الشعبي المزمن على ان هذا الالتهاب لا يعزى السبب فيه الى الهواء اكثر مما يعزى الى التفريط في الوقاية من الاعراض والافراط في استعمال التبغ ونحوه الى حد ليس عليه من مزيد ٠

اما فصول السنة فاربعة واضحة بميزاتها و يظهر وضوحها كثيراً في الاماكن العالية من الجبل والاماكن الوسطى ٠ وقبل ان ننتقل من هذا المطلب الى مطلب غيره من مطالب جغرافية لبنان نرى من الضرورة ان نذكر امراً يتعلق بالهواء عظيم الشأن ٠ ذلك انه من المعلوم ان الاشجار تؤثر في الهواء كثيراً فمنها ما يفسده ومنها ما يصلحه وذلك بحسبما تتناوله من اجزاء الهواء غذاء لها ففي الغالب تكون الاشجار العريضة الورق اكثر ضرراً من غيرها فشتان بين شجر التوت والارز ومعلوم ان اللبنانيين اولعوا من زمن بغرس اشجار التوت لما لهم فيـه من المنفعة ولعلمهم ان هذا الصنف يلزمه من السماد اكثر من غيره وان الارض التي تحيط بالمنازل في القرى تشتمل على السماد بما يطرح فيها اضطراراً من الحوالك والقاذورات فاكثروا من غرس التوت فيها حتى انهم لم يدعوا منها قيد ذراع بدون ان يظلله هذا الشجر وان كثيراً من القرى فسد لذلك هواؤها بعد ان كان نقياً صافياً

ثم انه لو تيسر للبنان ما تيسر لغيره من البلدان من اسباب التحسين ومكملات العمران واشتغلت به يد الزراعة والصناعة كما اشتغلت بغيره لكان من اجمل البلدان وافضلها فان الطبيعة ما ضنت عليه بشيء من

محاسنها بل سخت عليه سخاء بغير حساب ولكننا مع ذلك لا ننكر ان من نقلد زمام الاعمال فيه من المتصرفين الكرام قد بذلوا ما في وسعهم من تحسين الحال بتمهيد المسالك وانشاء المعابر والقناطر لانهاره وسواقيه كما سيتبين ذلك في بابه

﴿ نبات لبنان وشجره ﴾

تختلف المنابت في لبنان كثيرًا بحسب اختلاف طبيعة الارض فيه ودرجات الحرارة حتى يكاد لا يوجد صنف من اصناف النبات الا وله منبت صالح لغذائهِ ونموه من منابت ارض هذا الجبل ومن اجل ذلك كثرت اصناف النبات فيه كثيرًا فان اثنين من علماء النبات وهما اهرنبرج وهمبريخ قد تيسر لهما في مدة شهرين ان جمعا منه اكثر من الف صنف ومائة صنف وقد علمنا ان غيرهما من المشتغلين بجمع اصناف النبات مثل الدكتور بوست والمسيو بلانش قنصل فرنسا في طرابلس سابقًا قد جمعا كثيرًا من اصناف نبات لبنان كما يتبين ذلك من كتاب احدهما الدكتور بوست المسمى (نبات سورية وفلسطين والقطر المصري وبواديها) والسبب في هذا الاختلاف طبيعة الارض من جهة واختلاف درجة الحرارة من جهة اخرى وقد قلنا ان طبيعة الارض في لبنان تختلف اختلافًا واضحًا يعرفه خاصة اللبنانيين وعامتهم حتى اصبح من المتداول على السنتهم ان بين قيد كل شبر من الارض وشبر آخر طبيعة اخرى وكذلك درجات الحرارة فيه اذ يوجد فيه من المنابت ما يصلح لنبات كل منطقة من مناطق الارض ذلك فضلاً عن جودة هوائه وما يقع من الندى ليلاً مما يلائم

النبات في نموه بتلطيف سورة القيظ وبصون مائية النبـات من الجفاف بالتعويض عليه من فروعه عما يفقده من جذوره بنقص المائية من الارض لشدة الحرارة وتسلط الهواء الجاف وحسبنا دليلاً على هذا ما يشاهد من الفرق في نمو الاشجار بين عام يكثر فيه وقوع الندى ويقل الهواء الحـار الجاف وبين عام آخر يقل فيه الندى ويتسلط هذا الصنف من الاهويّة

ان ما اشتهر به لبنان من الاشجار في القرون الغابرة انما هو الارز وهي كلمة معناها في العبرانية متين ومادتها في العربية من معانيها الثبات وقد ورد ذكره في الكتاب المقدس في عدة مواضع ومنه بني قصر داود وهيكل سليمان ومنه خشب الهيكل الثاني الذي جدد في ايام زربابـل وكان من هذا الصنف من الشجر في ايام سليمان آجام كثيرة اذ قيل ان سليمان شغل ثمانين الف رجل بقطع الخشب منها غير انه لم يبق منها الى الان الا شيء يسير وهو أجمة فوق قرية معاصر الفخار تشتمل على مئتين وخمسين شجرة تعرف عندهم وعند اهل القرى المجاورة لهم باسم (الابهل) وأجمة كبيرة فوق قرية الباروك وأجمة فوق قريه عين زحلته وهذه كانت قد أُحرقت لاستخراج القطران منها ثم عادت فنمت وهي اكبرها شجراً وواحدة بين افقا والعاقورة وواحدة بالقرب من بشري يقصدها السياح من كل صقع لفخامة اشجارها التي يبلغ عددها ستمائة وثمانين شجرة بين كبيرة وصغيرة قائمة بسفح الجبل في مكان يرتفع ستة الاف قدم عن سطح البحر وكانت الكبيرات منها في سنة ١٥٥٠ بالغة ٢٨ شجرة واما الان فعددها ١٢ شجرة وبعض الناس يحسبها مقدسة وقد بني معبد الى جانبها وفي قلب شجرة منها معبد لناسك وقد اقام لهذه الاجمة المغفور له رستم بـاشا ثالث

متصرفي لبنان سوراً ٠ وأجمة اخرى بين قرية تنورين وبشري صغيرة الشجر وعدد شجراتها نحو عشرة الاف

والارز من الفصيلة المخروطية وهو عدة انواع اصلها نوع الارز اللبناني وهو افضل الانواع يبلغ طول الساق منه اكثر من مئة قدم ودائرته عند القاعدة تبلغ من ٢٤ قدماً الى ٣٠

ومن اشجار لبنان السنديان بانواعه والسرو والصنوبر واكثر ما يكون منـــه في قضاء المتن والشربين والازدرخت والجميز والبطم واللبنى المشهور باستعمال صمغه كاستعمال البخور كما هو وارد في نشيد الانشاد والنخل في سواحله ولا سيا الجنوبية منها وقد كان عند الفينيقيين رمزاً مقدساً حتى انه رسم على كثير من معابدهم مثل قلعة بعلبك وقلعة بزيزا في لبنان وشجر القساس بالسواحل ايضاً ومنه يستخرج الدبق ٠ ومن اشجاره الزيتون والعنب والتوت ويستحصل معظم رزقه من هذه الانواع الثلثة من الشجر ولا سيا التوت منها فان ما يصدر من الحرير في العام تزيد قيمته عن ثمانية ملايين فرنك وينتفع بحطبه وثمره وكذلك بورقه علفاً للمواشي واما الزيت المستخرج من الزيتون فمن اجوده ما يستخرج منه باقليم الخروب من اقاليم لبنان والسبب في جودته طريقة استخراجه وطبيعة تربة منبته فان الارض البيضاء يكون في الغالب زيتها اجود من غيره

ومنها اللوز والجوز واشهره في شمالي لبنان والزعرور والخروب والصفصاف والطرفاء والتين والتفاح والمشمش بانواعه ويستخرج من نوى المر منه زيت والكمثرى والخوخ والدراقن والليمون بانواعه والكرز والدلب والحور والزيزفون واللزاب والدردار والقيقب والقطلب والزمزريق

والخروع والعناب والحناء والسفرجل واكثر ما يكون منه في قضا الكورة والفستق ويطعمون شجر البطم منه والبندق والكستناء والعوسج والميس ويوجد فيه كثير من الغراس والانجم كالدفل والصبير والموز والورد والياسمين والآس وقصب السكر والقصب الفارسي والغزار ويستعمل لتربية دود القز والريحان والوزال والقندول والبيلسان والفل والياسمين وكثير من النبات العطري كالبنفسج والقرنفل والمردكوش والحبق والنعنع والاقحوان والمنثور والمضعف ومن الحاصلات النباتية التبغ وهو من اعظم موارد رزق اللبنانيين واجود ما يكون من هذا النوع انما هو الذي يزرع في جبل الريحان وجبيل وبعض انحاء الكورة واجود من ذلك كله ما يحصل من ارض دير البلمند وقد اخذ بعض اللبنانيين في زرع الصنف الاسلامبولي من التبغ فلم يجيء على حسب المرغوب من حيث الجودة كأن الارض اللبنانية تشتمل تربتها على جواهر في تراكيبها لا تصلح لهذا الصنف وخصوصاً في القسم الجنوبي من الجبل واما القسم الشمالي فقد جاء بمحصول يقرب كثيراً في الجودة من الاصناف الاسلامبولية كالحاصل منه من قرية جوار الجوز من اعمال قضاء المتن والسبب لذلك في الغالب انما هو كثرة البوتاس في الجنوب وقلته في الشمال ثم التنبك فان بعض اللبنانيين قد اخذوا في هذه الايام يعتنون بزراعته ولكن لم يأت بالفائدة المطلوبة الا في بعض الاماكن مثل زحلة والجرمق من اعمال قضاء جزين فان الحاصل منه فيهما يقرب كثيراً من التنبك العجمي ومن الحاصلات اللبنانية الحبوب من قمح وشعير وعدس وماش وكرسنة وحمص وفول وذرة وسمسم وبيقة (باقية) وفصة وبرسيم وشوفان وحلبة وبازلاء ولوبياء وكثير من

الخضراوات كالخيار والكوسا والملفوف والكرنب والقثاء والقرع واللفت والجزر والفجل والخس والبطيخ والبندورة والباذنجان والبطاطة والقلقاس البلدي والخرشف (ارضي شوكي) والشمندور (البنجر) وغير ذلك

ومن الحاصلات اللبنانية ايضاً (النبيذ)واكثره صرف غير مشوب بشيء مما يدخله غير اللبنانيين في نبيذهم فمنه الاسود والاصفر فاما الاسود فهو في الغالب ذو عفوصة واما الاصفر فهو في الغالب حلو كان في الايام السابقة استخراجه خاصاً بنواحي كسروان وما يليها الى معاملة طرابلس ولا سيما سبعل التي قيل في نبيذها

كل النبيذ محرمٌ   الا النبيذ السبعلي

ثم كثر استخراجه في جميع الانحاء اللبنانية واجود ما يستخرج منه في هذه الايام نبيذ قربة زكريت احدى قرى قضاء المتن في لبنان (والعرق) وهو صنف من المسكرات يكاد يكون استخراجه خاصاً باللبنانيين واكثر ما يستخرج منه في مدينة زحلة وقد اشتهر بالجودة منه ما يستخرج في قرية زوق ميكائيل احدى قرى قضاء كسروان

(والدبس) بنوعيه ما يستخرج من العنب او الزبيب ومن الخرنوب وهذا يطبخ به اللبنانيون التين كما تطبخ المربيات بالسكر ويطبخون التين كذلك بالدبس المستخرج من التين نفسه وبالسكر ايضاً

(والصابون) واجود انواعه ما كان حيث يكثر الزيتون اي في جنوبي لبنان وشماليه وقد اشتهرت كفرشيما في المتن بصنعه ويُتجر به مع كثير من مدن سوريا واوربا

(وثمر الليمون) بانواعه وخصوصاً الكباد والحامض منه يكثر في السواحل

ويتجر به ايضاً مع مدن اوربا

(والاسفنج) ومغاصه يمتد من البترون الى طرابلس ومنه تستخرج انخر الاصناف وفي مغاص لبنان ١٢٠ قارباً يديرها ٥٥٠ رجلاً كانوا يكسبون في العام من ٤٠٠٠ ليرا الى ٦٥٠٠ ليرا واما اليوم فقل الكسب من هذا الصنف لكثرة المتجرين به من دون اللبنانيين

(وماء الورد) ويكثر استخراجه في السواحل من ازهار الورد

(وماء الزهر) ويكثر استخراجه في السواحل ايضاً من زهر الليمون

⁂معادن لبنان⁂

ان لبنان لا يخلو من المعادن مما يمكن الانتفاع به ولكن ربما كان في استخراج البعض منها صعوبات تستلزم من النفقات والعمل ما يضيع دونه النفع ومن اجل هذا كان الفينيقيون يقصدون البلاد السحيقة لاستخراج المعادن وما كانوا ليغفلوا عن معادنهم ويسعوا الى غيرها لولا ما في استخراجها من الصعوبات وربما كان ما يرى من نفاية المصهور من المعادن في بعض الاماكن من لبنان دليلاً على انهم اشتغلوا بالحفر فيها وسعوا في استخراجها. ففي لبنان من معادن الحديد معدن فوق العاقورة وآخر بالقرب من المروج القريبة من الشوير وتعرف بآبار مرجبا

وفيه ايضاً الفحم الحجري يتخلل طبقات اراضيه فقد اكتشف المغفور له ابرهيم باشا ابن محمد علي باشا سنة ١٨٣٥ منجماً من هذا الفحم بالقرب من قرنايل بقضا المتن واستخرج منه قدراً كبيراً وترك هذا المنجم وشانه بعد مزايلته للديار الشامية ويوجد الفحم الحجري ايضاً في نواحي الشوير

و بكفيا وفي حارة حمزة وترشيش و كفرسلوان من اعمال قضاء المتن . وفي بعض الانحاء من قضاء جزين وفي عين طورين من قضاء البترون وفي عين الرجمة من قضاء كسروان ويوجد ايضاً في لبنان معادن اخرى كالنحاس والتوتيا والفضة (١) ولكن لجهل اهله بصناعة استخراج المعادن وضيق ذات اليد وعدم اعتيادهم على الصبر في الاعمال الخطيرة على اجتناء الثمرات البعيدة ولغير ذلك من الاسباب لم يطرقوا هذا الباب من ابواب الرزق الحلال

﴿ حيوانات لبنان ﴾

ان الحيوان الداجن منه والآبد في لبنان كثير الانواع فمنها العنز الطويل الآذان وهو لا يوجد في غيره من البلدان والخيل كريمة وغير كريمة والجمال والبغال والحمير والابقار والجاموس والاغنام ذوات الاليآء الكبيرة يأتي بها التجار الى لبنان من الخارج ويبيعونها من اللبنانيين فيعلفونها حتى تبلغ مبلغاً من السمن كبيراً فينحرونها ويذخرون لحمها الى آونة الشتاء ومنها الغزال والارنب والثعلب وابن آوى والذئب والضبع والنمس والقنفذ والدب في بعض الاماكن كجبل صنين وجبل الشيخ والخنزير البري في جبل الريحان وما يليه ومنها النمر وقد كان في السنين الماضية كثير العدد لكثرة الآجام في الجبل واما الآن وقد قلت تلك الآجام ولم يعد لهذا

(١) قيل انه يوجد معدن ذهب في قرية فاريا من اعمال قضاء كسروان وفي قرية بسوس من اعمال قضاء الشوف ولكن المستر هدن الانكليزي المرسل من قبل الحكومة السنية للبحث عن المعادن في خلال عامي ١٨٦٩ و ١٨٧٠ حكم بانه يوجد في لبنان من كل المعادن ما عدا الذهب

الصنف ولغيره من اصناف حيوانات القنص عرُن تتقي بها فتكات القانصين فقل عددها كثيراً كما قلت انواع الطيور الاوابد كالحجال وغيرها . ومن طيور لبنان الاوابد الحجال والحمام والغربان والنسور والحسون والدوري اما القواطع التي تجتازه في فصول من السنة معلومة كالاوز العراقي والبواشق والخطاطيف والسنونو واليمام (الترغل) والسماني والفري والدجاج الارضي والهدهد والشحرور والعقبان الى غير ذلك من صغار الطيور فكثيرة وهكذا الحشرات والهوام فانها كثيرة جداً منها دود القز والنحل وعسله مشهور في القديم ولكن تربية هذا الصنف في السواحل لا تصلح كثيراً لفقد الازهار القائمة بغذائه في قسم كبير من السنة ولذلك عوّل المربون له في عدة اماكن على نقل خلاياه في الشتاء الى السواحل وردها في الصيف الى الصرود (الجرود) وخير النحل ما كان في العاقورة وفاريا ومزرعة كفرذبيان وافقا من اعمال كسروان وفي بعقلين والمعاصر من الشوف وفي بزبدين وكفرسلوان وارصون من المتن وفي حصرون وبزعون وبشري من البترون واجود العسل ما كان من نحل يكون مرعاه ذا نبات عطري وهذا في الغالب في العذي (البعل) من الارض

وقد يسطو الجراد في بعض السنين على حقول لبنان ولاسيما حقول السواحل منها بعدد يحجب عين الشمس محمولا على اجنحة الرياح من مهاب بعيدة فيجتاح الزرع وكثيراً ما ينقف الارض التي يقع عليها فينتج منه بعد ذلك الجراد المسمى بالزحاف فيأخذ في الزحف وتكون وجهته في الغالب نحو الصرود

وقد يسطو في بعض الاحيان على الجراد طائر يقال له السمرمر ويهلكه

وكثيراً ما يسوقه بصوته الى البحر حيث يهلك عن آخره · وفي لبنان انواع كثيرة من الحية منها ما له سم ناقع يقتل الملدوغ حالاً اذا لم يبادر الى علاجه في موضع ما ينجع فيه العلاج ومنها ما ليس يؤذي لدغه وفيه العقرب ولسعه لا يقتل الا فيما ندر

﴿ انهار لبنان ﴾

ان مياه لبنان المنفجرة من منحدريه الشرقي والغربي تتكون منها انهار تصب في البحر المتوسط وتختلف اسماء هذه الانهار في بعض الاماكن من مجاريها كما هي العادة الغالبة في تسمية الانهار في سائر اجزاء الارض فمنها:

﴿ نهر قديشا ﴾

(اي المقدس) وهو نهر كبير يجري في وادٍ ضيق يقال له وادي قديشا اصله عينا ماء احداهما منفجرة من مكان تحت بشري والاخرى تحت دير قزحيا تلتقيان عند اسفل الوادي حيث ينصب اليهما جداول ومياه وينابيع عديدة فيجتمع من ذلك نهر كبير منبعه الاعلى عند اسفل ارز لبنان ومصبه في البحر المتوسط عند مدينة طرابلس وهناك يكنى بابي علي وتوزع مياهه بقنوات لسقي بساتين هاته المدينة

﴿ نهر الجوز ﴾

نهر صغير يجري في وادي الجوز ويمر بالجنوب من قلعة المسيلحة ومن هناك تذهب منه قناة الى البترون فتسقي ما حولها من البساتين اصله عين ماء غزيرة بمغارة فوق كفرحلدا وهو يصب في بحر الروم بالقرب من البترون وطوله خمسة عشر ميلاً وعلى احدى ضفتيه اثار قنوات محكمة

الوضع جرت فيها مياهه الى البترون

✻ نهر ابرهيم ✻

نهر كبير لقبه القدماء بنهر ادوني (١) وهذا النهر يخرج من مغارة افقا بالقرب من العاقورة ومجراه الى الجنوب الغربي ومصبه في بحر الروم الى الجنوب من مدينة جبيل وبينه وبينها نيف وخمسة اميال وطوله ثمانية عشر ميلاً واما ينبوع تلك المغارة فيقال انه من بحيرة اليمونة في لحف المكمل يجري اليه الماء من منفذ في غورها في قلب الارض واستدلوا على ذلك

---

(١) ذكر ادوني في حكايات جبيل كثيراً قد استوعب تفصيل ذلك العالم الاب مرتين اليسوعي في تاريخ لبنان فقال في ص ٢٢٦ وما يليها: يتبين لاول وهلة ان سنكن يتن كان يجهل ما يختص بادوني من ذلك الذكر وعظم شأنه غير انك اذا تتبعت كلامه الذي يقول فيه ان عليون مات كادوني بانياب السباع سهل عليك ان تستنتج ان هذين الاثنين (عليون وادوني) لا يراد بهما عندهم (الجبليين) الا كونهما واحداً وهذا يتبين من معنى الاسمين لان عليون معناه الاعلى وادوني معناه سيدي وكلا الاسمين يراد بهما في الكتاب المقدس الاله الحقيقي وسنكن يتن قد سكت في اخباره المختصرة عن الحوادث والظروف التي اضافها اليونان الى اخبارهم قصد التحسين سكوتاً كاملاً فاقتصر على قوله ان عليون بعد ان ذهب فريسة الوحوش الضارية عبده ابناؤه غير ان اصل التصور عن موت هذا الاله لم يزل مشتركاً بين الحكايتين . اما الشعراء اليونان فقد دنسوا بسبب خلاعتهم هذا الاسم الالهي (ادوني) ولم يكن ذلك منهم في عهد قديم جداً الى ان قال: زعم اثيد السفيه ان ادوني ولد بفاحشة من مرة مع ابيها قنارة وكانت امه قد تقمصت مروة قبل ادوني هذا الذي ظهر من جرثومة هذه الشجرة ثم ان هذا الفتى الجميل عشقته عشترت بعد ذلك فقتله المريخ ومسخه خنزيراً هكذا كانت حكاية ادوني بالاختصار قبل ظهور النصرانية بقليل وذلك عند المصريين واليونان والرومان ثم قال غير ان مدينة جبيل التي كانت مصدر هذه الحكاية لم تسلم بهذه الفرية التي اختلقتها عقول

بان التغيرات التي تحدث في تلك البحيرة تؤثر في نبع افقا واما مياه هذا النهر فلا ينتفع منها الا متى دنت من جبيل وفي سنة ٦٩٥ ب٠ م بنى له سابع امراء المردة الامير ابرهيم ابن اخت القديس يوحنا مارون قنطرة كبيرة لا نظير لها بين قناطر هذه البلاد في الطول والارتفاع وهي باقية الى الآن ومن اجل هذا لقب النهر بنهر ابرهيم نسبة اليه ٠ والى جانب هذا النهر قناة ذات قناطر متينة متقنة البناء تسمى قناطر زبيدة تجري عليها المياه التي كانت تؤخذ الى جبيل وقد درست ولم يبق منها الا رسومها ٠ واما احمرار مائه فهو من فيضها وتعاليها حتى تتصل باراض حمراء وانصباب سواق متعكرة مياهها اليه ٠ وبنى رابع المتصرفين بلبنان المرحوم واصه باشا قنطرة لهذا النهر فهدمتها المياه ثم عاد فبنى له نعوم باشا خامس المتصرفين جسراً من حديد في سنة ١٨٩٤

اليونان الخفيفة فلم ينسبوا اسم ادوني الى عليون بل الى تموز ثم ذكر الاب مرتين حكاية ادوني الفينيقية التي رواها على وجهها الحقيقي القديس ماليتون في مديحه الذي وجهه الامبراطور مارك اورال نحو سنة ١٧٥ ماخوذة عن نسخة سريانية كشفت حديثاً في اديار نتريه والحكاية هي : ان ابناء فينيقيا عبدوا بعلتي ملكة قبرس وهذه الملكة بسبب عشقها تموز بن كوثر (قيثار) ملك الفينيقيين هجرت مملكتها لتسكن في جبيل مدينة الفينيقيين فوهبت حينئذٍ جميع ممالكها للملك كوثر ولكنها قبل ان احبت تموز كانت قد عشقت اروس (مرس او المريخ) واتت معه الفاحشة فغيظ زوجها هوفست (فلكان) من ذلك وجاء فقتل تموز في جبل لبنان بينما كان في قنص الخنازير البرية ومن ذلك الحين ازدادت بعلتي قوة وماتت في مدينة افقا حيث دفن تموز اه)

و يؤخذ من التقليد المحفوظ عند اهل تلك الناحية ان قبر ادوني في الغينة من فتوح كسروان وقد وجد في الغينة هذه صخر منقور فيه صورة حيوان يفترس فتى تجاهه امرأة تبكي ٠

﴿ نهر الكلب ﴾

وقد سماه اليونان ليقوس ومعناه ذئب وهو نهر كبير بينه وبين نهر ابرهيم ثمانية اميال واصل مياهه عين خارجة من مغارتين في سفح جبل جعيتا جارية الى فم الوادي هناك حيث تختلط بها مياه نبع العسل (١) ونبع اللبن (٢) اتية من نحو عشرة اميال من الجبل ثم يمر هذا النهر تحت صخر مقور من اسفله يحسبه الناظر اليه انه قنطرة من صناعة الايدي للعبور عليها وهو يسمى جسر الحجر ثم تجتمع اليه عيون حتى يصل الى مصبه وهو يجري الى الجنوب الغربي ويصب في بحر الروم الى الجنوب من جونية كسروان وزعم البعض ان سيزوستريس وهو رعمسيس الثاني ملك مصر لما فتح فينيقية نقر تاريخ الفتح في صخور بقرب النهر ويقال انه لما فتح سنحاريب ملك الاشوريين فينيقية امر بنقر صورته وذكر اعماله في تلك الصخور وذلك لم يزل باقياً الى الان وفي سنة ٢٥٠ ق٠م بنى له انطيوخوس ملك سوريا جسراً عظيماً بالقرب من شاطىء البحر فهدم باعتراض اشجار اقتلعها السيل فجدد بناءه الملك انطونيانوس قيصر الذي تولى الملك برومية سنة ١٤٠ ب٠م٠ واصلح البرج هناك ومهد الطريق ولقبه بالطريق الانطونياني ونقر ذلك في صخرة جنوبي الجسر ونصب فيه القدماء قائمة من حجر كبير بهيئة كلب وربطوه

(١) هذا النبع في محلة يقال لها الشلقة من مزرعة كفرذبيان قيل له نبع العسل لانه يجري على حصباء ذات لون كلون العسل

(٢) هذا النبع في مكان يبعد عن نبع العسل نحو الف متر وقيل له نبع اللبن لان حصباء التي يجري عليها بيضاء كاللبن

بسلسلة من حديد الى صخرة اخرى جعلوا له فيها نقيراً للطعام زعماً منهم انهم
اذا دارقتهم الاعداء نبح فخذرهم منهم فسمي لذلك نهر الكلب ثم طرح تمثال
ذلك الكلب الى البحر وهو لم يزل باقياً حتى الان ولكن بدون راس ثم هدم
ذلك الجسر في سنة ١٢٩٢ ب.م جدد سيف الدين ابن الحاج ارقطاي
المنصوري بناءه وفي سنة ١٧٥٠ انشأ الامير حيدر الشهابي قناة الى
الجانب الشمالي من النهر وغرس في الوطا تحت القناة اغراساً من التوت
لتسقى منها . ثم هدم ايضا فجدد بناءه الامير بشير عمر الشهابي حاكم الجبل
يومئذٍ ثم هدم ايضاً فبنى الامير نفسه في سنة ١٨٠٩ جسراً جديداً بمكان
قريب منه وهو ثابت الى الان وفي سنة ١٨٨٩ بنى المغفور
له واصه باشا جسراً آخر بالقرب منه تمر العربات عليه وذلك لانه رأى
الجسر القديم لا يصلح لذلك ولكن لم يكد يتم بناءه الا هدمته المياه
فعاد فبناه ثانية واكلا امر الملاحظة على البناء وترتيبه الى فارس افندي
الخوري وانطون افندي قيقانو مهندس المتصرفية اللبنانية يومئذٍ
فجاء جسراً منيعاً متقناً لا نظير له في البلاد السورية ونقر فيه باللغات
الثلاث العربية والتركية والفرنسية تاريخاً هذه صورته « في ظل
السلطان الغازي عبد الحميد خان انشيء هذا الجسر وهذا الطريق بعناية
صاحب الدولة واصه باشا متصرف جبل لبنان سنة ١٨٨٩ » وسماه
(جسر الشوكتية) وقد نقر فيه ايضاً تاريخان احدهما للمؤرخ والاخر
لانطون افندي قيقانو

❊ نهر انطلياس ❊

نهر صغير يبعد نحو ثلاثة اميال عن نهر الكلب الى الشمال من مدينة

بيروت يصب في البحر المتوسط ماراً بالقرب من دير القديس الياس المسمى باسمه
لان كلمة انطلياس لاتخلو ان تكون منحوتة امامن انطون وايلياس وامامن انطش
ايلياس واما من ايقونة ايلياس وهذا الاخير هو الارجح واقبل ما يكون
للتحريف حتى يجيء منه انطلياس لما ان اللفظ العامي لايقونة هو قونة ومعلوم
ما بين القاف والهمزة من الملابسة في اللفظ عند العامة ومخرج هذا النهر
من ينابيع اعلاها يبعدساعة عن البحر المتوسط ومن هذه الينابيع ما هو
دائم الجريان مثل ينبوع التنور والحاووز ومنها ما يغيض ساعات قليلة كينبوع
الصفصافات الذي يخرج فواراً من بئر احتفرها في الارض وهو اغزر ينابيع
هذا النهر ماء وبه تدور رُحي المطاحن على ضفتي النهر وهو يغيض بضع
ساعات في بعض السنين كما حدث في صيف سنة ١٨٩٧ وفي شتاء
سنة ١٨٩٨ فلبث غيضه في المرة الاخيرة ست ساعات متوالية فتلونت
الاحاديث عنه وتكاثرت الاقوال ولما عادت مياهه الى فيضها في مجراها
كانت معتكرة محمارة ومنها ما يغيض ماؤه في بعض من السنة ثم يعود في
الربيع الى فيضه كينبوعي الزيتونة والمغارة ومنها ما لا يغيض ابداً وجميع
هذه المخارج قد احتفرت منهراً واحداً تنصب فيه وتجري مسافة ساعة
حتى تبلغ مصبها من البحر وعلى الضفتين رحي كثيرة وعلى مقربة من البحر
معمل للورق تديره مياه النهر وليس يوجد معمل للورق غيره في سوريا
جميعها واما الاراضي التي تستقي من مياه هذا النهر فمن حدود ضبية
شماليه الى برج حمود جنوبيه على مسافة ساعة ونصف ساعة واما السر في
غيضه فهو انهيال التراب في مجرى مياهه الى حدان يستد المجرى فتنقطع
المياه حتى تخترق السدَّ وتذيبه وقد يعلل عن غيض بعض الينابيع وعودها

الى مجاريها في اوقات معلومات بان لمثل هذه الينابيع احواضاً طبيعية في طبقات الارض تحلب اليها المياه من اماكن كثيرة اوشالاً وتجمع فيها لتنفذ من منفذ على شكل الممص الذي تفرغ به السوائل من وعاء الى وعاء اي على شكل قوس فمتى امتلأت الحياض من تلك المياه المتحلبة الى حد ان يصير سطح المياه فيها موازياً لنقطة يجتمع عندها انعطاف القوس اندفعت نافذة في الممص حتى تبلغ في هبوطها سطحاً يكون تحت تلك النقطة فينقطع اذ ذاك جريها وهكذا تكون ذات فترات تارةً منتظمة وتارة غير منتظمة وزمن فيضها يكون غالباً في الربيع لما ان السيول تملأ نخاريب الصخور والثلج يغشى قمم الجبال فيكثر تحلب المياه وتمتلىء احواض الينابيع فيجري الماء منها عداً ثم برضاً ثم يغيض غيضاً كما يشاهد ذلك في ينبوع الاربعين شهيداً (١) المنصب في بحيرة اليمونة (اي اليم الصغير) و ينبوع دير الحمراء في قضاء حصن الاكراد التابع لمتصرفية طرابلس

ولنهر انطلياس بالقرب من دير النبي الياس جسر صغير بناه المغفور له رستم باشا سنة ١٨٨٣



نهر بيروت

بينه وبين نهر انطلياس ميلان وقد سماه بلين بحسبما اتفق عليه جمهور

(١) سمي كذلك لان مياهه تفيض في عيد الاربعين شهيداً او في ما هو قريب عهد منه قبله او بعده . وتندفق مياهه من فوهة سد بني له مراراً وهدمته المياه حتى تيسر احكام بنائه فثبت في وجه المياه وقوي على صدماتها العنيفة

العلماء ماغوراس واصله نهران احدهما مخرجه بالقرب من ترشيش وكفرسلوان والآخر مخرجه بالقرب من فالوغا وحمانا وهما يلتقيان في وادي تحت دير القلعة وقيل مخرجه من اعلى جزيرة ابن معن واصله ينبوع منفجر بين صخرين في اصل واحد طوله اربعة اميال ويسمى نبع القصير مصغراً من قصر بني هناك ويؤخذ منه قنوات تسقي اراضي ساحل بيروت وكان في ما سلف من الايام القديمة يذهب منه قناة على قناطر تسمى قناطر زبيده عجيبة الأساس والبناء .

ويقال ان الباني لها زبيدة ارملة اودناتوس المسماة عند العرب بزينب [1] ومن هذه القناة ينفذ الماء في ثقب داخل صخر عظيم الى قناة اخرى كبيرة حتى يبلغ بيروت ولكن الآن لم يبق من تلك القناة الا اثرها وله جسر طويل بالقرب من البحر . وفي سنة ١٢٩١ هـ انشأ عليه المغفور له رستم باشا جسراً شديد البناء مستكمل الاتقان وذلك في مكان قريب

---

(١) قد اجمع اهل التحقيق بعد البحث ان القناطر والقناة الجارية عليها من مكان يسمى العرعار من ارض كسروان «وهو الان من اعمال المتن» قيد اثني عشر ميلاً « تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين من بني الغرب لصالح بن يحيى بمجلة المشرق عدد٢ ص ٨٣» هما من مباني الرومانيين وليس لزبيدة زوج الخليفة هرون الرشيد ولا لزينب الزباء ملكة تدمر المختلف في اصلها بين ان يكون مصرياً او ارامياً او ان تكون من جنس عربي ولا لغيرهما يد في تلك المباني فاما القول بان زبيدة زوج الخليفة هرون هي التي بنت تلك القناطر والقناة فهو قول عامة الناس لا ظل له من الحقيقة ولا ذكر البتة في تاريخ الخليفة على حداثة عهده بالنسبة الى عهد تلك القناطر يشير الى ان زوجه صرفت عنايتها الى ترميم تلك المباني الضخمة التي كانت في ايامها متغورة واما القول بان زينب الزباء هي صاحبة تلك المباني فلم نرَ حتى الان ما ينفيه نفياً صريحاً الا ما جاء في مقالة للاب س . رونزفال في

من الحازمية يبعد مسافة ساعة عن الجسر القديم ونقر فيه تاريخاً وسماه الجسر الجديد وكان قد انشأ الى جانبه حديقة كبيرة يأتيها الناس كل يوم تنزيهاً للخواطر وهذا النهر يجري الى الغرب ثم يرتد الى الشمال و ينصب في بحر الروم بالقرب من خليج مار جرجس الواقع في مكان شرقي بيروت يبعد عنها نحو كيلومترين وربع كيلومتر ومياهه تسقي سهل بيروت بقنوات عديدة

﴿ نهر الغدير ﴾

وهو نهر لا يجري الماء فيه الا شتاءً عندما يهطل المطر غزيراً فيجتمع فيه عند قرية كفرشيما من الاودية هناك ويخترق السهل المسمى صحراء الشويفات وينصب في بحر الروم وله بالقرب من كفرشيما جسر تمر عليه العربات بناه المغفور له فرنقو باشا سنة ١٨٧٠

﴿ نهر الدامور ﴾

دامور هو بحسب الخرافات القديمة بعل دمر وبعل باللغة الفينيقيـة

زينب الزباء ملكة تدمر وذلك في العدد ١٠ و١١ و١٢ من مجلة المشرق ولكن لسوء الحظ لم تكن هذه المقالة قد استكمل نشرها في المجلة يوم طبع هذا المطلب فلربما كان لصاحبها الفاضل شيء من النفي الواضح يجيء في آخرها . ولذلك يبقى هذا القول مثل سائر الاقوال متناولاً احتمال التصديق حتى ينكشف السر من ارتقاء البحث في العاديات التي هي اصدق الموارد الى الحقيقة . وانا لنأسف ان يظل هذا البناء الكبير العجيب في وادٍ من ظلمة الجهل اعمق من واديه لو ذهبنا اليه لنستنطقه عن حقيقة الحال لافصح لنا كل الافصاح عن عجيب العناية للدولة فيه ولكن لو سألناه عن صاحب اليد البيضاء في بنائه لما فاه ببنت شفة

معناه اله ودمر محامي وهو ابن زوجة السماء و بوليب سماه داموراس واسترابيون سماه تاميراس من بعل تمر اي اله النخل ودامور بالسريانية معناها العجب و بالعربية معناها المخرب (١) وهو نهر كبير بينه و بين نهر بيروت عشرة اميال وهو مجموع من نهر الغابون الخارج من ينبوع بخشتيه اومن عين الدلم القريبة منه ومن نهر الصفا و ينبوع القاع الذي جرّ منه الامير بشير عمر الشهابي الى قصره بيت الدين قناة تصب ماؤها في وادي دير القمر وذلك سنة ١٨١٥ وقد استغرق انشاء تلك القناة اثنين وعشرين شهراً وكانت جميع اهل البلاد تشتغل يومين من كل سنة بتلك القناة على وجه الاعانة للامير فبلغت النفقة على انشائها ما ينيف عن مايتي الف درهم وقد نظم احد المقربين الى الامير المرحوم المعلم بطرس كرامه الحمصي الشاعر الشهير في هذه القناة موشحه المشهور الذي يقول في مطلعه

صاح قد وافى الصفا يروي الظما   بشراب كوثري ألعسِ
وافاض الشهد في روض الحما   لجلا الغم وبرء الانفسِ

ولكن يظهر ان ضرورة الشعر والمحسنات الشعرية قضت على الاستاذ ان يشذ عن الحقيقة التاريخية لانه يقول ان الماء وافاه من الصفا والحال انه من ينبوع القاع او انه اراد من الصفا نهر الصفا متناولاً الينبوعين معاً ·

---

(١) ان في هذا المعنى ما ينطبق على حقيقة حال هذا النهر عند مصبه من تخريب الارض المجاورة لذلك المصب لان مياهه في منتهى الوادي عند المحلة المعروفة بياروطي تصطدم بسفح الجبل من جهة الجنوب فترتد الى الشمال حيث السهل الفسيح سهل الدامور ومما يرويه الخلف عن السلف ان مصب النهر كان قبل اليوم عند المحلة المعروفة برأس المصري

ويضم الى ذلك ينبوع عين داره وتجتمع اليه ايضاً عيون كثيرة فيصير نهراً كبيراً يجري في وادٍ طوله اثنان وعشرون ميلاً ومن هذا النهر جرَّ الحاكم يومئذٍ الامير منصور حيدر الشهابي قناةً تسقي البساتين التي هي في الجانب الايسر من النهر وقبل ان يبلغ سهل الدامور ينضم اليه جدول آخر له قنطرة عند قرية الجاهلية مخرجه من ينبوع الحمام بالقرب من قرية غريفه من قضاء الشوف وينضم الى هذا الفرع عدة ينابيع قبل ان يلتقي بنهر الدامور شمالي قرية البوم

ولهذا النهر جسران الاول في الوادي الكبير الذي بين عبيه ودير القمر بناه الامير زين الدين التنوخي الملقب بالقاضي فسمي جسر القاضي [1] ثم جدد بناءه سنة ١٨٨٦ (١٣٠٣هـ) المرحوم واصه باشا رابع متصرفي لبنان بناءً متقناً وجعله صالحاً لمرور العربات عليه بالطريق التي انمها من سوق الغرب الى بيت الدين حيث تستقر حكومة لبنان صيفاً وقد نظم له (المؤلف) تاريخاً نذكر منه بيت التاريخ وهو

وجعلت ذا الجسر الجديد يقول في تاريخه اني بفضلك اشهدُ

---

(١) قيل ان السبب في بناء ذلك الجسر هو ان الامير زين الدين التنوخي كان مشتغلاً ببناء مطحنة في ذلك المكان فحدث ذات يوم انه بينما كان يناظر البناء اذ مرت فتاة بالقرب من الفعلة وخاضت في مياه النهر تبغي الاجتياز الى الضفة الاخرى فشمرت اثوابها خشية البلل فحانت من الامير التفاتة فرأى بعض الفعلة ضاحكين مما بدا من مستور الفتاة متغامزين عليها فثارت مروءة الامير وامر بالكف عن العمل بعد ان اوسع المتغامزين لوماً وتعنيفاً وامر لساعته ببناء قنطرة فوق النهر للعبور عليها واستحضر فعلة آخرين لينضموا الى فعلته تعجيلاً لانجاز العمل وامر بمد سرادق له فلبث في ذلك المكان اربعين يوماً ويوماً حتى تم بناء القنطرة.

والجسر الثاني في مكان يقال له ياروطي بالقرب من البحر وهو يسمى جسر الدامور بناه الامير بشير عمر الشهابي سنة ١٢٣٠ للهجرة فهدمته المياه والى الان لم يزل بعض قواعد قوائمه مرتكزاً في النهر وفي سنة ١٨٦٩ وسنة ١٨٧٠ انشيء شرقي هذا الجسر على بعد بضع خطوات منه جسر آخر من حديد بعناية المغفور لهما داود باشا اول المتصرفين بلبنان وفرنقو باشا ثاني المتصرفين وهذا النهر يجري الى الغرب منحرفاً الى الجنوب ويصب في بحر الروم بالقرب من معلقة الدامور بعد ان يسقي سهل الدامور

﴿ نهر الأولي ﴾

بينه وبين نهر الدامور عشرة اميال . ان تعريف هذا النهر بالاولي انما هو حديث العهد من يوم ان صارت مدينة صيدا قاعدة الشطر الجنوبي من لبنان في اوائل القرن السادس عشر اي المدينة الاولى واما قبل ذلك فان العرب كانوا يعرفونه بنهر الفراديس (جمع فردوس) لما حول صيدا من البساتين الشهيرة وفي الزمن القديم كان يقال له النهر البسري وذلك نسبة الى بسري وهي قرية واقعة بالقرب من ملتقى النهر الجزيني بهذا النهر ومعنى بصره في العبرانية محصن وانه لا يزال يوجد في تلك الانحاء آثار حصن يسمونه اليوم اهل تلك الناحية قلعة ابي الحسن وهذا النهر اصله ينبوع ماء غزير معروف بينبوع الباروك[1] جرّ منه الشيخ بشير جانبلاط

(١) الباروك بفتح الباء والف مابعدها عربي معناه الجبان والكابوس و بالباء مفتوحة بدون الف بعدها بصيغة فعول معناه التي تتزوج من النساء ولها ابن بالغ الدية واما بروك بضم الباء والراء بغير الف فهواما ان يكون جمع باركة للواحدة من

قناة الى داره بقرية المختاره سنة ١٢٢٢ ه

وعند ما يبلغ هذا النهر السهل المعروف بسهل بصري يلتقي بالنهر الآتي من جزين فيكون منهما نهر واحد توزع مياهه بالقرب من صيدا لسقي بساتينها وله غربي تلك القناة جسر وهو يجري الى الجنوب الغربي ثم يرتد الى الغرب ويصب في بحر الروم بالقرب من صيدا وطول مجراه ثلاثون ميلاً

﴿نهر الليطاني﴾

ليطاني كلمة سريانية معناها الملعون والحرام وهو معروف بهذا الاسم في جميع مجراه في سهل البقاع وجنوبي لبنان ولا يسمى بالقاسمية الا عند مصبه وتسميته هذه حديثة العهد دالة على معنى الفصل بين ايالة عكا وصيدا واما اليونان والرومان فسموه لاونتوس وهذا النهر يخرج من المنحدر الشرقي للبنان من ينبوع العليق لا من عين الشمس فوق مدينة بعلبك كما يزعم البعض من الناس لان مياه هذه العين تنصب فيما جاورها من الحقول ولا ينفذ منها شيء الى الليطاني ولكن ينضم اليه في السهل عدة امواه منها امواه نهر البردوني وغيرهما من جهة الشرق ايضاً ومتى اجتاز هذا النهر سهل البقاع نفذ من شعاب لبنان وجبل الشيخ ماراً تحت قلعة الشقيف ويصب في بحر الروم بين

الابل المستنيخة واما ان يكون للخبيص والاسم منه البريكة واما ان يكون مصدر برك بروكا ومعناه الاستناخة او الثبوت بالمكان والاقامة به وهذا في غالب الظن اقرب ما يكون الى صحة الاسناد اليه سمي الينبوع به ايام التنوخيين القدماء سموه كذلك عندما قدموا بقبائلهم لبنان وأناخوا ابلهم عند مائه وطاب لهم البروك بذلك المكان والاقامة به قبل ان يستعمروا و يستوطنوا

صور وصيدا · اما نهر البرذوني فمخرجه قرية قاع الريم من اعمال قضا المتن يسقي بساتين زحلة والمعلقة وضواحيهما ويدير عددا كبيراً من ارحاء المطاحن وعلى ضفيته بزحلة عدة فنادق وحدائق غناء يقصدها طلاب التنزه من ابناء البلدة والغرباء من كل صوب لما بها من ترويح النفس وتعليل الخاطر بكل منظر بهيج وقد بنى له نعوم باشا في سنة ١٨٩٧ قنطرة متقنة الوضع متينة ·

﴿اقسام لبنان﴾

انا لو اردنا ان نقسم لبنان بحسبما كان مصطلحاً على قسمته في القرون القديمة والقرون المتوسطة للزمنا ان نوسع في نطاقه كثيراً لان لبنان في تلك القرون كان يمتد الى جبل الصلت والى جبل الكرمل كما اثبتنا ذلك في فصل حدود لبنان وهب انا طرقنا في ذلك باب التوسع فانه يتعذر علينا اثبات وجه الصحة فيه لما هو معروف من ان تلك البقعة التي كان يطلق عليها اسم لبنان كانت تشتمل على عدة ممالك غير مستقرة على حال واحد لان الاشوريين واليونان والرومان بدلوا كثيراً في هيئة التقسيم لتلك البقعة عندما ضربوا سلطتهم عليها و بناء على هذا وعلى ان غرضنا مستوعب في اقل مما تقدم ذكره فاننا نلتزم في تقسيم لبنان الحالة الادارية الحاضرة غير اننا قبل ان نضيق علينا مجال البحث بالتزام الحدود الواردة في تقسيمه الاداري راينا من الواجب ان نستوفي الكلام عن احواله ايام كان متسع النطاق فسيح الارجاء لنعلم شيئاً من امر من عمره من ابناء الخلق في القرون الخوالي وما ناله من حوادثهم في تلك القرون والاَّ لما تيسر لنا بعد تقيدنا بتلك القسمة

الاداريةان نتناول شيئاً من تاريخه القديم الا ما كان متعلقاً بمدينة جبيل والبترون وغيرهما من بعض الاماكن مما لا تستوفى بذكره بغيتنا من تفصيل الاحوال . ومن اجل هذا قد افردنا لهذا البحث المقالة الآتية

﴿مقالة في تاريخ لبنان القديم﴾

يسرُّنا ان نرى العقول السامية من عقول بني الانسان سالكة سبيل الارتقاء في المعارف مستطلعة من اسرار الخلق ما لا ينكر نفعه في معرفة الانسان نفسه في كل طور من اطوار وجوده على وجه البسيطة من يوم ان كان ساذجاً فطرياً حتى اليوم فلولا تلك المعرفة لما تيسر له اصلاح المختل من امره واستكمال الناقص من شؤونه فمستقبله مقيس على ماضيه

ومن ذلك الارتقاء الارتقاء في علم طبقات الارض وما انطوى فيها من اسرار التكوين ومن آثار الآدميين الأول الذين كانت معايشهم من الصيد ومآويهم المغاور

فقد كان للبنان ومغاوره وكهوفه حظٌّ من سكنى تلك القبائل الفطرية التي ابقت لنا من آثارها ما هو ناطق بجهلها استخدام المعادن لقضاء حاجاتها في معايشها واقتصارها على قطع من الظران والصوان المنحوت وماخرشبته ايديها من عظام وخزف في الاستعانة على قضاء تلك الحاجات وابقت من عظامها وعظام ماكولاتها ما يدلنا على طريقة معاشها

فذلك الطور هو الطور الحجري اوطور الظران وقد بحث في ما كان منه بلبنان بعض السياح من علماء طبقات الارض بحثاً كشفوا به شيئاً من

اسراره وبقيت اسرار كثيرة غير مكشوفة اما لامحاء الآثار الدالة عليها واما لما هو معلوم من جهل الباحثين لمواقع تلك الآثار لانهم غرباء (والغريب اعمى ولو كان بصيراً) ومما يزيد هذا البحث صعوبة هو ان كثيرين ممن يعرفون تلك المواقع او يحسبون انهم يعرفونها لا يدلون عليها طمعاً في كنوز المال لا كنوز العلم او انهم قلبوا رسومها و بددوا ارومها في سبيل البحث عن تلك الكنوز

و بالجملة فانه يتبين مما وصلوا اليه من البحث الجيولوجي في مغاور عدلون بين صور وصيدا وفي ناحية عقبيه وهو جدول ينصب في البحر المتوسط في شمالي شرقي عين القنيطرة وفي مغاور نهر ابراهيم وفي كهف عند نهر الجوز وفي مغاور وادي انطلياس وفي الضفة اليسرى من نهر بيروت على مقربة من الجسر الحالي وفي ضواحي طرابلس وفي مغاور جعيتة وفي مغارة حراجل ما بين ميروبا وفاريا وفي الراس المجاور لمصب نهر الكلب وفي رأس بيروت وفي ناحية نهر الزهراني على بعد ساعة من صيداء وفي ناحية المعاملتين ان سكان لبنان قبل طور المدنية تركوا لنا آثاراً مستحجرة من شفار للقطع ومخارز ومقاشط ومجارف وغير ذلك من صوان ومن ادوات من الخزف صقيلاً او غير صقيل ومن عظام الحيوانات مما كانوا يصيدون اكلاً لهم [1] ومن عظامهم ايضاً .

ثم ان لبنان بعد ذلك الطور مثل سائر البلدان يغشى تاريخه القديم (نريد تاريخ نشأة الطوائف التي عمرته الى الزمن الذي سقطت فيه صيدا وهو

---

(١) الظران او الطور الحجري في فينيقية للاب غ . زمفون عدد ٣ وعدد ٨ من مجلة المشرق لسنتها الاولى

منتصف القرن الثالث عشر) ظلمة كثيفة لا نستطيع ان نستشف من ورائها شيئاً من الحقيقة الان نستعين بما ورد في التوراة وما بقي لدينا من اقوال سنكن يتن المؤرخ الفينيقي البيروتي وفيلون الجبيلي وبما ذاع من الخرافات والتقاليد وان كانت في حد نفسها لايصح الاستناد اليها بوجه من الوجوه ولكنها كثيراً اما يستدل بها الناظر المحقق على امر من الامور يصح درجه في جملة الحقائق التاريخية · وسنكن يتن هو في راي غالب العلماء بيروتي وذهب بعضهم الى انه من صيدا وآخرون الى انه من صور اما عصره فقال البعض انه كان في القرن العشرين ق · م وقال اخرون انه كان معاصراً لموسى النبي واخرون لجدعون واخرون لحيرام ملك صور و بعضهم زعم انه كان في ايام تداعت العبادات الوثنية الى الاضمحلال وكيفما كان هذا الرجل فانه لا ينكر انه كشف بعض امور من التأريخ القديم يمكن الاستناد اليها في استطلاع كثير من الحقائق · اما التوراة فقد ذكر فيها لبنان في عدة مواضع يظهر منها انه كان داخلاً في بقعة ارض نسل ابرهيم اي ارض الميعاد فقد جآء في الفصل الخامس عشر من سفر التكوين في العدد (١٨ و١٩ و٢٠ و٢١) لنسلك (نسل ابرهيم) اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات وسامكنكم من القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين [1] وجآء في سفر العدد في الفصل الرابع والثلاثين منه (عدد ٣–١٢) يبتدي لكم الحد الجنوبي من برية صين على جانب

(١) كان الحثيون مستوطنين ما بين العاصي والفرات وجبل اللكام وفريق منهم كانوا بحبرون وهو الخليل اليوم وما جاوره وهؤلاء الذين وعد الله ان يمكن

ادوم (وهو جبل سعير الذي يمتد الى الشرق والجنوب من البحر الميت وقد انتقل اليه عيسو بعد افتراقه عن اخيه يعقوب بسبب ضيق الارض على مواشيهما كما يتبين من الفصل الخامس والثلاثين من سفر التكوين وقال بعضهم ان عيسو سمي ادوم نسبة الى احتلاله في هذه البلاد التي كانت تسمى ادوم قبله على ما يظهر من بعض الآثار وقد ورد في التوراة في الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين عدد ٢٩ و ٣٠ وطبخ يعقوب طبيخاً فاتى عيسو من الجبل وهو قد اعيا فقال عيسو ليعقوب اطعمني من

نسل ابرهيم منهم والفرزيون يراد بهم سكان القرى قيل لهم ذلك تمييزاً لهم عن اهل المدن وليس المراد بهم عشيرة قائمة براسها من عشائر الكنعانيين فان موسى لما عدَّ عشائر كنعان لم يذكر عشيرة لكنعان بهذا الاسم (تاريخ المشرق للعالم لنورمان ص ١٢٠) وجاء في كلمة (الفرزيين) من معجم الكتاب الكريم ان الفرزيين شعب قديم كان مقيماً بفلسطين مختلطاً مع الكنعانيين وان الادلة غالبها يدل دلالة كافية على انهم من نسل كنعان ولكنهم كانوا غير مستقرين في مكان بل رحالاً ينزلون تارة هنا وطوراً هناك ومعنى اسمهم المشتتون والمفروزون او سكان المزارع والقرى وكانت محالهم بعبري الاردن مختارين الحزون والسهول والرفائيون هم الجبارة المعبر عنهم في الآثار الكلدانية بكلمة (كبرو) او جيبور كانت مواطنهم في بلاد باسان مما وراء الاردن والاموريون كانت مواطنهم في جبل افرائم ويهوذا لما استولى بنو اسرائيل على ارض الموعد وكانوا قد بلغوا غربي البحر الميت وعبروا قبيل عهد موسى الاردن وشيدوا مملكة باسان وحشبون وجاء في الآثار المصرية ذكر لفصيلة امورية تسكن جهة قادس وعند منبع العاصي في الشمال من بعلبك والجرجاشيون كانوا ساكنين عبر الاردن وامتدت سكناهم الى الجليل وجبل الكرمل وورد ذكرهم في الاثار المصرية ويظن ان بحيرة الجرجسيين وهي « بحيرة طبرية » منسوبة اليهم واليابوسيون سكنوا اولاً المحل الذي سمي بعدئذ اورشليم « اه ملخصاً عن تاريخ سورية للعلامة المطران يوسف الدبس »

هـذا الاحمر لانني قد أعييت لذلك دعي اسمه آدوم[1] يعني الاحمرار) فيكون من طرف بحر الملح شرقاً ثم يستدير لكم من جنوب عقبة العقارب ويمر الى صن (وهي واقعة بحسبما رأته اللجنة الانكليزية العلمية التي ارسلت لبرية سينا تحت رئاسة العالم هنري بلمر سنة ١٨٦٨ في عين قادش في جبل معرة) وينفذ من الجنوب الى قادش برنيع ثم ينفذ الى حصرادار ويمر الى عصمون ثم يستدير الحد من عصمون الى نهر مصر نافذاً الى البحر واما الحد الغربي فيكون لكم البحر الكبير تخماً هذا يكون لكم تخم الغرب وهذا يكون لكم التخم الشمالي تخطون لكم من البحر الكبير الى جبل هور ومن جبل هور تخطون الى مدخل حماة ويكون منفذ الحد الى صدد (وهي قريبة من حمص في بادية تدمر) ثم ينفذ الى زفرون (وهي في برية حمص) وينتهي الى حصر عينان هذا يكون حدكم الشمالي وتخطون لكم التخم الشرقي من حصر عينان الى شافام ثم يهبط من شافام الى ربلة شرقي العين وينحدر ويماس جانب بحر كنارة شرقاً ويهبط الى الاردن وينفذ الى بحر الملح وجاء ايضاً في سفر تثنية الاشتراع في العددين السابع والثامن من الفصل الاول منه ما يثبت دخول لبنان في بقعة ارض الميعاد حيث قال فتحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الاموريين وكل ما يليه من القفر والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر ارض الكنعانيين ولبنان الى النهر الكبير نهر الفرات انظروا اني قد جعلت الارض بين ايديكم فادخلوا واملكوا الارض التي اقسم الرب لآبائكم ابرهيم واسحق ويعقوب ان يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم والاموريين في قوله وادخلوا جبل الاموريين هم ولد

(١) ادمه بالعبرانية معناها التراب الاحمر

الاموري الرابع من ابناء كنعان وجبلهم غربي البحر الميت ومدينتهم حصاصون تامار ومعناها مدينة النخيل والمظنون انها المدينة المعروفة الآن بعين جدي وهي غربي البحر الميت تبعد قليلاً عن اريحا وايضاً فانه مما يثبت ذلك ما ورد في العددين الخامس والسادس من الفصل الثالث عشر من سفر يشوع حيث قال وارض الجبليين وجميع لبنان جهة مشرق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون الى مدخل حماة كل سكان الجبل من لبنان الى مياه مسرفوت كل الصيدونيين سأطردهم من وجه بني اسرائيل وانت تقسمها بالقرعة لاسرائيل ميراثاً كما امرتك والظاهر من هذا القول ان القدما كانوا يقسمون لبنان الى الشرقي والغربي كما هو مقسوم اليوم

اما اسم لبنان ففي كل حال بقي متداولاً على السنة الناس منذ القدم وما انقطعت الالسنة عنه في بعض الاوقات الا لعلة ما من العلل التي تحدث عادةً في تاريخ البلدان من مثل استيلاء اجنبي يبدل الاسماء ويغير في تقاسيم البلاد ثم عاد ذلك الاسم الى ما كان عليه من كثرة التداول على الالسنة

ثم اذا نظرنا الى الاسماء التي اطلقت على جبل لبنان مرادفة لاسمه لبنان نجدها كثيرة قد تناوله غالبها في جملة غيره من البلدان ففينيقيا مثلا كانت على الاصح من ارواد الى جبل الكرمل مع بعض لبنان وسورية المجوفة وهي الواقعة بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي وسورية الثالثة وهي الشاملة دمشق وجبل لبنان ثم آرام وهو الخامس من ابناء سام بن نوح فان هذا الاسم كان يضاف الى اعمال عديدة مثل آرام النهرين وآرام دمشق وآرام صوبة وآرام معكة وهي ما يشمل في غالب الظن مرجعيون وبانياس ثم اسم الشام

الذي يطلق الان على بلاد سورية بجملتها وهذا الاسم قد ذهب علماء التاريخ في ماخذه عدة مذاهب اصحها انه مأخوذ من سام بن نوح واصله في العبرانية والسريانية شام اوشم . ثم ان اختلاف هذه الاسماء مع عدم تعيين اسمائها تعييناً محكماً يجعل المؤرخ في ريب ويلجئه الى ان يطرق ابواب الحدس والتخمين في الاشياء التاريخية فما ورد في التوراة واقوال المؤرخين من الكلام على الاراميين والفينيقيين والسوريين والشاميين كان في الغالب يتناول اللبنانيين وبناء عليه فان تاريخ لبنان القديم وسكانه القدماء يمتزج بتاريخ من ذكرنا من هولاء الاقوام ومواطنهم امتزاجاً يتعذر تجريده خلواً من الشوائب وما جاء منه مختصاً ببعض مدن مثل جبيل و بيروت وغيرهما هو مشوب ايضاً . ويليق بنا في هذا المقام ان نبين مآخذ الاسماء القديمة وما في هذا من الاقوال

﴿ارام﴾ وهو اسم الخامس من ابناء سام على ما ورد في سفر التكوين في العدد الثاني والعشرين من الفصل العاشر من هذا السفر كان يطلق على الاراضي التي استوطنها الاراميون وهي الاراضي الواقعة على ضفتي الفرات التي انتزح عنها بعض قبائلهم متجاوزين جبل امانوس المعروف الان باللكام الى الانحاء الجنوبية من اسيا الصغرى حتى ليكية وعلى الاراضي الواقعة في شمال سوريا والسفح الشرقي للبنان الشرقي بين الجبل والصحراء فانقسم بذلك الاراميون الى ارامي الشمال بين الفرات وجبل امانوس وارامي دمشق او سوريا الدمشقية حول مدينة دمشق الكبيرة . والكتاب المقدس اطلق اسم ارام على قسم كبير من سوريا واضافه كما تقدم الى اعمال عديدة مثل ارام النهرين والمراد ما بين النهرين دجلة والفرات

وآرام صوبة وهي على ما يظن ما بين دمشق جنوباً وحماة شمالاً وآرام زحوب وهي على ما يظن كانت في محل الجولان ولبث هذا الاسم محفوظاً تداوله بين الناس القدماء مدة قرون حتى ان الشاعرين هوميروهسيود والمؤرخ استرابون جاؤا على ذكره مختصاً بالسوريين ولم يمح هذا الاسم الا عند ظهور النصرانية

﴿ سوريا ﴾

قال العالم مسبيروانه من يوم ان اتى تطمس الاول ابن امانوثيب بالمصريين الى اسيا لافتتاحها كانت البلاد التي تجاوزها فيما وراء خليج السويس تدعى سوريا وذلك قبل المسيح بالف وسبعمائة سنة ونيف.وقال بروغش ان اسم سوريا مخفف اسيرية سميت كذلك بعد استيلاء تجلت فلاصر الثاني على اعمال سورية وذلك (من سنة ٧٤٥ الى ٧٢٧ ق ٠م) ثم استيلاء سرغون عليها (من سنة ٧٢٢ الى ٧٠٥ ق ٠م) وقال هيرودوت (الذي ولد سنة ٤٨٤ ق ٠م) ان لفظ السوري مختصر من الاشوري او الاسوري بالسين المهملة وقال الاب دي كارا ان الاولى باسم سورية ان يكون مأخوذاً من اسور او اسوريم ابن داوان بن يقشان بن ابرهيم من قطورة بدليل ان الذين اتوا فينيقية واسسوا مدينة صور كانت مهاجرهم بشمال بلاد العرب وان الاسم اشور او اسور سمي به احد اعمال بلاد العرب وقد جاء في الآثار المصرية ذكر قوم اسمه اسور حالف الحثيين سكان شمال سورية يوم محاربة رعمسيس الثاني ملك مصر في القرن الرابع عشر قبل

الميلاد وقال ايضاً انه وجدت صفيحة بمصر كتب عليها بالهيروغلفية روثانو
و باليونانية سورية و بلغة الشعب المصرية اساراواسور ومعلوم ان الروثانو
يطلق على سكان سورية الشمالية وقال ايضاً ان هذا الاسم مدروج في
عداد الذين قهرهم رعمسيس احد ملوك الدولة التاسعة عشرة في مصر
مكتوباً على جدار هيكل ادفو بمصر وذلك كله يدل على ان تسمية البلاد
بسورية هي اقدم عهداً من عهد علما اليونان المعروفين وقيل ان اول من نقل
الاسم ارامي الى سوري هم اليونان فانتشر هذا الاسم في جميع العالم بسبب
انتشار اللغة اليونانية وقد محي اسم الارامي بعد افتتاح الاسكندر البلاد
وحلّ محله اسم السوري فان اليونان كانوا يبدلون في الحروف الهجائية
و يغيرون في اوضاع الالفاظ بحسبما يوافق لغتهم و يسهل عليهم لفظه فجعلوا
اشورية اسورية ثم سورية وقال بعض ان اليونان اتخذوا اسم سورية من
صور لان اهل صور كانوا معروفين عند اهل اغريقية اكثر من غيرهم
من سكان سواحل لبنان وذلك عند ظهور اسم سورية و كيفما كانت البواعث
على هذه التسمية فان الاسم اجنبي لا وطني

كنعان

هو كنعان بن حام بن نوح كما ورد في سفر التكوين في العدد الثامن
عشر من الفصل التاسع من هذا السفر وفى العدد العاشر من الفصل السادس
منه وقد سمي سكان جانب كبير من لبنان باسم كنعانيين فان القبائل
الكنعانية على ماقال مسبيرو قد انقسمت بعد الفتح المصري الى فريقين
فريق منهما استوطن في الوديان الكائنة في داخل البلاد بين امانوس

(اللكام) وسعير وفي السهول الممتدة من جنوب الكرمل الى الصحراء والى تخوم مصر والفريق الآخر استوطن السواحل بين الكرمل ومصب العاصي وبين جبل لبنان والبحر وقد اختلف الفريقان في العادات والاخلاق باختلاف مواطنهما فالمقيمون في داخل البلاد كانوا اهل زراعة ورعاة بحسب اماكنهم فافترقوا الى عدة قبائل كل قبيلة منها تحارب الاخرى وكانت نار الفتن بينهم دائمة الاضطرام واما كنعانيو السواحل فلانحصارهم بين الجبل والبحر لزموا صناعة الملاحة والتجارة

واما انتجاع الكنعانيين سوريا فقد كان قبل ان يأتيها ابرهيم من أور الكلدانيين اذ جاء في سفر التكوين في العددين الخامس والسادس من الفصل الثاني عشر منه «واتوا ارض كنعان فاجتاز ابرام في الارض الى موضع شكيم والى بلوطة ممرا والكنعانيون حينئذٍ في الارض» فكان انتجاعهم ذلك قبل القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد وهو القرن الذي جاء فيه ابرهيم من أور الكلدانيين او بعده بقليل وقد ذهب لانورمان الى ان انتجاعهم ربما كان في اواسط القرن الثالث والعشرين ق.م. لانه في ذلك الزمان ثار العيلاميون على الكوشيين في بابل وانحائها فانتزح الكنعانيون عن مواطنهم في جوار ولد عمهم كوش واما هيرودوت المؤرخ اليوناني فقد جاء في تأريخه ما يفيد انه كان للكنعانيين اثر في سوريا قبل ذلك العهد بكثير وهو هيكل ملكرت الشهير في جزيرة صور فانه بني فيما رواه هذا المؤرخ نحو سنة ٢٧٥٠ ق.م واما العالم الفرنسي شباس فقد ترجم البابير (١) المندرج

(١) البابير هو الورق البردي الذي كان يستعمله المصريون ومنه اخذ اسمه بالافرنجية

فيه كتاب العامل المصري الى مولاه منيمهات الاول من ملوك الدولة الثانية عشرة في مصر الذي ارسله الى بلاد ادوم وجرار وغيرهما من الاعمال في جنوبي فلسطين ليتجسس امورها و يستكشف احوالها ولم يرَ في ذلك الكتاب ذكر الكنعانيين وارداً في جملة من كانوا في تلك الايام ايام الدولة الثانية عشرة ساكنين في تلك البلاد من السائيين والجبابرة والسائيون هم من القبائل السامية واما مهاجر الكنعانيين فهي على ما رواه هيرودوت ماخوذاً عن التقاليد الفينيقية وما تلقاه استرابون من تقليد سكان بلاد العرب الجنوبية وفيما أُخذ من الاثار القديمة واقعة على شاطيء خليج العجم في جوار ولد عمهم كوش وقد قال بلين انه كان في ايامه عمل على ذلك الشاطيء يسمى بلاد كنعان وذكر استرابون جزيرتين هناك كانتا تسميان صور وارواد وقال ان بهما هياكل تشبه هياكل الفينيقيين اما اسباب ارتحالهم فقد اختلف المؤرخون فيها فقال هيرودوت ان السبب هو حدوث زلزلة شديدة في البلاد التي هاجروا منها وقال مؤرخو العرب فيما رواه العالم برسفال في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام ان السبب في انتزاحهم حرب اضطرمت نيرانها بينهم و بين سلالة نمرود وروى لانورمان ان الكنعانيين هجروا مواطنهم بما وقع لهم مع الملوك الكوشيين من النزاع ·

ينتج من كل ما تقدم انه مهما تضاربت آراء المورخين فيما يتعلق بمهاجر الكنعانيين والاسباب التي بعثتهم على المهاجرة قد اتفقت على ان هوءلاء الاقوام اتوا سورية من بلاد اخرى وان سورية كانت قبلهم قد اهلت باقوام آخرين

فينيقية

ان الكنعانيين سكان السواحل قد سموا فيما رواه مسبيرو فينيقيين وان هذه التسمية بحسب التقاليد اليونانية مشتقة من فينكس ابن اجنور واجنور مرادف بيل اله الفينيقيين وقد ذهب جمهور من المؤرخين الى ان فينكس انما يراد بها الشعب الاحمر وهذا إما لان الفينيقيين استوطنوا وقتاً طويلاً سواحل البحر الاحمر (الاريتره) واما لانهم انشأوا معامل للمنسوجات الارجوانية في محالهم التجارية واما لاحمرار لون وجوههم وان الراي المتبع حتى هذه الايام الاخيرة هو ان فنيكس يراد به النخل وفينكسية يراد بها بلاد النخل وقال مسبيرو ايضاً ان فنيكس لفظ توسع فيه مأخوذاً من فون او بوني اسم قديم اتى به الكنعانيون من منازحهم وصحبهم في جميع البلدان التي استقروا فيها فان أقدم الآثار المصرية قد جاء فيها ما يدل على اطلاق اسم بوني على الاقاليم الشرقية لبلاد العرب فكنعانيو الخليج العجمي اتوا باسم فينيقية الى سورية وفينيقيو سورية اتوا به الى افريقية وفينيقيو افريقيا نشروه حتى ابلغوه قواصي مستعمراتهم

ان الاسفار المقدسة التي كتبت باللغة العبرانية لم يرد فيها اسم فينيقية بل جاء فيها اسم كنعان و بلاد الكنعانيين واما سفر المكابيين واسفار العهد الجديد فقد ورد فيها اسم فينيقية لانها كتبت باللغة اليونانية والظاهر من ذلك ان الاسم فينيقي يوناني وقد قيل ان تأويله النخل لكثرة النخل في البلاد التي سميت بهذا الاسم ودليله وجود صورة النخل على

المسكوكات [1] القديمة في فينيقية وبعض مستعمراتها

وقد افرغ العلماء جهدهم في التنقيب عن اصل لهذا الاسم في اللغة السامية فلم يدركوا المرام وقد وهم العالم بوشار ان فنيق مشتق من لفظ «بني عناق» وهم قوم من الجبابرة الكنعانيين وجدهم الاسرائيليون بارض حبرون كما يتبين ذلك من سفر العدد في العدد الثالث والعشرين والتاسع والعشرين من الفصل الثالث عشر منه ومن سفر يشوع في العدد الحادي والعشرين من الفصل الاول منه والحقيقة ان هذا الاشتقاق بعيد الاحتمال بما في ذلك من مباينــة الحروف بين اللفظين وان اسم فينيقي في غالب الظن اطلق على سكان السواحل الذين كثر في ارضهم النخيل وانتشرت معامل منسوجاتهم الارجوانية

وجملة القول ان هذا الاسم قد تسمى به سكان سواحل لبنان زمناً مديداً

---

(١) ان شعار المسكوكات والاوزان يكون في الغالب مما له مزية عند القوم خصوصية كان يكون معتبراً عندهم او عزيزاً لديهم بما يترتب لهم عليه من الفوائد فمن جملة ما وجد على بعض المسكوكات والاوزان الفينيقية من الرسوم التي اتخذت شعاراً في بعض المدن الفينيقية في عهد السلوقيين اي عهد اليونان الذي يبتدىء سنة ٣١٣ ق٠م كمدينة بيروت وارواد واللاذقية رسم شوكة مثلثة الاسنة وهو شعار لمدينة بيروت كثيراً ما يوجد على نقودها منفرداً او مصحوباً برسم دلفين ملتف على نصاب الشوكة وكذلك رسم مرنحة (صدر سفينة) على نقود ارواد ورأس خنزير بري على بعض نقود اللاذقية ومعلوم ان الملاحة كان لها المقام الاول عند الفينيقيين وربما كان رأس الخنزير البري رمزاً لما جاء في حكاية ادوني او تموز التي سلف ذكرها في ما تقدم من الفصول

وقد وجد الدوكتور جول روفيه احد اساتذة المكتب الطبي للاباء اليسوعيين ببيروت وزناً عليه رسم تلك الشوكة وكتب مقالة في هذا الشأن مدرجة في (مجلة المشرق عدد ١ ص ١٧ و١٨ و١٩ و٢٠)

كانوا فيه بالغين اقصى درجات العمران والحضارة بين امم تلك القرون الخوالي وكانت سفنهم تتهادى فوق امواج البحار وما لغيرهم من سائر الامم والشعوب خشبة طافية فوق الماء لان اول سفينة جرت في البحر (بعد سفينة نوح) انما هي سفينة فينيقية فعدوا لذلك اصحاب اكتشاف [1] الملاحة في البحار وقد بلغت تجارتهم مبلغاً من النجاح عظيماً وراجت عندهم الصناعة بما كان يتيسر لهم من نقل سلعها الى غيرهم من الامم وقد كثر عدد سفنهم كثيراً حتى قيل عن صور انها مليكة البحار وربة التجارة وقد اتجر الفينيقيون بصنوف كثيرة ومما رواه النبي حزقيال نتبين هذه الصنوف والبلدان التي امتدت التجارة الفينيقية اليها فقد جاء من كلام النبي على صور «والمراد بها مملكة صور اي فينيقية» في الفصل السابع والعشرين في العدد الثاني عشر منه «ترشيش (يريد اسبانيا) متجرة معك في كثرة كل غنى وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقك» ثم ذكر في العدد الثالث عشر ياوان وتوبل وماشك (وياوان بحسب التقليد العام جد اليونان في اسيا واوربا وتوبل وماشك وردا في الآثار المسمارية باسم تابالي وماشكي فمساكن التابالين فيما قال يوسيفوس بين بحر قزبين والبحر الاسود حيث هي كرجستان واما مساكن الماشكين فحسب راي الاقدمين كانت في الشمال من اشور) فقال «ياوان وتوبل وماشك متجرون معك وبنفوس

(١) ورد في ما بقي محفوظاً من تاريخ سنكن يتن الفينيقي ان اكتشاف فن الملاحة كان اتفاقاً وذلك ان قوماً من الفينيقيين كانوا قاطنين في سواحل سور يا بين آجام كبيرة فحدث ان صاعقة انقضت على رؤوس بعض الاشجار فاتقدت الاشجار بنارها واندلع لسان اللهيب الى ما بقي من الاشجار فلما لم يرَ اهل تلك الناحية نجاة من النار قطعوا ما وصلت اليه ايديهم من اخشاب تلك الاشجار من فضالة النار ثم القوها في البحر وساروا

الناس وآنية النحاس اقاموا موسمك» وفي العدد الرابع عشر « آل توجرمة بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك » والمراد بآل توجرمة الارمن فمن تقليدات الارمن ان جدهم يسمى ترجموس او ترجوم . وفي العدد الخامس عشر « وبنو ددان متجرون معك وجزائر كثيرة تجار يدك وقد ادت قرون العاج والابنوس قياضاً لك » والمراد بني ددان اهل الجنوب من العربية وجزائر البحرين . وفي العدد السادس عشر « آرام متجرة معك في كثرة صنائعك وبالبهرمان والارجوان والوشي والكتان والمرجان والياقوت اقامت اسواقك » والمراد بارام ارام الشمال وارام الجنوب بسوريا ومابين النهرين . وفي العدد السابع عشر « يهوذا وارض اسرائيل متجرتان معك وبحنطة منيت والحلاوى والعسل والزيت والبلسان اقامتا موسمك » والمراد بيهوذا وارض اسرائيل بلاد فلسطين . وفي العدد الثامن عشر « دمشق متجرة معك بكثرة صنائعك من اجل كثرة كل غنى لك بخمر حلبون (حلب) وبالصوف الابيض : وفي العدد التاسع عشر « دان وياوان بالغزل اقامتا اسواقك وكان في موسمك حديدها المصنوع وقصب الذريرة » (وهو يستعمل اما للصبغ واما للتداوي به) وربما كان المراد بدان لضمها الى ياوان جزائر البحر المتوسط . وفي العدد العشرين « ددان متجرة معك بالنمارق » وفي

عليها في مجاهلهم وكان قائدهم اوزوروس ثم سعى الملاحون بعد ذلك تحسين شأن تلك المراكب الاولى وكان القائم بذلك العمل كريزور الذي اشتهر بعدئذ باسم الاله فلكان وقيل ان اول من اكتشف فن الملاحة انما هم المصريون اتخذوا لهم زوارق من نبات البردي لينجوا من النيل في ابان فيضانه السنوي وقد رسمت صورة قارب من القصب البردي رسماً ناتئاً على بعض آثار قدماء المصريين المحفوظة في متحف اللوفر في باريس (مجلة المشرق عدد ٥ ص ٢١٧)

العدد الحادي والعشرين « العرب وجميع رؤساء قيدارهم تجار يدك بالحملان والكباش والتيوس فانهم بهذه اتجروا معك » وفي العدد الثاني والعشرين « تجار شبا ورعمه متجرون معك وبافضل كل طيب وبكل حجر كريم وبالذهب اقاموا اسواقك » والمظنون ان المراد بشبا قوم استوطنوا على شاطئ بحر عامان وبرعمه قوم سكنوا على الشاطئ الغربي من خليج العجم. وفي الثالث والعشرين والرابع والعشرين « حاران وكنة وعادان وتجار شبا واشور وكلمد متجرون معك هولاء يتجرون معك بالانسجة الفاخرة باردية من السمنجوني والوشي وبالنفائس من الثياب المبرمة المشدودة بالحبال المكومة بين بضائعك » وقد جاء في اقوال هوميروس ان الفينيقيين كانوا يتجرون بالرقيق كما قال النبي حزقيال وقد بحث العلماء في المحال التي ذكرها النبي حزقيال بحثاً طويلاً وفندوا ذلك تفنيداً ليس من شأننا استيعابه في هذا المقام فان الذين كتبوا تاريخ سوريا كالعلامة المطران يوسف الدبس وغيره قد استوعبوا ذلك بالتفصيل وحسبنا ان نقول ان الفينيقيين اتجروا مع اهل اسيا ومع اهل افريقيا ومع اهل اوروبا تجارة كبيرة في اليابسة والبحار فقد احتكروا التجارة في مصر مدة اربعة قرون بجزية كانوا يدفعونها الى الفراعنة فحمتهم الفراعنة (١) فاتسع نطاق تجارتهم البحرية في ظل تلك الحماية فان الفينيقيين قد انتفعوا من الفتح المصري خلافاً لسائر الشعوب السورية ولم يمسهم شيء من الضرر والاذى في اثناء المحاربات لبعد مواطنهم عن ممر العساكر التي كانت تسير من غزة الى اشدود فمجدو

---

(١) وقد كان من مصلحة الفراعنة ان لا يسيئوا الى الفينيقيين لافتقارهم الى اساطيلهم عند الحاجة

(وهذه كانت محطة الحروب بين المصريين والسوريين) ومن هنالك الى قادش الجنوبية ثم بين اللبنانين الى قادش الشمالية فحماه فحلب حتى كركميش وقدلبث سكان جبيل وبيروت وصيدا وصور دائنين لسلطة الاجانب من الفراعنة منذ عصر تطمس الاول الى عصر رعمسيس الثاني وكان لهم امتياز ان يتجروا مع مصر وبواسطة ذلك الامتياز قد تسنى لصيدا بعد ما حلت من حيث السيادة بين الفينيقيين محل جبيل ان وسعت في نطاق فن الملاحة و بلغت ذروة المجد والغنى

لما كان الفينيقيون قد كلفوا بجمع الثروة من ابواب التجارة والصناعة مدفوعين الى ذلك بمقتضى حال مواطنهم نزعت نفوسهم الى الاستعمار ولا سيما في ايام سؤدد صيدا فكانت جالياتهم في قبرس ورودس وقد وجد في كريت آثار لهم تدل على انهم استوطنوا هذه الجزيرة مدة من الزمن وكذلك في بلاد اليونان فقد قال هيرودوت عن اهل تابس ذات الابواب السبعة انهم فينيقيون من القوم الذين صحبوا قدموس الى بواتسيا وعلموا اهلها حروف الهجاء الفينيقية وقد ذهب جماعة المؤرخين مذهب هيرودوت ووافقهم لانورمان وخالفهم الاب دي كارا فانه رأى ان الذين اتوا بواتسيا هم حثيون لا فينيقيون وقد كانت للفينيقيين محال تجارية في شطوط الايبر وجنوبي ايطاليا وفي صقلية وقرطاجنة و بلاد العرب والكلدان وارمينية وكانت سفنهم تجتاز بوغاز الدردنيل و بحر مرمرا والبوسفور الى البحر الاسود وتسير فيه حتى تبلغ جنوب جبل قاف فتأتي من هنالك بالمعادن الثمينة ولا سيما الذهب وقد انتشرت معارف الفينيقيين وآدابهم وعبادتهم في جميع الاماكن التي داستها اقدامهم كما يدل على

ذلك ما بقي من آثارهم اما مدن فينيقية السورية فهي ارواد عاصمة الارواديين من بني كنعان وكان موقعها في الجزيرة المعروفة حتى الان باسم ارواد وماراتوس المعروفة الان بعمريت (١) وسيميرا عاصمة الصماريين وقال لانورمان انها في الجنوب من عمريت بالقرب من مصب النهر الكبير وعرقة عاصمة العرقيين وهي معروفة باسمها حتى اليوم وارتوسيا وهي طرسوس او بلدة اخرى تقرب منها وطرابلس وهي التي سماها اليونان تريبوليس اي المدن الثلث وقلموس والمظنون انها كانت في محل القلمون اليوم وجيفارتوس وترياريس ولا يعلم موقعهما حتى الان والبترون (٢) وجبيل وهي من اقدم المدن وبانيها بحسب التقليد الاله ايل وبيروت وهي قد اسسها اهل جبيل وخلدوا وموقعها يظن انه في محل خلدة الان ويورفيريون ويظن ان موقعها في المحل المعروف اليوم بالجية وصيدون القديمة وهي صيداوسربتا المعروفة الان بصرفند وصور واوس واسمها اسكندرونة كما سماها اليونان وكيكينا وكان اسمها في ايام السلوقيين اللاذقية والان تسمى ام العواميد واكزيب وهي المعروفة اليوم بالزيب وعكا وهي التخم الجنوبي لبلاد الفينيقيين وقد انقسمت هذه المدن على غير تساوٍ بين القبائل على اختلافها فافضى الامر الى ان تألفت منها ممالك صغيرة كل مملكة منها مستقلة عن اخواتها فكانت مملكة الصيدونيين ومملكة الجبليين ومملكة العرقيين ومملكة السينيين ومملكة الصمريين وفي بادىء الامر كان للجبليين على جميع

---

(١) قال لانورمان انها اعظم ما بقي من آثار مباني الفينيقيين

(٢) ليست عريقة في القدم وقد روى يوسيفوس عن بعض القدماء ان ابتوبعل ملك صور بناها

الفينيقيين سلطة حقيقية وكان لهم مملكتان مملكة جبيل ومملكة بيروت فجبيل كانت تفتخر بانها اقدم مدينة في العالم وانها قد بناها الاله ايل في صدر الخليقة في مكان غير المكان الذي وجدت فيه بعدئذٍ وقد افتخرت بيروت بان بانيها الاله ايل ايضاً وهاتان المملكتان كانتا ضعيفتين لا تستطيعان حفظ استقلالهما فاندرستا واخذت مدنهما واراضيهما واذ ضعفت جبيل فلم تلبث صيدون ان اصبحت من اعظم المدن الفينيقية مع انها في اول نشأتها كانت بلدة حقيرة لصيد السمك كما يدل عليه اسمها وكانت في المنزلة دون صور وجبيل وبيروت والذي انشأها بحسب التقاليد انما هو ابل الذي انشأ صور وهو اجنور اليونان

ان الاسباب التي بعثت الفينيقيين على ان يلتمسوا الكسب من ابواب التجارة هي التي بعثتهم على اتقان الصناعة فبينما كان غيرهم من الامم يسعى الى اعلاء شأنه بقوة السلاح في ميادين القتال اذا هم كانوا مشتغلين باتقان الصناعة والبحث عن محسناتها فقادهم الاتفاق الى اكتشاف اللون الارجواني واستخراج مواده من حيوانات بحرية من ذوات الصدف مما كان يوجد على شاطئ البحر بين حيفا وصور وعلى بعض الشواطئ اليونانية فكانوا يستخرجونه لصبغ البرفير الذي رغب فيه القدماء واتخذه ملبساً كثيرٌ من الملوك ولا سيما ملوك اشور وارام وبابل وفارس ومدين كما يتبين لنا ذلك مما ورد في نبوات حزقيال وارميا ودانيال وكانت الملابس من هذا الصنف ينفق في اثمانها اموال كثيرة حتى قيل ان احد قياصرة الروم لما سألته زوجه ان تلبس البرفير ابى ذلك عليها لما ان الدولة تتحمل به نفقة كبيرة وقد مهر الفينيقيون في صناعة الصبغ على اختلاف انواعها وتوفرت

لديهم مواد الصبغ فكانوا يأتون بنوع من النبات من بلاد العرب لونه كالارجوان

ومن اشهر المصنوعات الفينيقية الزجاج وقد قيل ان المصريين سبقوهم الى استنباطه ولكن الزجاج الذي كان يصنعه المصريون لم يكن شفافاً كالزجاج الفينيقي واما معامل الزجاج الفينيقي فكانت في صيدا وصرفند و يوجد في متاحف اوربا كثير من مصنوعاتها مما يبين منه مهارة الفينيقيين في هاته الصناعة وقد اشتهر الفينيقيون بصناعة النقش والحفر وعمل الآنية الخزفية والمصنوعات المعدنية ولاسيما الصفر (النحاس الاصفر) و يؤيد ذلك ما جاء في الفصل السابع من سفر الملوك الثالث اذ قيل « وارسل الملك سليمان فأخذ حيرام من صور وهو ابن ارملة من سبط نفتالي وابوه رجل من صور صانع نحاس وكان ممتلئاً حكمةً وفهماً ومعرفةً في عمل كل صنعة من النحاس فوفد على الملك سليمان وعمل كل صنعته » وما جاء ايضاً في الخطوط الهيروكلفية على عهد الدولتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة في مصر من ذكر آنية النحاس من صنع الفينيقيين موصوفة بكونها بديعة الصناعة مستكملة الاتقان وجاء في كتاب استرابون ان الفينيقيين كانت تجارهم تبعث الى جزائر بريطانيا اسلحة من الصفر وآنية خزفية وقد وجد في جزيرة قبرس وفي تسكانا من اعمال ايطاليا كؤوس مصوغة من معادن ثمينة بايدي الصاغة الفينيقيين وذكر النبي حزقيال ان الصوريين كانوا بارعين في صنع العاج ومعلوم انه لم يكن عسيراً عليهم استجلاب اسنان الافيال وقد بلغوا بتجارتهم الهند وشمالي افريقيا وقد اشتهر الفينيقيون بصنع الاطياب ايضاً

تبين لنا مما تقدم ان ارض الفينيقيين لم تكن خصبة وسهلة المراس مثل ارض غيرهم من اقربائهم الكنعانيين والاراميين ومع ذلك فانها كانت متقنة زراعتها ولم تزل اثار الاصلاح بادية فيما اشتغلت به ايديهم منها كما يتبين هذا في ارض سواحل لبنان ولا سيما الجنوبية منها فانهـا مقطعة بجدرانٍ تقطيعاً يصون ترابها و يسهل مراسها لنصب الكروم فيها ومهما غيرت الحوادث الطبيعية من حالتها وقلبت سيول الامطار من وجهها المتحدر وغيرت اشجار الغابات من وضعها فانه لا يغرب عن الناظر المحقق اثر ذلك التقطيع بتلك الجدران لانه لم يعفُ بل هو باق ينطق بمهارتهم واجتهادهم وذكر لانورمان كثرة كروم العنب للفينيقيين في ضواحي صور وصيداو بيروت وجبيل وانهم كانوا يعصرون منهاومن عنب لبنان خمراً جيدة فاقت بشهرتها في ايامها جميع اصناف الخمر حتى رغب اهل رومة و بلاد اليونان فيها كثيراً وقال رنان انه اكتشف في ضواحي صور آلات للحراثة بالغة في المتانة والاتقان مبلغاً تفوق به غيرها من الآلات المستعملة اليوم وليس بكبير على الفينيقيين ان يصلحوا ارضهم و يصنعوا لها مثل تلك الآلات وقداشتهروافي فن الكسب من ابواب التجارة والصناعة ونما فيهم الميل الى الاقتصاد والتدبير فلا غرو انهم لم يدعوا شيئاً لهم ربح منه الا اتوه واستدروا المنافع منه بقدر ما وصل اليه امكانهم

ان الفينيقيين فيما اجمع القدماء عليه هم اول من وضع الكتابة بالحروف وجاءوا بها اليونان وقيل انهم اخذوها عن الخطوط الهيروكليفية واثبت هذا العالم شمبوليون الذي اشتهر بحل الرموز الهيروكليفيـة وروى هيرودوت ان الفينيقيين الذين صحبوا قدموس الى اليونان ادخلوا بين

هؤلاء علوماً مختلفة منها علم حروف الكتابة واثبت هذه الرواية ديودور وتاسيت وميلا ويوسيفوس وكلامانس والكسندريتوس واوسابيوس وقال رنان ان حروف الفينيقيين كانت صنفاً في جملة اصناف البضائع التي كانوا يشحنونها وجاء في كتاب لانورمان ان الحروف الفينيقية هي ام لجميع الحروف فمن هذه الحروف ما تفرع منها مباشرة ومنه ما تفرع عن فروعها والسبب في ذلك كله اسفار الفينيقيين للاتجار فانهم اذاعوا حروفهم في معظم المعمور من الارض كما نشروا تجارتهم فيه اما لغة الفينيقيين فسامية وان كانوا كنعانيين وهي اخت اللغة العبرانية التي تكلم بها العبرانيون من الساميين واخت اللغة العربية التي تكلم بها العرب من الساميين ايضاً اما علوم الفينيقيين فلا شك انها كانت اوسع نطاقاً من علوم جميع الامم في تلك الاعصر القديمة لانه يستحيل ان يبلغ هؤلاء القوم ما بلغوه من اتقان التجارة والصناعة ما لم يكونوا قد برعوا في العلم فان الحركة الفكرية التي دفعتهم الى استيفاء معدات الحضارة ساقتهم الى مباحث العلم ولكن لم يبق لنا من آثار علومهم ومن كتبهم شيء يذكر الا ما ترجمه فيلون الجبيلي من كتاب سنكن يتن البيروتي وما نقله اوسابيوس و برفير والدمشقي من بعض المقاطيع منه وهو يشتمل على الكلام في اصل العالم وموالد الالهة الفه سنكن يتن واتحف ابيبعل ملك بيروت به . اما ديانة الفينيقيين [1] فلا يعلم من امرها الا ما دلت عليه اقوال سنكن يتن وما

---

(١) قال برو « مجلد ٣ صفحة ٧٦ » من بحث في ديانة الفينيقيين وجد انهم اخذوا معبوداتهم واسماءها عن الكلدان لانهم اتوا من جوارهم وكسوها بملابس مصرية لانهم كانوا في اول امرهم خاضعين لمصر .

وجده الباحثون من المسكوكات والاصنام الصغيرة في قبرص

قال اوسابيوس « انه من المعلوم الثابت ان الفينيقيين والمصريين هم اول من جعل الالوهية في الشمس والقمر والكواكب وصرح بانها علة للحيوة والموت» اما المصريون فكانوا يسمون معبودهم الشمس رع او عمون رع والكنعانيون يسمونه بعل شمائيم اي رب السموات واما الاسم الذي انتشر اكثر من غيره من جميع الاسماء فهو ايل اي القوي والاول وهو الذي كان الجبليون يسمون به اخص الهتهم وقد جرى هذا الاسم على السنة الآراميين والكنعانيين والعرب ونطق به يسوع المسيح وهو على الصليب حيث قال (ايلي ايلي لماذا شبقتني) يعني الهي الهي لماذا تركتني وهو اقدم من غيره من الاسماء وربما كان اراميًا نطق به الجبليون القدماء قبل سؤدد الفينيقيين والاتفاق في هذه التسمية بين العبرانيين وسائر قبائل الاراميين وبين الجبليين يدل على وحدة اصلهم من سام . وقد اتخذت العشائر الارامية والكنعانية اسماء اخرى كل اسم منها يدل على صفة من صفات الالوهية. فالحثيون الشماليون سموا الاله ست اوستخ وارادوا به القدير على كل شيء وبعض الاراميين هدد وارادوا به الواحد الاحد والعمونيون ملوك (ملوخ) وارادوا به الملك والمتسلط وغير ذلك كثير مثل عليون اي العلي وبعل اي السيد وادوني اي سيدي وايون اي الازلي وكبير اي الكبير وقدم اي القديم اما اليهود فهم وحدهم الذين حفظوا للاله الاسماء بمعانيها الحقيقية المطلقة خلافًا لجميع القبائل الكنعانية والارامية فانهم عددوا الالهة بتعداد الصفات وجعلوا منها ذكورًا واناثًا يتزوجون ويتوالدون ولم يكتفوا بذلك بل خصصوا الالهة بالامكنة فكان مثلاً بعل صيدا وبعل صور

وبعل لبنان وبعل حرمون وبعل دامور وبعل فاغور وبعل زبوب وبعل بيريث وبعل ترز وبعل ترسوس وبعل جاد وبعل حامون وبعل شاليشا وكان كثير منهم يضيفون اسماءهم الى بعل تبركاً به كما كانوا يضيفون اسماءهم الى ايل

اما الحكايات التي اذيعت عن ايل فكثيرة قال سنكن يتن ان ايل طاف جميع الآفاق ووزع ممالك الارض على ابناء خاصته كافة وقد نسبت له غزوات كثيرة وكانت له زوج اسمها سميرام فولد له منها بيك فسماه زوس (زفس) اي المشتري فلما بنى ايل اسوار بابل عهد بالحكم الى زوجه سميرام وسار هو بجيش جرار ليفتح المغرب وقد كان له ذلك واخضع جميع العالم لسلطته وانشأ المدن واقر السلطات وهذب العالم ومن اعظم ما بناه من المدن مدينة نصيبين فيما وراء الفرات ومعناها بالفينيقي الاعمدة ثم بنى مدينة كرونية وهي المعروفة اليوم بمنبج وبلغ ارمينية وضم الى مملكته جزيرة رودس واكريت وانتصر على سواحل افريقية وتجاوز شطوط اسبانيا حتى بلغ ايطاليا ثم انتهى الى صقلية حيث مات ودفن . وجملة القول ان ايل الذي كان له المظهر الاول والشأن الاعظم في مدينة جبيل تسلط على عالم الاقدمين تسلط الاله والملك ومن جملة معبوداتهم ادوني وهو تموز وله حكاية ذكرها عدة من المؤرخين وقد سبق لنا ان اثبتناها في ما تقدم فنجتزىء الان بالاشارة اليها . وقد عبد الفينيقيون عشتروت ايضاً وهي قد اتخذت لها فيما رواه سنكن يتن رأس الثور رأساً وهذا اشارة الى ملكها ولم تحصر عبادة عشتروت في الفينيقيين بل سرت الى غيرهم من الامم القديمة فعبدوها باسماء مختلفة قيل ان احد المؤلفين القدماء عد

من هاته الاسماء ما ينيف عن ثلثمائة اسم تداولتها السن الشعراء

يؤخذ من اقوال لانورمان ان الفينيقيين كان عندهم نوعاً من الثالوث فكان في صور ملكرت[1] و بعل وعشتروت وفي صيدا بعل وعشتروت واشمون وفي قرطاجنة حيث كانت جالية منهم تانيت و بعل حمون واشمون وفي جبيل ايل وادونيس و بعلة جبيل وكان كذلك في مصر فكان في ثاب امون رع وهو الاله الاعظم وموت زوجه وخنسو ابنه وكان الثلاثة الهاً واحداً. ثم ان الفينيقيين قد حفلوا اكثر من سائر الامم بامر القرابين وتغالوا فيها حتى انهم كانوا يضحون بابناء نوعهم للالهة قال برو في كتاب له في تاريخ الصناعة في القدم «ليس في آثار المصريين او الكلدان ما يدل على ان هولاء الاقوام اكرموا الالهة بالضحايا البشرية بل انفرد السوريون بذلك ونقلته جالياتهم الى قرطاجنة وكان يسوغ لهم ان يستبدلوا الضحايا البشرية بحيوانات وطيور من الاوالف والدواجن او ان يعتاضوا عنها بشيء من النصب او التماثيل اكراماً للآلهة او بخدمة هياكلها مدى العمر او شطراً منه» وقال بعض الباحثين في احوال الفينيقيين ان العشائر الكنعانية لم يكن لها في اقدم ايامها هياكل ومعابد بل كانت تعبد الهتها على قمم الجبال والمشارف فتنصب عموداً او صخراً تسميه بيت ايل والحال ان صناعة اشادة الهياكل قديمة في الفينيقيين بدليل قدم عهد الهيكل الذي شادوه في صور وهو هيكل ملكرت واستدعاء سليمان المهندسين الفينيقيين اليه لبناء هيكله واما ايل و بيت ايل وغير ذلك مما يختص بابل فلا يبعد ان

---

(١) ملكرت اصله مالك قريت ملك المدينة اي ربها فجعل ملكرت او ملقرت

يكون ماخوذاً امر العبادة فيه عن الاراميين اسلاف الكنعانيين في بعض المدن الفينيقية مثل جبيل وغيرها ومما يثبت هذا احتفاء الاراميين بهذا الاسم وتبركهم به اكثر من غيرهم من جميع القبائل كما يدل عليه اضافة اسماء ملوك الشام اليه وشيوعه بين اخوانهم بني اسرائيل ثم انهم كما اخذوا عن الكلدان وعن المصريين شيئاً من عبادتهم فكذلك اخذوا عن الاراميين . وقد جاء في سفر الملوك وصف كهنة بعل وعشتروث عند الفينيقيين كيف كانوا في اعيادهم يلبسون ملابس النساء ويخضبون وجوههم ويزججون حواجبهم ويكحلون عيونهم ويعرون ايديهم الى الكتف ويشهرون السيوف ويتنكبون الحراب ويتأبطون الدفوف ويرقصون ويضجون ويلوثون شعورهم بالاوحال ويخدشون جسومهم بالسيوف والحراب وكيف فتك ايليا النبي في ثمانمائة وخمسين منهم جمعهم آخاب ملك اسرائيل ليبلو عبادتهم لبعل فذبحهم النبي عن آخرهم حذاء نهر قيشون عند الكرمل . واما ما بقي لنا من اثار الفينيقيين من حيث المباني فهو قليل جداً بالنسبة الى ما بلغوه من الترقي في الصناعة والتقدم في سلم الحضارة وربما كان السبب في ذلك امور منها ان هولاء الناس لم يكونوا يحفلون كالمصريين واهل ما بين دجلة والفرات بالمباني الفخمة الضخمة لكثرة الحجر عندهم وندوره عند هولاء والنادر عزيز في كل انٍ ومكان او لان الفينيقيين قوم عملوا على مسالمة الناس لينصرفوا بجملتهم الى التجارة وجمع الثروة فحصروا افتخارهم في هاته الوجهة فلم يقم فيهم ملوك يطرقون ابواب الجاه بتوسيع نطاق المملكة بالغزوات والحروب وتكليف الاسرى تشييد الاهرام وماشاكلها من المباني الضخمة حفظاً لاثارهم واحياءً

لجاهم واما لان المتسلطين على البلاد الفينيقية على اختلاف اجناسهم
وتباين مذاهبهم عمدوا الى تدمير تلك المباني لعلة دينية او لعلة اخرى
كأن الحاجة اضطرتهم الى اقامة الاسوار من حجار تلك المباني . ومما
بعث على قلب الاثار الفينيقية ولا سيما ما كان منها في المدافن من المصنوعات
البديعة الطمع في الكنوز فقد قال لا نورمان ليس في جميع الاقوام من
يحاكي الفينيقيين في دفن الاشياء النفيسة مع موتاهم ويتبين مما كتب
على مدفن ملكين من ملوك صيدا وهما تبنيت وابنه اشمون عازار من الدعاء على
من يمس قبريهما باذى . ان سرقة الكنوز من تلك المقابر كانت قديمة
العهد وقد استفحل امرها كثيراً في هذه الايام ورب سرقة كنز من تلك
الكنوز افقدت العلم باحوال الامم السالفة كنوزاً لا تقدر قيمتها واما مدافن
الفينيقيين فقد وجد منها كثير في صور وصيدا وجون و برجا وهما قريتان
في اقليم الخروب و بيروت وجبيل وغيرها من المدن والقرى وهي منقورة
في صخور منها ما يشتمل على قبر واحد ومنها ما يشتمل على اكثر من قبر

قد اسهبنا في الكلام على الفينيقيين لانهم هم الذين عمروا سواحل
لبنان في الاعصر القديمة وكان لهم المقام الاول في الحضارة والتمدن ولكن
لما كان غرضنا مقصوراً على لبنان بحسب تحديده الاداري في الحال
الحاضرة وكان الذين كتبوا تاريخ سوريا قد استوعبوا في كتبهم ما يشفي
الغليل من بيان احوال الفينيقيين وما حدث لهم مع الاشوريين والمصريين
والفرس واليونان والرومان والعرب رأينا من اللازم ان نتقيد بهذا الغرض
وان لا نخرج عنه الا لما يلتحم به من المواد التحاماً مكيناً

لقد عجب بعض المؤرخين كيف ان اسم لبنان بقي من العهد القديم

الى الان خلوا من شوائب التحريف والتبديل مما عرا غيره من الاسماء مثل سوريا وفينيقية وغيرهما من الاسماء التي اطلقت على ما اطلق عليه لبنان من الارض وعندنا ان السبب في ذلك البقاء امران عظيمان في جملة امور اخرى اقل عظماً منهما احدهما يتعلق بالاحوال الدينية والاخر بالاحوال السياسية اما الدينية فلأن ذكره وارد في الكتاب موارد الاذكار المقدسة فقد جاء في العدد السادس عشر من المزمور ١٠٣ «تروي اشجار الرب ارز لبنان التي غرسها» وقال النبي حزقيال وغيره من رجال الله في الكتاب اقوالاً يؤخذ منها ان لبنان كان ينظر اليه بعين التكريم والاحترام وزد على ذلك انه كان مظهراً للاله الذي كان له المقام الاول بين آلهة القدماء نريد الاله ايل الذي استغاث به يسوع وهو على الصليب . واما السياسية فلان دماء الناس بالغزو والفتح لم تغسل بياض لمته الذي اكسبه ذلك الاسم فانه كان في غالب الاحيان والاحوال كجزيرة في بحر من الدماء فالاسم الذي وضع له انما وضع لمزية بادية فيه لا يمحوها كرّ الايام وتوالي الاعوام وايضاً فقد كان لخشبه في عالم الدين وعالم الحضارة اثر ذاع اكثر من غيره من الاثار وبقي مدى الادهار مصوناً فصان بذلك الاسم ووقاه فلو سكتت الالسنة عن ترديده لنطق به هيكل سليمان ونشرته سفن الفينيقيين في جميع الاقطار .

اما ادعاء بعض اللبنانيين المسند الى ما لديهم من التقاليد ان مهد الانسان الاول في لبنان وان الفردوس فيه فهو مما لم يقم عليه دليل ولم يثبته برهان ومما ينفيه حكم العقل بداهة لانه يتعذر التصديق بان الانسان في حال الفطرة يستطيع ان يعيش في مكان من مثل ما يدعي اللبنانيون

ان جنة الفردوس كانت فيه كوادي اهدن المسماة وادي قديشـا ولكن هو الميل الى المفاخرة بالاصل يحمل الانسان على ادعاء امور كثيرة لا تنطبق على الواقع فان الهنود يدعون ان الفردوس انما كان بسفح مهاترو من جبال حملايا . وقد قال يوحنـا الدمشقي فيما يتعلق بتلك التقاليد «ان عدنًا الالهي وضع اولاً بنوع غير معروف في مكان مرتفع عن الارض باسرها في جهة كثيرة الاعتدال لا يعتريها ادنى تقلب في الازمنة او الفصول . اما هواؤه فصاف ولطيف ونوره معتدل وروائحه ذكية وربيعه وخضرته دائمان وازهاره لا تتقطع وبالجملة فانه يفوق بالبهجة والجمال جميع ما يقع تحت الحس او يخطر في المخيلة» .

وقس على ما تقدم جميع التقاليد اللبنانية فيما يتعلق بالاباء الاولين من مثل قايين وشيت وهابيل وغيرهم والذي ذهب اليه غالب العلماء ان الفردوس كان في جوار ما بين النهرين ولم يعينوا المكان تعيينًا صريحًا

وقد سألنا احد الافاضل ان نتوخى في كتابنا هذا بيان سكان لبنان القدماء من اي الاصول الثلاثة كانوا أمن سام ام حام ام يافث وسألنا ان نبين ايضًا حقيقة سكانه الحاليين اهم من بقايا السكان الاقـدمين . فيتبين لنا مما مر حتى الان ان الذين توطنوا لبنان بحسبما كان عليه في تلك الاعصر القديمة من سعة النطاق هم من الابوين سام وحام وهم الاراميون سكان دمشق وما حولها وسوريا المجوفة وربما امتدوا الى شاطئ البحر فتوطنوا جبيل قبل الكنعانيين والكنعانيون وهم سكان السواحل اللبنانية واما سكان لبنان اليوم فهم طوائف مختلفة يعسر الحاق كل طائفة منها بالسكان الاصليين فان هذه البلاد كانت قديمًا كما قلنا موطن الكنعانيين

وغيرهم من نسل سام وحام ثم أتاها الاشوريون والمصريون و بنو اسرائيل والماديون ثم استقلت مدة من الزمان ثم اضيفت الى مملكة مكدونية ثم الى المملكة الرومانية ثم افتتحها العرب و بعد ذلك غشيتها جيوش الصليبيين ثم تملكها التتر والدولة العثمانية فصار سكانها من كثرة تعاقب الاستيلاء عليها وحلول الاقوام المختلفة فيها طوائف من اصول مختلفة كما سيتبين ذلك

ان اقدم ما اتصل بالمؤرخين من حوادث فينيقية انما هو استيلاء الاشوريين عليها فان ديودورس قال ان فينيقية كانت من مملكة نينوس زوج سميرميس الشهيرة وهو ملك اشور في القرن الثاني والعشرين ق.م وقيل في القرن العشرين وراى موفرس ان في الاثار ما يدل على اجتياز الاشوريين سوريا وفلسطين مرتين مرة قبل المسيح بالفي سنة ومرة قبل المسيح بالف وثمانماية سنة وليس فيما وراء ذلك شيء ذكره المؤرخون او دلت عليه الآثار القديمة ثم عقب ذلك تسلط المصريين على فينيقية من اواسط القرن السابع عشر ق.م الى اخر القرن الثالث عشر وقيل من اواسط الخامس عشر الى اواسط الثاني عشر فان لانورمان يقول ان المصريين وقد اشتدت عليهم وطأة ملوكهم الرعاة [1] وذاقوا تحت

---

(١) كثيراً ما بحث العلماء عن اصل الرعاة ولم تجتمع اراءهم بعد ذلك البحث الطويل على امر واحد فمن المؤرخين القدماء من قال انهم من العرب ومن المؤرخين العرب مثل ابن الاثير من قال انهم عمالقة من نسل عمليق او عماليق واما اهل البحث في الاثار المصرية والشرقية من علماء عصرنا فلهم في اصل اولئك الرعاة اقوال متضاربة فقال بسبوس انهم حاميون من بني كوش اتوا من بلاد العرب المجاورة البحر الاحمر المسماة فوط او بونط ووافقه عليه مسبيرو وقال بروغش لا بل هم ساميون من سورية صحبهم اقوام من اقاليم عديدة وراى دي روجيه وابر انهم ممن

نير سلطتهم مرارة القسوة والعنف اتوا اسيا الوسطى بعد ما تيسر لهم طرد ملوكهم الرعاة الغرباء وافتتحوها بقلوب ملئها الحقد ونفوس ميالة الى الانتقام وابلغ تطمس الفتح حتى الفرات وآثار فراعنة مصر بادية على صخور نهر الكلب وفي قرية عدلون بالقرب من صور وفي المتحف البريطاني ورقة پاپيروس تتضمن ما يدل على ان مستسفراً مصرياً طاف المدن الفينيقية طوفة ارباب الحل والعقد فاتى جبيل وبيروت وصيدا وسرابتا (اي صرفند) ثم صور ثم حاصور (وموقعها فيما يظن فوق بحيرة الحولة الى جنوبي جبل الشيخ) وكانت صيدا في هذا الزمن ذات سلطة على اكثر المدن الفينيقية واما جبيل فكانت مستقلة بنفسها منفردة في اعمالها جالياتها في سائر الاقطار منفصلة عن جاليات الصيدونيين وهي فيما رأى موفرس اقدم منها ايضاً

وفي الزمن الذي فيه كانت كلمة المصريين نافذة في فينيقية وسيادتهم مستقرة عليهم خرج بنو اسرائيل من ارض مصر ثم دخلوا ارض الميعاد في منتصف القرن الخامس عشر ق·م وتملكوا البلاد وبعد ان ضربوا احدى وثلاثين امارة كنعانية وكان ما كان من امرهم في ايام موسى وفي ايام يشوع مما رواه الكتاب المقدس وفصله المؤرخون من اليهود من المواقع الحربية التي كان النصر فيها حليفاً للاسرائيليين وحرق يشوع حاصور

تسميهم الاثار المصرية ساتي وعمو والمراد بهذا رعاة اسياويون وقال ليالين انهم من فلسطين ومربات وسائس ولنورمان انهم حثيون واموريون وعيلاميون الى غير ذلك من الاقوال التي استوعبها العلامة المطران يوسف الدبس في كتابه (تاريخ سوريا مجلد ١ عد ٩٠) والذي ذهب اليه الاب دي كارا انهم حثيون وقد كتب في اثبات رأيه هذا مقالات ضافية تدل على ان مذهبه هو اظهر المذاهب

وغيرها ونهب مدناً كثيرة واستولى على جميع ارض الجنوب وارض جوشن والجبل والسهل والعربة من الجبل الاقرع الناتىء الى سعير والى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون · وفي اواخر القرن الثالث عشر ق·م هجم الفلسطينيون (وهم قوم اتوا سورية من كريت في اواخر القرن الخامس عشر) على صيدا ودمروها واسروا اهلها فانتقلت السيادة الى صور· ويظهر ان الفينيقيين في القرن الحادي عشر كانوا مصافين لبني اسرائيل حلفاء لهم حتى انهم كانوا يسرون كثيراً بما كان يناله داود من الفوز على الاراميين والفلسطينيين وقد بعث حيرام ملك صور الى داود بالصناع الفينيقيين والخشب من لبنان وكذلك ارسل الى سليمان بن داود من الفعلة والخشب ومات حيرام سنة ٩٤٤ ق·م وهو في الارجح حيرام الثاني بن ابيبعل بن حيرام الاول ثم خلف حيرام ابنه بعل عازار ثم خلف بعل عازار ابنه عبدعشتروت فتآمر على عبدعشتروت هذا ابناء ظئره الاربعة فقتلوه نحو سنة ٩٢٨ ق·م وخرج الملك من يد سلالة حيرام زمناً يسيراً ثم عاد اليها على يد عشترتوس بن بعل عازار بن حيرام فتبوأ تخت الملك ثم مات وخلفه اخوه عشتريم فقتل عشتريم اخوه فالس واستقل بالملك مدة ثمانية اشهر فسطا عليه كاهن عشتروت ايتو بعل وقتله واستبد بالملك وقد استحكمت للفينيقيين في ايامه السلطة على بني اسرائيل الذين كانوا يومئذٍ منقسمين وذلك لان امرأة اخاب ملك اسرائيل وهي ايزبعل ابنة ايتوبعل قد تسلطت على زوجها وملكت ارادته فجعلته آلة في يدها تديره كيف شاءت وهي كانت تحب ابناء جلدتها الفينيقيين وتعبد ما يعبدون فافسدت عبادة الاسرائيليين وحملتهم على ان يشركوا بالله آلهة

الفينيقيين ولبث الحال على هذا المنوال في بني اسرائيل حتى مات يورام
سنة ٨٣٠ ق٠م وفي بني يهوذا منهم حتى ايام يوآش الذي رقي منصة
الملك سنة ٨٢٣ ق٠م واما ايتوبعل الذي تقدم ذكره فهو الذي (فيما
رواه يوسيفوس في كتاب تاريخ اليهود عن ميندر المؤرخ اليوناني
الافسسي) بنى مدينة بتريس (البترون) في فينيقية وهي المدينة التي فيما
قال هذا المؤرخ لبثت زماناً طويلاً تصد اللبنانيين في غاراتهم على تلك
السواحل الفينيقية وكان ابتداء ملك ايتوبعل فيما رواه لنورمان
سنة٨٣٨ ق٠م وانتهاؤه سنة ٨٢٩ ق٠م

فيتبين مما تقدم من حوادث بني اسرائيل ان معظم ذلك انما كان
في الجانب الجنوبي من لبنان والجانب الشرقي منه واما مواطن الفينيقيين
فلم يرد من ذكرها في عرض تلك الحوادث الا بعض الشيء مما يتعلق
بصور وصيدا ٠ ومعلوم ان موسى قسم الكنعانيين الى جنوبيين وشماليين
وجعل صيدا تخماً شمالياً للجنوبيين وجرار وغزة تخماً جنوبياً كما يتبين ذلك
من سفر التكوين (فصل ١٠ عدد٩) ويعلم ايضاً ان العرقيين والارواديين
وغيرهم من اهل تلك الانحاء الشمالية كالصماريين والحماثيين كانوا كنعانيين
وهم الشماليون ثم انه لم يذكر لاحدى عشائر الكنعانيين مقام بين صيدا
وعرقا لا في الكتاب ولا في غيره ويوخذ من الآثار والتواريخ انه كان بين
الكنعانيين والجبليين والبيروتيين محالفة تدل على ان المتحالفين لم يكونوا
من قبيلة واحدة وحيث ان هذه الانحاء كانت لا تستوعب من السكان
الا الكنعانيين والاراميين وكان الآراميون اشهر سكان سوريا منتشرين
فيها الى دمشق وكانت جبيل فيما يظهر من الاثار والاقاصيص عريقة في

القدم وبيروت من مستعمراتها فالسكان الاقدمون في هذه السواحل سواحل لبنان كانوا آراميين حتى غشيت مواطنهم العشائر الكنعانية فاختلطوا بها ولا يعلم متى كان اختلاطهم ذلك والمرجح انه كان عند استفحال امر الفينيقيين وانتشار سطوتهم وامتداد ظل تجارتهم · ويظهر ايضاً ان العشائر الكنعانية كانت كل واحدة منها منفردة في امرها مستقلة بتدبير شؤونها لم تكن لتجمع بينها وبين اخواتها نكبة ولا ملمة ولبثت تلك العشائر كذلك حتى اجتمعت بالجامعة الفينيقية ومع هذا فقد لبثت غير ميالة الى التناصر والتكاتف

انه في ايام ايتوبعل الاول في اواسط القرن التاسع قبل المسيح استولى على فينيقية ولبنان احد ملوك الاشوريين اشور نسير بال كما يؤخذ ذلك مما كتب على تمثال له اكتشفه المستر لايرد في اسوار حصن نمرود وجعل في المتحف البريطاني اما الكتابة فهي « اشور نسير بال الملك العظيم الملك القدير ملك البلاد من ضفة دجلة الى بلاد لبنان (لبنان) ضرب سلطته على البحار الكبيرة وكل البلاد من مشرق الشمس الى مغربها » وقد نقر تاريخ استيلائه هذا في صفيحة من صخر وبالجملة فان هذا الملك دوخ بلاد امانوس (جبل اللكام) وعبر العاصي ثم سار حتى بلغ لبنان وملك سفحيه الى البحر والى سهل بعلبك والبقاع العزيز وضرب الجزية على ملوك صور وصيدا وجبيل وارواد التي في وسط البحر ومال الى الصيد في لبنان فاصطاد خنازير برية وبقراً وحشية واخذ منها بعضاً حياً وارسله الى اشور وقتل نمورة وضباعاً وثعالب واصطاد ايالاً وغزلاناً ونسوراً وغير ذلك

ن الوحوش [1] والطير وزار المعابد على قمم لبنان وقدم محرقة للآلهة فيظهر مما تقدم ان لبنان لم يكن آهلاً بالسكان بدليل كثرة انتشار الحيوانات فيه وعدم ذكر شيء من مدنه في جملة المدن التي استولى عليها الملك اشور نسيربال وانه انما كان موضعاً للمعابد المشيدة على قممه المحفوفة بالآجام الكثيفة التي اخذ الملك اشور نسير بال منها اخشاباً من السنديان وغيره وان العمران انما كان بسفحيه ثم مات ايتوبعل [2] الاول سنة ٨٤٤ ق٠م بعد ان ملك اربعين سنة ورقي منصة الملك بعده ابنه بعل عازار الثاني سنة ٨٤٤ق٠م ومات سنة ٨٣٨ ق٠م فملك ست سنوات وخلفه ابنه موتون فملك تسع سنوات وفي ايام هذا الملك اتى سلمناصر الثالث (وهو ابن اشور نز يربال) فينيقية واخذ الجزية من ملوكها بدليل ما وجد مكتوباً على مسلة نمرود حيث قال «في غزوتي الثامنة عشرة عبرت الفرات المرة الواحدة والعشرين وسرت بجنودي على مدن حزائل ملك دمشق واخذت الجزية من صور وصيدا وجبيل» فيظهر من كلامه هذا ومن غيره من اقوال المؤرخين ان الحرب اضرمت نيرانها على الدمشقيين واما الفينيقيون فاستسلموا لهذا الملك بدون حرب ودفعوا اليه الجزية وانه لم يدرج في اسماء الملوك السورية الاثني عشر الذين تحالفوا على سلمناصر

---

(١) يتبين من مقالة الاب غدفريد زموفن في الظران او الطور الحجري في فينيقية (مجلة المشرق صد٣ لسنتها الاولى) ان لبنان كان فيه كثير من الخنازير البرية والبقر الوحشية والسنور والدب والنمس والثعلب وابن آوى والارنب وصنفان من العنز والظبي والوعل والابل والفرس ومن الطيور الاوز والحمامة والحجل والشاهين

(٢) ان ايتو بعل هذا هو الذي بنى مدينة بتريس (البترون) في فينيقية

من اسماء ملوك الفينيقيين الا اسم ماتينبعل ملك ارواد

ثم ان موتون لما حضرته الوفاة عهد بالملك الى ابنه يكماليون وابنته اليسار على ان يملكا بالسواء اما يكماليون فانفرد بالملك وقتل زوج اخته اليسار اذ أوجس منه خيفةً فانتزحت اليسار الى ساحل افريقية وعمرت قرطاجنة (١) بالقرب من تونس ولقبت اليسار حينئذٍ بديدو ومعناه الهاربة وحدث في ايام يكماليون ان رامان نيرار الثالث اغار على فينيقية ومن بعد هذا بات الفينيقيون في سكينة ونعومة بال حتى استوى على عرش اشور تجلت فلاصر الثاني سنة ٧٤٥ ق٠م وكان ملك صور حينئذٍ حيرام الثالث فغزا تجلت فلاصر سورية مراراً وجاء في اثاره اسماء الملوك الذين ادُّوا له الجزية فكان في جملتها اسم حيرام ملك صور وسيبيتي بعل ملك جبيل ولما نوى تجلت فلاصر ان يعود الى نينوى بعد غزوته الاخيرة استمثل لديه من اخضع من الملوك فكانوا خمسة وعشرين ملكاً في جملتهم سيبيتي بعل ملك جبيل وماتان بعل ملك ارواد وفي اواخر القرن الثامن غشي الصيدونيون ارواد وافتتحوها على رضى من ملك صور واقروا جالية منهم

(١) ذكر يوستينوس المؤرخ اللاتيني ان اليسار سارت اولاً بجاليتها الى قبرس ثم الى سواحل افريقية حيث كانت جالية صيدونية عمرت مدينة كمبه منذ نحو من ستة قرون في محل تونس الان او على مقربة منه وكانت الجالية الفينيقية القديمة انحطّ قدرها وكانت تؤدي الجزية حينئذٍ الى ملك من الليبيين يسمى جابون فاشترت اليسار منه ارضاً لجاليتها وعمرت فيها مدينة سمتها « قرية حدثنا » اي المدينة الجديدة فكسر اليونان هذا الاسم وجعلوه « كرشيدون » وجعله الرومانيون « كرتاكو » وفي الافرنسية « كرتاج » وسماه العرب قرطاجنة فهذه المدينة بنيت سنة ٨٢٣ ق٠م وعلى قول آخرين سنة ٨٦٠ ق٠م للسنة السابعة من ملك يكماليون « تاريخ سورية للعلامة المطران يوسف الدبس ف٤ عد ١١٩ »

فيها فسادوا عليها

ثم خلف حيرام الثالث على عرش صور موتون الاول ولم يحدث في ايام هذا ما هو جدير بالذكر ثم استوى على العرش الولا سنة ٧٢٤ ق٠م وحدث في ايام هذا الملك فيما رواه يوسيفوس عن ميننذران الشيثيين في قبرس شقوا عصا الطاعة فجهز لهم اسطولاً وسار به اليهم فاخضعهم وان شلمناصر ملك اشور تسلط على فينيقية كلها وان سكان صور القديمة اي صور البرية وعكا وسكان مدن اخرى عديدة ثاروا على الصوريين وعصوهم مستسلمين الى ملك الاشوريين فجمع ملك اشور ستين سفينة بثمانمائة مجذف وسار بها بالفينيقيين لمحاربة الصوريين وكان اسطول هؤلاء مؤلفاً من اثنتي عشرة سفينة فكان الفوز للصوريين فعاد ملك الاشوريين مخذولاً وابقى بعضاً من جنوده يحمي النهر وقنوات الماء لمنع الصوريين من الاستقاء فاضطر الصوريون وقد لبثت الماء ممنوعة عنهم مدة خمس سنين ان يحتفروا آباراً للاستقاء فباتت صور منيعة لم يجد سلمناصر ولا خلفه سرغون الى فتحها سبيلاً واما سرغون الاشوري بعد سلمناصر فلم يتبين من اثاره انه تصدى للفينيقيين وانما غزا الفلسطينيين جيران فينيقيي الجنوب وجلا جماً غفيراً منهم الى بلاده وجعل في مكانهم جالية من بلاد الكلدان فجاء ذلك مصداقاً لنبوة اشعيا وقد ضم سرغون قبرص وهي مستعمرة فينيقية الى مملكته وكان ذلك نحو سنة ٧١٠ق٠م وكانت مدن فينيقية ما عدا صور تؤدي اليه الجزية اما الولا وقد بدا منه من الثبات في وجه سلمناصر وسرغون ما دل على بسالته وشدة بأسه فقد لبث مجاهراً بعصيان ملوك الاشوريين معللاً نفسه بالفوز والنصر حتى استوى على عرش اشور الملك

سنحاريب سنة ٧٠٤ ق٠م وفي سنة ٧٠٠ ق٠م زحف هذا الملك بجيشه الجرار الى فينيقية فاستسلمت له المدن الفينيقية بدون محاربة وادت له الجزية تخضع له عبديليت ملك ارواد ومناحيم ملك شمرون واور ملك جبيل وكذلك ملوك صيدا وسربتا (صرفند) واكو (عكا) واكزيب (الزيب) وغيرها من مدن فينيقية ولما بلغ سنحاريب صور البحرية وملكها الولا هم الولا بتحصين الجزيرة ونوى محاربة سنحاريب غير انه قد حبط مسعاه هذه المرة وخانته اماله فغلبه سنحاريب وافتتح الجزيرة ففر الولا فاقر سنحاريب في مكانه ايتوبعل الثاني وقد تبين ذلك كله مما كتب على صفيحة يقال لها تيلور ومما جاء في صفيحة اخرى جعلت في متحف القسطنطينية ٠ وصورة سنحاريب بادية على صخر عند نهر الكلب في جملة صور الذين غزوا البلاد الفينيقية فغشي الضعف بعد ذلك مملكة صور[1] ولم تعد تدفعها النخوة والحماسة الى الارتقاء الى ما كانت عليه من السيادة والرفعة وسرت النخوة في عروق مملكة صيدا فهمت بدفع نير سلطة الاشوريين عن عنقها وكان ملك الاشوريين حينئذ آسرحدون رقي منصة الملك سنة ٦٨٠ ق٠م وكان ملك صيدا عبد ملكوت فلما احس اسرحدون بما نواه ملك صيدا زحف الى صيدا بجنوده فحاصر المدينة بحراً وافتتحها عنوة ففر عبد ملكوت وبعض قومه بسفنهم يعللون انفسهم بالعود الى صيدا بعد جلا الاشوريين عنها فتبعهم

(١) ذهب لنورمان الى ان خذلان اهل المدن الفينيقية لصور وخيانتهم لها وتحيزهم للاشوريين كل ذلك لم يكن السبب فيه مقصوراً على الخوف من الاشوريين بل كان ذلك ناشئاً عن حسدهم لعاصمتهم صور التي كانت تعامل غير الصوريين معاملة الخدم لها لنورمان «مجلد ٦ ص٥٢٥»

آسرحدون بسفن فينيقية وادرك الملك فقتله ودمر المدينة وجلا بعض اهلها الى اشور كما يتبين ذلك مما كتب على صفيحة من صفائح اسرحدون وهو « غزوت مدينة صيدون على ساحل البحر واهلكت سكانها ودمرت اسوارها ومبانيها والقيت انقاضها في البحر وفر عبد ملكوت ملكها ليختفي من وجه سلطتي فقبضته الي وجعلت يدي على خزائنه من ذهب وفضة وحجارة كريمة وجلوت الى اشور عدداً كبيراً من الرجال والنساء واخذت بقراً وغنماً وركائب ودواباً للحمل واقمت سكان ساحل سورية في انحاء قاصية وبنيت في وسط بلاد الحثيين مدينة سميتها دراسرحدون (١) ووطنت فيها القوم الذين قهرتهم في الجبال التي في جهة جبال مشرق الشمس واقمت عليهم احد عمالي حاكماً » .

وعدد في اثر آخر الملوك الذين اخضعهم فكان في جملتهم بعل ملك صور وملكي اصاف ملك جبيل وماتان بعل ملك ارواد وصورة اسرحدون بادية على صخر عند نهر الكلب

وفي اواسط القرن السابع خلعت صور سلطة الاشوريين وملكهم حينئذٍ اشور بانيبال واشترك معها في العصيان بعض مدن فينيقية فحاصر اشور بانيبال العصاة وقهرهم ولبث حصار صور مدة سنين حتى اضطر اهلها ان يشربوا ماء البحر لنفاد مائهم وقد كتب في احدى صفائحه « قد ذللت بعلاً (ملك صور) وجعلت نير سلطتي على عنقه واتخذت بناته واخوات اخيه اماءً لي ومثّل لديّ يا ملك ابنه خاضعاً لي بتقادم لم يسبق اليّ مثلها ودفع الي بنته وبنات اخوته رهينة فعفوت عنه وجعلته ملكاً

(١) معناها مدينة او قلعة اسرحدون

على البلاد » اما ويكينلو ملك ارواد فانفرد بالمدافعة ولكنه غلب اخيراً فانتحر فراراً من وصمة العار بوقوعه يد الاشوريين فاسر اشور بانيبال ابناءه وهم ثمانية فقتل سبعةمنهم واستحيي اكبرهم اذ بعل وجعله على عرش ارواد فلبثت بعد ذلك فينيقية طائعة لاشور بانيبال سائر مدة ملكه . ثم وقع بعد ذلك ما وقع من المحاربات بين الاشوريين والكلدان مما أدّى الى خراب نينوى واستقرار الشوكة لنبوبلاسر الكلداني وانقراض الدولة الاشورية واقتسام ملك بابل وملك مادي لها وكان ملك مادي حينئذٍ شيكسر حليف نبوبلاسر غير ان نبوبلاسر لما رأى ان ملك مصر نكو قد بلغ بغزواته كركميش وخشي امتداد سلطته الى ما بين النهرين كما فعل سلفاؤه الملوك المصريون ورأى من نفسه ضعفاً عن ادارة الشؤون بنفسه ضم اليه في الملك ابنه نبوكدونصر واسمه عند العرب بختنصر مستعيناً به على مقاومة نكو ملك المصريين وفي سنة ٦٠٦ ق . م اجتاز بختنصر فينيقية يقفو اثر المصريين الذين انقلبوا على اعقابهم خاسرين فاستسلمت المدن الفينيقية للكلدانيين ثم اجتاز بختنصر سورية لاخضاع ملك يهوذا مرتين مرة في سنة ٦٠٢ ومرة ٥٩٩ ق . م وفي المرتين لم نرَ في الكتاب ولا في التواريخ ولا في الآثار ما يدل على انه تصدى للفينيقيين فانهم فيما يظهر كانوا مستسلمين له ثم حدث بعد ذلك ان عاد بختنصر الى سورية سنة ٥٩٠ ق . م وقد احس بخروج المدن الفينيقية عن طاعته لمحالفتهم ملك مصر وبعض ملوك أُخر من اهل جيرتهم فحصرت جنوده صور وملكها ايتوبعل مدة ثلث عشرة سنة فاضطر الصوريون بعد مقاومة شديدة ظهرت فيها بسالتهم وشدة بأسهم ان يخرجوا من المدينة البرية الى الجزيرة متحصنين فيها

فخربت الجنود البابلية المدينة وتركتها قاعاً صفصفاً وفي سنة ٥٧٤ ق٠م عاد بختنصر من بابل وكان قد ذهب اليها فتولى بنفسه امر محاصرة الجزيرة بعد ان كلت جنوده عن افتتاحها وشدد عليها فافتتحت وفي افتتاحها قولان احدهما ان بختنصر فتحها عنوة والاخر ان ايتوبعل سئمت نفسه الحصار لطول مدته ورأى ما افضى به ذلك اليه من الاضرار بشعبه لانقطاعه عن الاسترزاق بالتجارة فاستسلم من تلقاء نفسه تخلصاً من تلك الحالة فأتى بختنصر بايتوبعل وبكثير من الاعيان الصوريين الذين اسرهم الى بابل واقام في مكانه ملكاً اسمه بعل وكانت تلك الضربة هي القاضية على صور وعلى مجدها وتجارتها ولم تقم لها من بعدها قائمة وصارت قرطاجنة في مكانها من السيادة ودانت بقية المدن الفينيقية لبختنصر

اما حفرع ملك مصر الذي تحالف معه الفينيقيون فلم يدرك السواحل الفينيقية باسطوله الاَّ بعد ان كانت صور قد افتتحت واستقر الامر للكلدان على سائر المدن الفينيقية فاراد ان يستميل الفينيقيين اليه ويخرجهم عن طاعة الكلدانيين فالتوى عليه القصد اذ جهر الفينيقيون بمعاداته وجهزوا اسطولاً يقاوم الاسطول المصري فوقعت بين الاسطولين موقعة في انحاء قبرص شديدة فانتصر المصريون وتعقبوا الفينيقيين حتى مدنهم فافتتحوا صيدا (١) عنوة ونهبوها واخضعوا ارواد وجبيل (٢) واستسلمت لهم سائر المدن الفينيقية وقد وجد اسم حفرع مكتوباً على الآثار الفينيقية ثم عاد بختنصر فاقر سلطته على الفينيقيين ٠ واما بعل الذي ملكه بختنصر

(١) كان ملك صيدا رئيس الاسطول

(٢) وجد في جبيل وارواد اطلال مبانٍ على نمط البنا المصري

على عرش صور فلم تتجاوز مدة ملكه عشر سنوات وذلك من سنة ٥٧٣
الى سنه ٥٦٣ ق٠م فثار الصوريون واستبدلوا الحكومة الملكية بحكومة
جمهورية يحكمها قضاة كانوا يسمونهم شفط فكان اول قاض فيهم اكينعل
ثم تولى بعده كالب ثم آبار عظيم الكهنة ثم موتون وجيروست ثم بلاتور
ثم استدعى الصوريون مور بعل من بابل وجعلوه ملكاً عليهم ثم خلفه اخوه
حيرام وفي ايامه خضعت فينيقية لكورش ملك فارس ومات حيرام
سنة ٥٣١ فخلفه ابنه موتون ونهج في السياسة نهج ابيه فلبث يؤدي الجزية
مع سائر الملوك الفينيقيين الى الفرس ٠ وقد احسن كورش الى اليهود
واذن لهم بترميم اورشليم فاتى اثنان واربعون الفاً منهم كانوا قد جلوا الى
بابل وشرعوا في ترميم اورشليم فاحتاجوا الى مساعدة الصوريين
والصيدونيين بالاخشاب اللازمة لهم من لبنان فكانوا لذلك يعطونهم زيتاً
ومأكلاً مكافأة لهم على تلك المساعدة

ولما قضى كورش قتيلاً في حرب وقعت له مع بعض قبائل التتر
وخلفه ابنه كمبيس اجتاز فينيقية لمحاربة مصر وكان الفينيقيون منقادين
لسلطته ولكنه لما شاء محاربة قرطاجنة والاستيلاء عليها ابى الفينيقيون
ان يساعدوه على ذوي قرباهم الذين كانوا مرتبطين معهم بعهد اخاء فضلاً
عن رابطة النسب معتذرين بان دينهم يمنعهم من محاربة اخوانهم ولم يرَ
كمبيس من الحكمة ان يسلك معهم سبيل القسوة والجفا لان نخبة جنوده
البحرية منهم ولبث الفينيقيون على طاعة الفرس في ايام داريوس (دارا)
الذي استوى على عرش الملك من سنة ٥٢١٠ الى سنة ٤٨٥ ق٠م
ولم يثوروا مع من ثار عليه من اهل اقاليم ملكه ولبثت الاساطيل الفينيقية

منقادة بامر الفرس وقد استخدمها داريوس في افتتاح الجزر عند ساحل اسيا الصغرى وجزأ داريوس مملكته الى تسع عشرة ولاية فكانت فينيقية وسورية وفلسطين وقبرس الخامسة من تلك الولايات ثم ان الفينيقيين اقاموا على طاعة الفرس في ايام كي خسرو (المسمى عند العرب كركس) وهو ابن دارا تبوأ عرش الملك سنة ٤٨٥ ق٠م وبعد ان اخضع المصريين حمل على اليونان فاستخدم لذلك اساطيل الفينيقيين وقد بدت منهم علائم البسالة وشدة البأس في الحرب التي شبت بينهم وبين الاعداء الا انهم لما كسروا في احدى المواقع وشي بهم الى ملك الفرس فتغيظ عليهم وامر بضرب رؤوس كثيرين منهم فلما رأى الفينيقيون ذلك وان الدائرة ربما دارت على الفرس واوجسوا خيفة من عواقب ذلك من المعرة والاهانة رجعوا بسفنهم الى مواطنهم ولم يبق الا بعض من السفن لنقل الذخائر والمعدات ٠ وفي ايام ارتحشستا الذي خلف كي خسرو على مملكة فارس وذلك سنة ٤٦٥ ق٠م كانت السفن اليونانية تسطو على الثغور الفينيقية منتصرة للمصريين على الفرس وكان الحكام على فينيقية اذ ذاك ولاةً من قبل الفرس ولبث حال الفينيقيين على هذا المنوال والمحاربات بين الفرس والمصريين مستعرة نيرانها حتى رقي عرش الملك في فارس ارتحشستا الثالث الملقب اوكوس سنة ٣٥٩ ق٠م فشرع يفكر في اصلاء الحرب على المصريين فجهز لذلك جيشاً كبيرًا وكان ملك المصريين نكتابنو فغلب نكتابنو اوكوس غلبةً شديدة فافضى ذلك الى ان الفينيقيين وغيرهم ممن استقرت ولاية الفرس عليهم عمدوا الى شق عصا الطاعة وكان والي فينيقية حينئذٍ تيناس فزحف ارتحشستا اليهم بجيش جرار ينوي الانتقام من

الفينيقيين ولاسيما الصيدونيين وكانت مصرقد بعثت الى تيناس ببعث من
اليونان لنجدته يرأسه منتور الرودسي واما تيناس فتولاه الرعب وتواطأ مع
اوكوس على تسليم صيدا واما الصيدونيون فجهزوا اسطولهم وتحصنوا بسور
منيع غير عالمين بخيانة تيناس فلما دنا اوكوس من المدينة خرج اليه تيناس
يقود مائة رجل من اعيان المدينة كانوا سبباً في اثارة العصيان ودفعهم الى
اوكوس فامر اوكوس بقتلهم فقتلوا ثم اقترب الفرس من المدينة فمثل لديهم
خمسمائة رجل من اهلها يرفعون على اكفهم عرائض التسليم والطاعة فلم
ينثنِ اوكوس عن عزمه من الانتقام فامر بقتل الخمسمائة وكان تيناس قد
تواطأ مع الجنود المصرية على اخلاء السبيل للفرس حتى يلجوا المدينة فلما رأى
الصيدونيون ما نالهم من الخيانة وما حاق بهم من الخطر آثروا ان يجرعوا
كأس الحمام من يد انفسهم على ان يقعوا في قبضة الفرس فاحرقوا لذلك
سفنهم قطعاً لوسائل نجاتهم بها ثم أووا منازلهم بنسائهم وابنائهم واموالهم
واضرموا بها النيران حتى اصبحت المدينة كلها شعلة من نار فاحترقوا جميعاً
وبلغ عدد الذين اكلتهم النيران اربعين الف نفس واما تيناس وقد كبر
عليه امر الخيانة التي اتاها فنوى ان يقتل نفسه فسبقته زوجه الى ذلك
وقتلته ثم قتلت نفسها بعده

وبالجملة فان الفينيقيين لبثوا تحت نير سلطة الفرس حتى ظهر اسكندر
المكدوني ويلقبه العرب بذي القرنين قيل انه لقب بذلك لانه ملك قرني
الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه كان له جواد رأسه رأس عجل وقيل
لذوأبتين برأسه وتبوأ تخت المملكة في مكدونية سنة ٣٣٦ ق٠م وتيسر
له ان ضم اليه الممالك اليونانية باسرها ثم سطـا على ملك الفرس وكان

حينئذٍ داريوس الثالث فغلبه وجعل على البقاع ودمشق عاملاً من رجاله اسمه مانون وقيل بارمانيون وسيره الى عمله واما الاسكندر نفسه فأتى الثغور الفينيقية فلقيه في الطريق عشتروت ابن ملك ارواد ودفع اليه تاجاً من ذهب وسلمه ارواد وضواحيها وكان ملكها جير وعشتروت وايل ملك جبيل وغيرهما من ملوك فينيقية متغيبين بالاسطول البحري بامر من دولة الفرس فلما دنا الاسكندر من جبيل خرج اليه اهلها وملكوه المدينة مستسلمين له ثم سار الى صيدا فتملكها بعد ان تملك سائر المدن التي كانت في طريقه ولما بلغ صور خرج اليه جماعة من اهلها يبدون الطاعة فلاسباب سياسية ابى الاسكندر الا ان يتملك المدينة تملكاً حقيقياً فافضى الامر الى الحرب فانتصر الاسكندر بعد ان حاصر المدينة مدة سبعة اشهر وفتك جنده بالصوريين فتكاً ذريعاً ثم جاء الاسكندر بجماعة من الكاريين واسكنهم في المدينة ثم سار الى غزة فاخذها عنوة ولم تلبث سوريا ان دانت بجملتها للاسكندر فاصبحت ولاية مكدونية (١) بعد ان كانت ولاية فارسية وبعد ان قضى الاسكندر نحبه سنة ٣٢٣ ق.م وحدث ما حدث من التنازع بين خلفائه انقسمت ممالكه الى اربعة اقسام فخرجت سوريا وما يتصل بها من البحر الاسود الى نهر اندوس في اخذ نصيباً لسلوقس بن ديمتريوس نيقانور احد قادة الاسكندر وهو اول الدولة السلوقية التي بعد ان اشتد بأسها وعظم سلطانها ببناء مدينة انطاكية

---

(١) نصب الاسكندر والياً عليها يقال له مانسي واقام لجباية الاموال الفينيقية رجلاً يقال له كويراتيس وكان المكدونيون يحسنون معاملة السوريين اكثر مما كان الفرس يحسنونها

الحصينة سنة ٣٠٠ ق ٠م على ضفة العاصي وبناء مدينة سلوقية على الفرات وسلوقية الاخرى على البحر المتوسط طمعت في الاستيلاء على فينيقية فحدث بين السلوقيين وبطالسة مصر ما حدث من المحاربات مما كانت فيه فينيقية ولبنان معتركاً للمتحاربين وكثيراً ما استخدمت السفن الفينيقية للقتال اما الدولة السلوقية في سوريا فقد تسلطت مدة تزيد عن مئتين وثلاثين سنة وبلغ عدد ملوكها واحداً وعشرين ملكاً ويتبين من تأريخ هذه الدولة ان بعض المدن الفينيقية كان لها بعض الاستقلال بدليل وجود بعض المسكوكات لها يمتد تاريخها الى ما قبل المسيح بمائة وست وعشرين سنة بل اكثر من ذلك[1] وقد جاء ايضاً في تاريخ السلوقيين ان ارواد كان يلجأ اليها بعض الذين يخشون سطوة الملك

(١) يوجد في متحف المسكوكات في باريس وزن من اوزان بيروت يمثل شوكة مثلثة الاسنة علم منه العلامة اليه دي هوزوش ان اول تاريخ بيروت كان في سنة ١٩٧ ق ٠م ٠ اما تاريخ الوزن الذي وجده الدكتور جول روفيه احد اساتذة المكتب الطبي للاباء اليسوعيين في بيروت وهو سنة ١٨٤ فانما يراد به تاريخ السلوقيين وكان اكثر انتشاراً مما سواه في مدن فينيقية فالسنة المذكورة توافق لسنة ١٢٨ ق ٠م وكان وقتئذٍ يملك على سوريا ديمتريوس الثاني نيقانور وانتيوخس السابع اورغانيس وبين عهد هذا التاريخ وتاريخ الوزن البيروتي المحفوظ في باريس المرقوم سنة ١٦١ ثلاث وعشررن سنة فقط وينتج من الوزن الذي وجده الدكتور جول روفيه فائدة تاريخية عظيمة وهي ان مدينة بيروت كانت عادت الى عمرانها او الى قسم من حسن حالها القديم بعد ما اخربها تريفون سنة ١٤٠ ق ٠م وذلك خلافاً لما يزعمه البعض ان هذه المدينة درست آثارها وبقيت خراباً الى عهد اوغسطس قيصر وكانوا يسندون زعمهم الى قول استرابون في كتاب جغرافيته الجزء السادس عشر عدد ٢ و ٩ اهـ مأخوذاً من مجلة المشرق (عد ١ ص ١٨ و ١٩)

عليهم فان كليو بطرة زوج ديمتريوس لما خافت على ابنها انطيوخوس بن
انطيوخس سيدتس ان يمس بسوء ارسلته الى ارواد وهذا يدل على ان هذه
الجزيرة كانت مستقلة ومن اعظم الامور التي حدثت في ايام السلوقيين
مما يتصل بلبنان وتاريخه اتصالاً وثيقاً تشييد مدينة انطاكية التي سيكون
لها فيما سيجيء من تاريخ لبنان شأن ديني عظيم كما سيتبين ذلك فيما بعد
وايضاً فانه في اخر مدة السلوقيين حدث امرٌ خطير وهو ان الحارث احد
ملوك العرب من آل غسان اتى دمشق واخذها عنوةً من يد السلوقيين
وذلك سنة ٨٥ ق.م ثم انه بعد ان انقرضت الدولة السلوقية وكان قبيل
انقراضها قد استولى تيغران على سوريا حلت اقدام الرومان (١)
في الديار السورية وانتشر لواء سلطتهم على مدنها فمكثت هذه الديار
دائنة لشوكة القياصرة وولاتهم وقناصلهم حتى كان الفتح الاسلامي وذلك
مدة سبعة قرون ويظهر ان بعض المدن الفينيقية كانت في ايامهم حائزة
شيئاً من الامتياز وقد اشتهرت ايضاً بالعلوم والمعارف فقد ذكر استرابون
المؤرخ من المعاصرين له من علماء صور وصيدا عدداً كبيراً وكانت مدينة
بيروت مركزاً للشرائع (٢) والقضاء

---

(١) جاء الرومان سوريا سنة ٦٥ق.م وكان قائدهم بمبيوس

(٢) ان بيروت بعد ان اخربها تريفون سنة ١٤٠ ق.م لبقائها في طاعة
الملك انطيوخس السادس عادت الى ما كانت عليه من سمو المنزلة فلما دخلها بمبيوس
القائد الروماني احيا آثارها واعاد لها رونقها فشرعت ترتقي في سلم النجاح والفلاح
حتى كان لها في عهد اوغسطس قيصر ما للرومانيين انفسهم من الحقوق فامتازت
عن غيرها من المدن وكانت في الدرجة الاولى والقيت مقاليد الامر فيها الى القائد
مرقس فبسيانس اغريبا بعد ان عقد له على جوليا ابنة اوغسطس قيصر فدعيت بيروت

ومن اعظم ما جآء في صدر السلطة الرومانية في الديار السورية ظهور النصرانية بولادة السيد المسيح في اليهودية ومن يتتبع تاريخ الرومان في هذه الديار وما وقع لهم من الحروب المختلفة فيها سوآء كان باسباب سياسية داخلية او بما كان ينال البلاد من غزوات البرثيين والعرب والفرس او كان باسباب الاضطهاد الديني بعد ظهور النصرانية يرَ ان لبنان انما عمر بجماعات من الناس كانوا يلجأون اليه فراراً من سيوف النقمة والاضطهاد وبناءً عليه فاننا سنبدأ من هنا ان نسلك منهاجاً جديداً في كتابنا هذا وهو ان نتوخى بيان الطوائف والقبائل التي لجأت اليه

باسمها جوليا فيليكس (اي السعيدة) و بالغ اغريبا في ترقية شؤون المدينة وساعده في عمله هذا هيرودس الكبير فشيدت في المدينة الابنية والهياكل والمشاهد والحمامات ومخازن التجارة فتزاحمت الاقدام اليها اقدام الرومانيين والغربآء وكثر الاستيطان بها فازدادت بازدياد العمران بهاء وجمالاً وجعل بها فرقتان من الجنود الرومانيين المتقاعدين وبها حكم هيرودس الكبير بالموت على ابنيه اسكندر وارسطابولس ظلماً كما قتل امهما مريمنة من سلالة المكابيين ولبثت بيروت كذلك حتى تولى امرها بعد المسيح هيرودس اغريبا الاول ثم هيرودس اغريبا الثاني فزادا في محاسنها زيادة يقصر عنها الوصف . وفيها بويع بالملك لفسبسيانوس بعد موت نيرون وفيها احتفل ابنه تيتوس قيصر بانتصاره على اليهود

هذا وقد بلغت بيروت من العلوم والمعارف درجة سامية فاقت بها اخواتها من المدن الفينيقية ففي عهد اوغسطس قيصر انصرف البيروتيون الى درس الفقه وبرعوا فيه واصبحت مدرسة هذه المدينة في الفقه يتسابق اليها الناس من كل صوب فدعيت لذلك بيروت «مجلى العدل ومقر المشترعين» وقد كلل عدة من علمآء بيروت الاقدمين بتيجان الشهرة مثل اوليبان الفقيه في القرن الثالث وفاليريوس بربوس اللغوي في القرن الرابع

وربما يخطر ببال من قرأ ما تقدم في كتابنا هذا من تاريخ الفينيقيين ثم السلوقيين ثم الرومان في سوريا ولبنان اننا اتينا في تاريخ الفينيقيين تفصيلاً مملاً وفي ذكر الباقين ايجازاً مخلاً وانه كان من الواجب ان يكون تناسب في التفصيل في كل الروايات التي تؤدي الى كشف شيء من حقيقة لبنان الذي اخذنا على نفسنا ان نجمع له تاريخاً خاصاً به ولكن الذي حدا بنا الى التفصيل في الاولين هو الرغبة في استيعاب مواد اكتشفت حديثاً من آثار لبنان نفسه ومن آثار البلدان الاخرى وكانت من قبل مستورة غير مسطورة في التواريخ المحفوظة من تواريخ اليونان والرومان كما ان الذي حدا بنا الى الايجاز في الآخرين هو الاستغناء بما فصل من احوالهم في كتب ذات شروح مسهبة ادى اليها التوغل في البحث فيما يتعلق باليونان والرومان اكثر مما يتعلق بغيرهم من الاقوام لاعتقاد ان مهد الحضارة كان عندهم دون غيرهم ثم جاءت ابحاث المستشرقين من عهد ليس ببعيد ناقضة ذلك الاعتقاد بما انفتح في وجوه الباحثين من ابواب الغموض والاشكال بمفاتيح الخطوط المسمارية والهيروكليفية

ليس لنا من الآثار التاريخية ما يمكننا من استقصاء اصل اهل لبنان اليوم الى زمن متوغل في القدم وغاية ما يصل اليه الاستنتاج العقلي من سياق الحوادث التاريخية التي مر ذكرها ان اللبنانيين قوم لجأوا الى لبنان منفصلين عن قبائل مختلفة مذاهبهم في الدين فمنهم المسلمون والموارنة والدروز والروم الارثوذكسيون والكاثوليكيون والمتاولة (الشيعيون) والسريان والبروتستان[1] ولما

(١) مذهبهم دخل حديثاً في لبنان منذ سنة ١٨٢٦ على يد بعض المرسلين

كان الموارنة اكثر عدداً من غيرهم وكان مردتهم من اقدم الناس عهداً في لبنان بدأنا بذكر تأريخهم مستندين فيه الى ما كتبه مؤرخوهم مثل العلامتين المغفور لهما البطريرك اسطفان الدويهي والسمعاني الشهير وغيرهما

﴿ الموارنة ﴾

ان في تسمية الموارنة بهذا الاسم اراء منها ما ذهب اليه السريان اتباع يعقوب البرادعي مأخوذاً عن النص الوارد في كتب معتقد اليعقوبية وهو « لما اغارت ملوك الروم على السريان وقتلتهم قام مارون فوافق ملك الافرنج الذي في انطاكية وكان اسمه اوجان برنس وقال له : يا ملك الزمان نحن خائفون على جبل لبنان ان ترده طائفة الملكية الى امانتهم لان يوستنيان قيصر بغض السريان التابعين ليعقوب وامانته فقم الى الكردينال الذي عندك واحمله على ان يقيمني مطراناً فاحفظ بعض الناس على الامانة الافرنجية واما امانة يعقوب فما اذكرها فاقامه مطراناً على البترون فوجد الملكيـة قد بلغ تملكهم الى قرية اسمها اميون فارتفع مو يرين (مارون) وابن اخته بريهيم (ابرهيم) عن الملكية الى سمر جبيل فوقى الناس من الجزية التي فرضها الملكية على من لا يتبع دينهم ووافقه كل السريان ومن في جبل لبنان فاتبعوا مارون » ومن ذلك سموا موارنة وذهب سعيد بن بطريق (وهو الذي ارتقى الى الكرسي

من الاجانب

الاسكندري سنة تسعمائة واحدى وثلاثين مسيحية) الى ان الموارنة اتخذوا هذا الاسم من مارون الراهب الذي كان في ايام موريق ملك الروم فقال في كتاب له « وكان في عصر موريق رجل راهب يقال له مارون وكان يقول ان لسيدنا المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة وفعلاً واحداً فافسد مقالة الناس واكثر من تبع مقالته اهل حماة وقنسرين والعواصم (وهما مدينتان كانتا في انحاء حلب) وجماعة من اهل الروم فسمي الناس التابعون لدينه والقائلون بمقالته مارونيين اي منسوبين الى مارون . فلما مات مارون بنى اهل مدينة حماة ديراً بحماة وسموه دير مارون » وذهب بارونيوس الكردينال المؤرخ الى ان النسبة المارونية اما ان تكون الى مارون المدينة التي هي متاخمة لانطاكية واما ان تكون الى البارمارون الذي انتشرت قداسته في صقع جبل قورش وامتاز رهبان ديره بالمعارف وحسن العقيدة في انحاء سورية الثانية وذهب جبرائيل بن القلاعي الى ان الموارنة اتخذوا اسمهم من البارمارون بطريرك انطاكية العظمى اذ جاء في سيرة هذا البطريرك انه ذهب بنفسه الى مدينة رومية فثبته الحبر الروماني في مقام البطريركية ولما رجع الى انطاكية رد كثيرين من اتباع مقاريوس ومن اصحاب المقالة اليعقوبية الى معتقده وصدع بحقيقة الطبيعتين والمشيئتين وبشر بذلك ثم اتى لبنان وعزز شأن البابا فيه فقبله الناس مسرورين ورحبوا به فرحين وهذا الرأي انما هو الرأي المعول عليه عند الطائفة المارونية في كنائسها والمقبول من البيعة الرومانية [1] واما

(١) هذا ما ذكره العلامة الدويهي وقد جاء في الدر المنظوم للمغفور له العلامة البطريرك بولس مسعد ما يفيد ميله الى اعتقاد ان الموارنة سموا كذلك نسبة

ابو الفرج الملطي فذهب الى ان الموارنة انما سموا موارنة دلالة على انهم ربانيون (لان مرن بالسريانية معناها الرب)

اما نسب القديس مارون رأس الموارنة الذي كان اسمه قبلاً يوحنا

الى القديس مارون الانبا لا نسبة الى بطريركهم القديس يوحنا مارون وقد اورد على ذلك شواهد يؤخذ منها ميله الى هذا الرأي اكثر من غيره ونحن موردون هنا ما قاله في هذا الشأن واخذه عن السمعاني وغيره: وهكذا بعد ان ترك اللبنانيون لقب مردة تسموا موارنة ايضاً اعني من مارون الذي كان تشيد ديره الشهير حذاء حماه من حيث اتخذ يوحنا بطريركهم لقب مارون ايضاً و يلقب القديس يوحنا مارون بالسرومي ايضاً لمنشاه من قرية سروم التي موقعها في جبل السويدية بين مدينة انطاكية ودير ماري مارون وقال الاب بريسيوس الكبوشي الرودنسي في مختصر التواريخ لباروينوس في الحاشية لسنة ٤٠٧ ومن اسم هذا القديس مارون قد تسمى موارنة جمهور وافر عديدهم لا اولاده الرهبان فقط والمجمع اللبناني نفسه لم يقل في وجه ٣٢٠ قسم ٣ رأس ٤ عد ٦ ان المردة تسموا موارنة نسبة الى القديس يوحنا مارون اول بطاركتهم الذي كان راهباً في دير مار مارون المشهور عند نهر العاصي بل قال انه منه تغلب على المتمردين اسم موارنة سنة ٦٨٥ وصورة ذلك هي انه قد كان هولاء اللبنانيون والمتحدون معهم يدعون تارة موارنة وتارة مردة للاسباب المقدم ذكرها فلما اقاموا سنة ٦٨٥ بطريركاً عليهم القديس يوحنا مارون الذي كان راهباً في دير ماري مارون الانبا وفصلوا ذواتهم عن باقي الطوائف المسيحية الشرقية غلب عليهم فيما بينهم اسم موارنة الذي كانوا يسمون به قبلاً من باب الازدراء نسبة الى القديس مارون الانبا ورهبانه واما مؤرخو السريان والروم والعرب فبقوا الى زمان يسمونهم مردة والاب ميخائيل لكويان بعد ان شرح باسهاب عن الموارنة في المجلد الثالث من مؤلفه المعنون الشرق المسيحي قال ان الموارنة قد اتخذوا هذا الاسم في الجيلين الرابع والخامس من مارون الكلي القداسة . و يثبت حقيقة ذلك ايضاً علماء كثيرون شرقيون وغربيون و يشهد بصحته الاحبار الرومانيون فانهم يدعون في براآتهم القديس مارون الانبا ابا الطائفة المارونية و ينسبون اسمها اليه لا الى غيره اه (الدر المنظوم ص ١٢٣ و ١٢٤)

السرومي فهو كما جاء في رسالة مكتوبة بخط كرشوني في كتاب قديم محفوظ في كنيسة السيدة بدمشق ان مارون كان ابن اغاتون بن اليدبس ابن اخت كارلومانيو البرنس الذي قدم من فرنسا الى انطاكية فاستولى عليها وعلى سورية في دولة الروم وهاك نص الترجمة « وكان رأس الامة المارونية رجل اسمه يوحنا فاضل عالم خير مستقيم كثير الفضائل وهو من اصل شريف اسم ابيه اغاتون وامه انوهاميا واسم جده اليديبس(١) ابن اخت ملك فرنسا وكان اسم الملك كارلومانيو(٢) فلما قدم الى سورية واستولى عليها بقي الامير اليديبس ابن اخته في مدينة انطاكية فرزقه الله ولداً اسماه اغاتون واغاتون ولد له يوحنا فتأدب يوحنا بالعلوم الروحية والتفاسير الانجيلية ومهر في السريانية وسلك طريق النسك والعفة واقيم بطريركاً على هذه الامة » واما لقب مارون بالسرومي فهو من انتسابه الى سروم قرية كبيرة بالسويدية قريبة من انطاكية كانت موطن ابيه اغاتون او اقطاعاً له فلما شب يوحنا ترهب في دير مار مارون عند العاصي فغلب عليه اسم يوحنا مارون وقد تلقى العلوم اللاهوتية والرياضية في انطاكية

---

(١) قال صاحب اخبار الاعيان في جبل لبنان قسم ٢ ف ١ ان العرب يسمونه عبدون ولم يذكر عمن اخذ معرب هذا الاسم

(٢) لا يخلو ما في هذا النسب من الابهام لان كرلومانيو توفي سنة ٨١٤ وقد اشارت الى ذلك الابهام مجلة المشرق في شرح للمعلم رشيد الخوري الشرتوني على مقالة عنوانها سلسلة بطاركة الطائفة المارونية (عدد ٦ ص ٢٤٧ و٢٤٨) ففي مراجعتها اغنى عن ذكرها . وايضاً فان العلامة الدويهي نفسه لم يغرب عنه ان في ذلك ابهاماً فاشار اليه في موضع آخر من كتابه تاريخ الطائفة المارونية وعلل فيه بعض التعليل فليطلب من موضعه في (ف ٨ ص ٦٧)

اولاً ثم في دير القديس مارون وسار بعد ذلك الى القسطنطينية ودرس لغة اليونانيين وفنونهم وكان ليوحنا اخت تزوجت (١) فرزقت ولدين وهما ابرهيم وقورش وكان ابرهيم شجاعاً سديد الرأي حسن التدبير فلما علم يوحنا بوفاة ابيه عاد الى وطنه فاقام ابن اخته ابرهيم على امور البيت يدبرها وذهب بقورش الى دير القديس مارون على نهر العاصي وتمنطق هناك بمنطقة النسك والعفاف وصنف كتباً كثيرة وغلب عليه اسم يوحنا مارون ولما وقع الشقاق بين الامم الشرقية وحدث الخلاف في امر مذاهبهم اجتمع اوجان البرنس مع سائر الفرنج المقيمين بمدينة انطاكية ورأوا ان يختاروا رجلاً باراً عالماً ليقيموه مطراناً ينتمي الى كنيسة رومة وبعد البحث والتروي وقع اختيارهم على يوحنا مارون فاحضروه حينئذٍ لدى الكردينال الذي هو رسول بابا رومية فجعلوه اسقفاً على البترون وجبل لبنان وسواحل البحر ليقوم على حفظ الناس ويضبطهم في طاعة الحبر الروماني ويعصمهم من تعاليم اصحاب المقالة اليعقوبية معلماً بسر المشيئتين خلافاً للروم الذين سموا بعد ذلك ملكية وكان ذلك في ايام قسطنطين اللحياني نحو السنة ٦٧٦ فاستمال اليه كثيرين من القائلين بالطبيعة والمشيئة الواحدة ونشر عقيدته في جبل لبنان وفي غير لبنان من الانحاء بين القدس الشريف وبلاد الارمن وقد سعى في تعزيز اتباعه وتأييد حالتهم السياسية فاقام ابن اخته ابرهيم الذى سبق ذكره اميراً على البلاد فساس هذا الامير الناس سياسة المقتدر ووسع نطاق ملكه كما اثبت ذلك بعض المؤرخين من الروم حيث

(١) قال صاحب اخبار الاعيان في جبل لبنان قسم ٢ ف ١ وكان ليوحنا اخت تزوج بها احد امراء المردة فولد لهُ منها ولدان الامير ابرهيم والامير كوروس

قيل : انه في السنة الثامنة والتاسعة من ملك قسطنطين اللحياني دخل المردة الى جبل لبنان وملكوا جميع ما هو من جبل موروس الى بيت المقدس واستولوا ايضاً على اعالي لبنان وفي مدة وجيزة انضم اليهم كثيرون من الاسرى والاغراب والعبيد حتى انافوا على الوف عديدة وكان لاميرهم في ايام السلم اثنا عشر الف جندي يطوف بهم بلاد العرب والفرس من غير جزع [1] واما قورش فزهد في دنياه منقطعاً الى الدين ناهجاً نهج خاله وتتلمذ له . ولما توفي خاله خلفه على الكرسي الانطاكي مثبتاً من الحبر الروماني

اما يوحنا مارون وقد كثرت في ايامه البدع واشتد التحزب الديني اتى طرابلس وتحدث مع وكيل البابا في ذلك فاقنعه الوكيل بان يسافر معه الى رومية فاقتنع وسافر كلاهما الى رومية وكان البابا يومئذ سرجيس [2] الاول وهو انطاكي الاصل فاكرم يوحنا مارون ورحب به كثيراً ثم رقاه الى مقام البطريركية الانطاكية والبسه الدرع [3] ايذاناً بكمال الرياسة له وسلمه التاج والخاتم والعصا وانعم عليه بجميع الامتيازات المعروفة فعاد الى انطاكية بدرع الرياسة البطريركية وسعى منذ وصوله في تزييف البدع

(١) تاريخ الموارنة للعلامة الدويهي ف ٨ من ص ٥٣ الى ٦٣

(٢) وجاء للسمعاني في كتابه مكتبة الناموس القانوني والمدني وذلك في المجلد ٤ راس ٢٠ ص ٤٠٤ منه وفي المجلد ١ ص ٥٠٣ من مكتبته الشرقية ما يعاكس قول العلامة الدويهي فيما يتعلق بسفر القديس يوحنا مارون الى رومية مع قاصد البابا سرجيس وقد اشير الى هذا الخلاف في مجلة المشرق عدد ٦ ص ٢٥٠

(٣) هو عبارة عن قطعة من الكتان الابيض النقي توضع في العنق و باسفل هذه القطعة صفيحة من رصاص وصلب اما الابيض فرمز الى الطهارة والرصاص الى ثقل الوزنة والدرع لا يقلده قداسة البابا في الشرق الا للبطاركة واما في الغرب فللبطاركة وجميع الاساقفة

وتعطيل مقالاتها وكتب في ذلك عدة رسائل وبث الاعتقاد بالطبيعتين والمشيئتين ولما اتصل ذلك باصحاب مقالة المشيئة الواحدة من الاساقفة في القسطنطينية امتعضوا منه وزينوا للملك يوستنيانوس ان يكره البابا سرجيس والبطريرك يوحنا على تأييد مقالة اصحاب المشيئة الواحدة فارسل الملك اليهما يامرهما بذلك وينهاهما عن مخالفته وتوعدهما بالنفي فآثرا النفي والموت على الارتداد عن عقيدتهما فاوغر صدر الملك غيظاً وسخطاً فسير اليهما قائدين من قادة جيشه ذكرياء ولاون ليأتياه بهما مصفدين بالاغلال اما البابا ففيما قال فلاتينا المؤرخ لما عرف ذلك اتباعه في ابطاليا ثارت الحمية والغيرة عليه في نفوسهم فتدججوا بالسلاح لوقايته من اعدائه واندفعوا يطلبون رسول الملك ذكرياء يريدون قتله فواراه البابا عنهم ووجهه الى الملك خفيةً واما يوحنا مارون فانه لجاء الى دير القديس مارون واخذ يكتب في مسألة الطبيعتين وبعث برسالة في ذلك الى اهل لبنان

اما الملك فامر قائده لاون بالمسير الى انحاء المشرق ليأتيه بالبطريرك مقيداً بالسلاسل فتلكأ القائد معتذراً ان اللبنانيين لا يدفعون اليه الرجل لانهم يحبونه كثيراً وان دون الوصول اليه اهوالاً وما تمحل لاون ذلك العذر الا لانه كان في الباطن يحب اللبنانيين ويذكر لهم جميلاً صنعوه بنجدتهم له في محاربة العرب فاستشاط الملك غيظاً وامر بلاون ان يسجن واوعز الى موريق وموريقان ان يقودا الجند الى سورية لنيل تلك البغية هذا في الباطن واما في الظاهر فاشاع انه وجههما لمقاتلة العرب لتتم بذلك مكيدته ولكن البطريرك لم يخف عليه وجه المكيدة فكتب الى ابرهيم ابن اخته يستغيث به فجاءه ابرهيم باثني عشر الف مقاتل وذهب

به الى سمر جبيل واماموريق وموريقان فكان من امرهما انهما لما بلغا الديار السورية في سنة ٦٩٤ سطيا برجالهما على دير القديس مارون ودكا مبانيه بعد ان قتلا من الرهبان فيه خمسمائة راهب ثم توليا عنه وجعلا يقفوان اثر القائلين بالطبيعتين والمشيئتين وسكان تلك الانحاء مثل اهل قنسرين وغيرها وفتكا فيهم فتكاً ذريعاً لم يستحييا منهم احداً ممن بلت يدهما به وخربا منازلهم ولم تفتأ سيوفهما تحصد رقاب اولئك الناس حتى بلغا مدينة طرابلس فضربت خيام جيوشهما ما بين اميون وقرية في سفح الجبل يقال لها الناووس فوفد عليهما اعيان تلك النواحي بقلوب ملئها الرعب وجعلوا يلاطفونهما ملتمسين منهما الامان بعد ان خضعوا لرائهما فأمناهم

وبينما كان اللبنانيون في جزع شديد من الجيش الرومي اذ وفد على البطريرك يوحنا وعلى الامير سمعان رسول من القائد لاون الذي كان الملك قد سجنه لتلكئه عن انفاذ الامر وبشرهما ان قد نجا من محبسه وبلت يده بيوستنيان فاخترم انفه وتبوأ عرش ملكه بعد ان نفاه ثم اذن لهما ان يحاربا الجيش الموجه عليهما فسر الجبليون بذلك وانقضوا على الروم دفعة واحدة انقضاض الصواعق فقتلوا اكثرهم وهزموا الباقين شر هزيمة فكان من نتيجة ذلك كله ان الذين انصاعوا لارادة جيش الروم وخضعوا لرأيهم سموا ملكية اشعاراً باتباعهم طريقة ملك الروم حينئذٍ وان الذين ثبتوا في طاعة البطريرك مارون سموا موارنة واما العلامة السمعاني فقد ذكر في المكتبة الشرقية مج ١ ص ٥٠٨ ما يخالف هذا الرأي مؤيداً ذلك باقوال بعض المؤرخين وها نحن نورده بنصه قال : في المكتبة الشرقية مج ١ ص ٥٠٨ :

رفع آخرون نسبة الملكية الى مرقيان الملك والمجمع الرابع . واول من

كتب هذا فيما اعلم من السريان هو ديونيس بن صليبا نحو سنة ١١٦٠ للمسيح وذلك في شرح الليتورجية (فصل ١) حيث قال ما معناه « يسمون ملكية لانهم لما تركوا ايمان ابائهم اعتنقوا مذهب مرقيان الامبراطور» وارتأى مثل ذلك من مؤرخي اليونان نيقوفور كاليست الذي عاش نحو سنة ١٣٣٠ في تاريخه الكنائسي (كتاب ١٨ صفحة ٥٢) ونقل كلامه ديمتريوس القوزيقي في مقالته عن بدعة اليعقوبيين (مج ٢ صفحة ٦٣)

قال نيقوفور: انه في ايام يعقوب هذا الذي تكلمنا عنه والذي كان يعلم البدعة المونوفيزية في سورية ظهر شقاق عظيم ٠ فاما الذين تمسكوا بالراي المهذب فسموا بالملكية لانهم تبعوا المجمع الرابع والامبراطور نفسه» غير اني اعرض عن كتبة اليونان والعرب المتأخرين عن نيقوفور وابن صليبا مثل ساويروس اسقف الاشمونيين وابن الراهب صاحب التاريخ الشرقي وجرجس المكين بن العميد الذين تبعهم بارونيس ٠ ولا اذكر ايضاً اوطيخا الاسكندري الذي اتى مراراً في تاريخه باسم الملكية وما اورد مطلقاً اصل تسميتهم فضلاً عن انه قدر كون هذا الاسم كان قبل عهد مرقيان مرادفاً للفظة ارثوذكسي لانه قال في صفحة ١٠٠ « وكان مرقيان الملك حسن الامانة وكان يدين ويقاتل عن امانته الملكية» اما توما الحاراني اسقف كفرطاب من الشيعة المونوتولية الذي دار بينه وبين يوحنا بطريرك الملكية سنة ١٠٨٩ جدال في مشيئة المسيح الواحدة فاثبت انهم كانوا يسمون بالملكية اولئك الذين بانقيادهم لكلام مكسيموس المعترف اتبعوا مرقيان واخاه وموريق سالفي هرقل ٠ لان توما المذكور يقول « ان مكسيموس هذا ذهب الى المدينة المتملكة وقابل الامبراطورين مرقيان

واخاه وموريق الذي خلفهما واستأذنهم ان يعلم السوريين مشيئتي المسيح اما الذين قبلوا هذا التعليم فدعوا ملكية » . الا ان كلامه هذا هو عار عن كل صحة وتخالفه آثار جميع التاريخ الكنائسي التي تشهد ان الامبراطور مرقيان الذي تقدم موريق باكثر من مئة سنة لم يكن له اخ يشاركه في الملك وانه في ايامه لم يجر مطلقاً ادنى جدال في مشيئتي السيد المسيح وانما حصل ذلك في ايام هرقل نائب فوقا وموريق نحو السنة ٦٢٨

وعلى ذلك فاني ارتئي عن الظن الراجح ان اسمي الملكية والمردة اسمان متضادان وجدا في عصر واحد لا للدلالة على اختلاف ديانة اوطقس كما ظن بعض علماء الموارنة بل للدلالة على اختلاف غرض مدني فقط ولو انه امكن فيما ولي من الزمان ان يدلا على شيء آخر وذلك بعد ان امتاز كل من الفريقين عن الآخر وانفرد بطقس وكهنة وديانة مستقلة . لان الذين تمردوا قديماً في سورية على الملك سموا مردة اي عصاة واما الذين لبثوا في طاعة الملك فسموا ملكية نسبة الى الملك وهذا حدث في سورية ايام قسطنطين اللحياني عندما كان المردة كما يشهد ثاوفان وشدران مالكين جميع ما هو من حد الجبل الاسود الى مدينة اورشليم المقدسة .

ويثبت رأيي هذا صمت جميع الاباء المؤرخين الاقدمين عن الملكية . واذا راجعت تصانيف اباء القرن الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع وطالعت تواريخ بركوبيس واباغايو وثاوفان وشدران وزوناراس وتوفيلكت فانك لا ترى فيها اثراً البتة لاسم الملكية ولا تجد ذلك فيما كتبه بطرس القصار وفيلوكسين البعلبكي وساويروس

وغيرهم الذين يدعون الكاثوليكيين مراراً خلقيدونيين وسينودسيين
ولا يسمونهم ملكيين مطلقاً . وبعكس ذلك ترى تاوفان وشدران ياتيان
صريحاً بذكر المردة ولكن من غير ان يتهماهم بوصمة بدعة وذلك برهان
على ان تسميتهم تشير الى حزب مدني لا الى فرقة دينية ومن ثم فيقرب
من الصدق ان اعداء المردة دعوا بلغة وطنهم ملكية والا لأتى مؤرخو
تلك الازمنة الذين كتبوا عما جرى في سوريا من الحوادث وما نشأ بها
من البدع بذكر المردة والملكية بمنزلة خوارج . وكلا الاسمين ملكية ومردة
سريانيا الاصل وانما نشأا في سورية ويثبته كون طائفتي الملكية والمردة
كانتا قبلاً ولن تزالا الى الان متكاثرتين في سوريا واما في غيرها من
الاماكن فوجودهما نادر او لا وجود لهما اصلاً ولهذا لا ينبغي تصديق
باجيس الزاعم ان اسم الملكية نشأ في مصر على عهد مرقيان الملك بقوله
(تاريخ سنة ٦٢٢ عدد ٩) «الملكي كلمة تدل على من يتبع ديانة الملك . وهذا
الانقسام لم يزل مشتداً الى الان في المشرق نشأ في زمن مرقيان الملك
الذي طرد ديوسقورس . ومن ذلك الحين قام بطريركان في مصر ترأس
احدهما على الارثوذكسيين الذين سموا بعد الانقسام المذكور ملكيين
والآخر على اشياع ديوسقورس الذين كانوا كثيري العدد وقتئذ»

لانك اولاً لا تجد كاتباً اقدم من ابن البطريق رفع اسم الملكية
الى ايام مرقيان ثانياً لو كانت هذه الكلمة قد نشأت حقيقة في مصر لما
كان سمي الكاثوليك ملكية بلفظ سرياني او عربي بل لكان ينبغي ان
يسموا باسيليين بلفظ يوناني او بلفظ آخر من اللغة القبطية كما هو ظاهر
لان السريانية لم تدرج مطلقاً في مصر كما ان العربية لم تدرج هناك الا بعد

مرقيان الملك والمجمع الرابع بمئتي سنة لما افتتح المسلمون مصر في خلافة عمر بن الخطاب

اما اطلاق المتأخرين اسم الملكية على الروم المصريين فلا ينبغي ان نتعجب منه لان اسم اليعقوبيين الذي ظهر بلا مراء في سورية ومن رجل سوري ايضاً تراهم يدعون به المصريين المونوفيزيين لان اسماء كهذه عرضة للتغيير والتبديل كما يوضح ذلك اسم الملكية بعينه فانهم في القديم كانوا يعبرون به عن الارثوذكسيين والان يراد به المشاقون السريان والمصريون ذوو الطقس الرومي . وكذا اللبنانيون بعد ان تركوا لقب مردة سموا موارنة من مارون الذي تشيد ديره الشهير حذاء حماه ومن هناك اتخذ يوحنا بطريركهم اسم مارون) هذا ما قاله العلامة السمعاني

وعندنا ان رايه في المردة والملكية انهما حزبان سياسيان لا دينيان اوثق من غيره من الاراء فان معنى الكلمتين يدل على ذلك دلالة واضحة

ثم انه في السنة ٦٥ الهجرية الموافقة السنة ٦٨٥ المسيحية بويع لعبد الملك بن مروان في الشام فامر الناس ان يحجوا الى بيت المقدس وكان في ذلك الحين امير الجبل يوحنا فجهز هذا الامير اثني عشر الف فارس ونزل بهم في قب الياس عند البقاع وجعل يغزو الجبل الشرقي ويسطو على الحجاج فقطع الطرق وحدث في تلك السنة نفسها ان توفي قسطنطين اللحياني وخلفه يوستينيان وله من العمر ١٦ سنة فامر يوستينيان قائد الجيش لاون ان يزحف بالجيوش الى انحاء المشرق فلما بلغ القائد عساكر الجبل انضمت هاته العساكر اليه فغزا العرب واسترد منهم ارمينية وايبارية والبانية وهرقانية ومادية فكتب عبد الملك بن مروان

الى يوستينيان يهنئه بالملك ويسأله تجديد الهدنة متعهداً له في مقابلة ذلك ان يدفع اليه في كل يوم الف ذهب وفرساً ومملوكاً ويقاسمه خراج قبرس وارمينية وايبارية وذلك على شرط ان يخرج اللبنانيين من جبلهم فاجابه يوستينيان الى ذلك وانفذ اليه القائد بولس للتداول في تلك الامور وتقريرها على وجه ما تكون فيه المصلحة ولما تمّ ذلك ارسل يوستينيان الى يوحنا امير جبل لبنان ينهاه عن مناواة عبد الملك والتعرض له بشيء ويأمره بالمسير بجيشه الى الغرب فابى الامير ان يسير بجيشه لعلة الشتاء . فغضب يوستينيان من تلك الاباءة وحسب الامير وقومه من العصاة المتمردين فنوى ان يبطش بهم فامر في الحال بتجهيز الجيوش وتوجيهها عليهم واشاع احتيالاً انه يسير تلك الجيوش لقتال العرب واوصى القائد ان يذهب بنفسه الى قب الياس يحتال على الامير يوحنا ويقتله فلما بلغت عساكر الروم البقاع تخلف عنهم قائدهم وسار الى قب الياس بنفر قليل فخلا بالامير يوحنا وغره بما دفع اليه من هدية الملك يوستينيان اليه وكتبه وجعل يحدثه في الزحفة على العرب ويسأله النجدة حتى اطمأنت نفسه ثم دعاه الى مؤاكلته فما راع الامير الا نفر القائد قد وثبوا عليه فقتلوه غيلة فاشتبك جيش الامير بجيوش الروم فانجلت الواقعة عن انهزام المردة لاغتيالهم ولما قتل الامير يوحنا خلفه سمعان ابن اخته فسار سمعان باثني عشر الف مقاتل الى انحاء ارمينية فهدم السد النحاسي ثم اجتاز الى بلاد ثراكية المعروفة الان بالروملي وتوطن هو وعسكره بالقرب من الجبل الاسود في انحاء الارنابود حيث يوجد قوم هنالك يدعون الى الان مرديت اي مردة فمن ذلك الحين قال العلامة الدويهي

لقب اللبنانيون بالمردة اي العصاة لكونهم عصوا امر يوستينيان الملك في عدم التعرض للعرب وشخوصهم الى بلاد المغرب وقال شدران المؤرخ « ان جميع البلاد التي كانت في يد العرب من المصيصة الى بلاد الارمن كانت بسبب غزو المردة وسطوهم خالية خاوية فلما نزع الملك يوستينيان شوكتهم بقتل اميرهم وجلاء عساكرهم جلب بذلك على مملكته الخراب والدمار وقال بكتناب « وخرب يوستينيان المملكة بغروره وسوء تدبيره اذ جلا عن لبنان المردة وقد كانوا للروم عوناً في كل امر هام وكانوا يرهبون بهم العرب . وقد ذكر المؤلف الرومي تاوفان فيما قال العلامة السمعاني حكاية جلاء المردة عن لبنان فقال ان يوستينيان الملك لما سار الى ارمينيا امر معسكر المردة الذي اخرجه من لبنان ان يوجه اليها اي الى ارمينيا وقال احد ملوك الروم قسطنطين السابع ان المردة نقلوا الى بمفيليه وجعل قائدهم في مدينة اضاليه وكانوا هناك من عصر يوستينيان الى عصره اي عصر المؤلف وذلك في اواسط القرن العاشر وقال هذا الملك ايضاً ان الملك القسطنطيني كان يجعل على المردة والياً منهم في اضالية يسمى قبطاناً وان اباه الملك لاون جعل عليهم رجلاً اسمه استاوراسيوس وكان ينصب لهم فيما قال العلامة السمعاني قاض يسمى قاضي اضالية وفي ايام الملك ميخائيل سنة ١٠٧٤ كان اسم احد اولئك القضاة مخائيل الف في القانون كتاباً طبع في فرنكفوت سنة ١٤٥٣ وكان في قسطنطينية لكبير المردة مرتبة خصوصية بدليل ما رواه غريغوريوس كوريتوس كورو بالات الذي كان في القسطنطينية عند ما افتتحها العثمانيون اذ قال ان كبير المردة كان يحمل عكازاً من الفضة مموهاً بالذهب وبدليل ما اثبته الكاهن الراهب متى

جاز في كتابه المتعلق بوظائف القصر القسطنطيني حيث قال ان كبير المردة كان يجيء في الرتبة السابعة عشرة بعد الملك ·

من امعن النظر في جميع ما تقدم من الاقوال والحكايات على ما فيها من الاختلاف يرَ رأي العلامة السمعاني بان المردة والملكية هما في الاصل حزبان سياسيان فان الملامة على يوستينيان من شدران المؤرخ وبكنتاب مسوقة من وجه سياسي لانهما اظهرا سوء تدبيره وقصر مداركه ولم يتعرضا لذكر الدين بشيء ما من ملامتهما ثم ان قصة قتل الامير يوحنا تدل بتفاصيلها على ذلك دلالة واضحة وعلى ان المردة كانوا ممتازين عن بقية الدائنين لسلطة المملكة الرومانية · والحاصل من ذلك كله انه لا ينبغي ان يتخذ لفظ المردة بمعنى مرادف للموارنة كما انه لا ينبغي ان يتخذ لفظ الملكية بمعنى مقابل للموارنة في امر الاعتقاد وان الطائفة المارونية انما اتخذت هذا الاسم من رئيسها يوحنا مارون الذي اتخذ اسم مارون من القديس مارون صاحب الدير الذي على النهر العاصي في بلاد حماه واما اطلاق هذين اللقبين على حزبين دينيين فقد كان بعد وضعهما وذلك مثل كثير من الاوضاع التي بعد وضعها يتناولها التغيير والتبديل لعلة ما ·

ثم ان الموارنة لما كانت احوالهم مرتبطًا سيرها بسير احوال المردة امرائهم رأينا من الضرورة ان لا نفصل بينهما في الذكر في هذا الكتاب حفظًا للانتساب في الحوادث التاريخية ·

قال العلامة الدويهي في الكلام على اصل المردة ما مضمونه ان الذين اوقعوا الرعب في قلوب الفرس والعرب وسموا مردة لا موارنة يتبين اصلهم من قصة يوحنا البطريرك اذ جاء فيها انه ارسل الى القسطنطينية

ثلاثة من نخبة القوم ليحملوا المظلة فوق رأس الملك وانه تناسل من هؤلاء الثلاثة كثير من الملوك وقد اثبت العلامة المشار اليه شيئاً من اسمائهم واخبارهم مأخوذاً عن كتاب قديم لم يذكر اسمه ولكنه يقول انه تركه له سلفه البطريرك جرجس وكان قد نسخه داود بن ابرهيم في السنة ١٣١٥ المسيحية فقال : انه في ابتداء دولة العرب كان يوسف ملكاً على جبيل وكسرى على الداخلة ومن اسمه سميت كسروان وكان ايوب متولياً قيصرية فيلبس وبيت المقدس في خلافة عمر (رضي الله عنه) . وبعد ايوب قام الياس وهذا انجد هرقل عند قدومه الى بلاد الشام (وهرقل ملك الروم بعد فوقا سنة ٦١٠ ب . م ومات سنة ٦٤١) ومن بعد هؤلا تولى امر جبيل وجبل لبنان الملك يوسف وهذا سار باثني عشر الف فارس من الابطال الى بلاد ارمينية وظفر بجيش سابور وقائد هذا الجيش سرجيس الارمني فهدم معاقله ودك حصونه وسلب نعمته ثم اقفل راجعاً . ثم ان عساكر الملك يوسف جازت سواحل البحر والبقاع الى بلاد معاوية فتشتت اهلها في كل صقع وقام بعد يوسف ملك اسمه يوحنا استولى على كل الارض المقدسة فخرج من جبل لبنان الى الكرمل وفي صحبته جماعة عظيمة قاصدة المسير الى اورشليم فوثب عليه لصوص كثيرون من بلاد الغضبي واحاطوا به فوق برج الغرباء واهلكوا من جماعته ثلاثة آلاف بالسيف فتحول على الغضبي وعلى بلادهم فقتل منهم تسعة آلاف وسلب الغنائم والبهائم والنساء والاطفال ثم رجع الى بلاده وسكن في بسكنتا وروى ابن القلاعي ان مقر الملك كان بجبيل وانه لما كانت بلاد الداخلة يحف بها خطر عظيم من فرضة بيروت ومن الدرزي امير الغرب اجتمع اربعون اسقفاً فدهنوا سمعان ملكاً عليها فهزم الاعداء

وجعل سكناه في بسكنتا بين الحدين فامتنعت بشجاعته ومات شيخاً فخلفه كسرى على كسروان وكان بطلاً باسلاً اتى ملك الروم بقسطنطينية فاكرم الملك وفادته ووصله بالعطايا واقامه ملكاً على بلاد الداخلة فعدل في حكمه وسميت كسروان باسمه .

وهذا ما ذكره ابن القلاعي في كتابه قال « كان الموارنة عند ما دخل المسلمون بلاد الشام يسكنون جبل لبنان يتولون باقتدارهم وسطوتهم الامر في الجبال وفي السواحل التى تجاورهم وعقيدتهم عقيدة الكنيسة الرسولية الرومانية وكانوا قايمين باداء الطاعة لبطريركهم المقيم بينهم يحامون عن الدين القويم وينتصرون حباً بعقيدتهم لكل من لجاء اليهم فراراً من ظلم اصحاب الكفر واهل البدع اما بلادهم فكانت من حدود بلاد الشوف الى بلاد الدريب ولخوفهم من الدروز القاطنين في الشوف ابتنوا الحصن المعروف بالقلعة الحجرية في انطلياس والحصن المشهور في درجة بحرصاف واقاموا اسقفاً لقرية رأس المتن واسقفاً لقرية بحرصاف واسقفاً لقرية بحنس ثم سعوا في تجديد قرى وحقول بيروت القديمة وغرسوا بساتين وكروماً على نهر العرعار وكان اميرهم يسكن قرية بسكنتا ولكثرة رجاله وابطاله تعظم بنفسه وانحدر الى ارض البقاع ونهبها وقتل كثيراً من اهلها ولبث اياماً في قرية قب الياس بسفح الجبل فلما اتصل خبره بعبد الملك بن مروان سنة ٦٨٥ وذلك في ايام يوستينيان الاخرم ارسل عبد الملك هدية اليه كانه يريد مصادقته وكان في الواقع يريد بذلك اصطياده ولم يزل يمكر به حتى قتله وقتل كثيرين من عسكره واحرق القرى وابعد الموارنة من البقاع وكان ابن اخت الامير احد مقدمي العسكر يسمى سمعان وكان بطلاً شجاعاً ذا مروءة

ونخوة غير راضٍ عن اعمال خاله وفواحشه وكان لذلك لما وقعت الواقعة قد فر مع جملة من المقدمين فلم يذودوا عن اميرهم لشدة غيظهم منه بل رجعوا بعد قتله فدفنوا جسده في قب الياس وامروا ان لا يذكر احد اسمه البتة وذلك لزعمهم انه عاش ومات مرذولاً اما العسكر والمقدمون فصعدوا الى الجبل وكان المسلمون يضايقونهم كثيراً وتواقعوا في البقعة المعروفة بالمروج ولم تزل الحروب منذ ذلك الحين ثائرة بين الفريقين من جميع الجهات الى نحو ثلاثين سنة وكان من نتيجة ذلك ان انقطعت الطرق واستعصت الجبال كلها وعجز الموارنة عن الاقامة بحصن انطلياس لانه طرف البلاد فتركوه واتوا ناحية نهر الكلب وشادوا فوقه حصناً ووقعت ايضاً هنالك موقعة هائلة جداً سمع صوت البنادق فيها وصراخ الابطال من قرية بحرصاف وكان المقدم سمعان يومئذٍ في بكفيا فلما سمع ضجات الحرب انحدر بنحو الف وخمسمائة رجل لمساعدة رجاله

ثم انطلق المقدم سمعان يزور يوسف امير مدينة جبيل فتلقاه البطريرك غريغوريوس الحالاتي الذي كان في عهد البابا اينوشنس الثاني الجالس يومئذٍ (سنة ١١٣٠) بالقرب من المدينة ودعاه الى ضيافته وبعد تمام الوليمة سار معه الى المدينة فخرج الامير لملاقاتهما في خارج السور وبعد ان قدم واجب الاحترام للسيد البطريرك اعتنق سمعان وساروا جميعاً ماشين الى دار الامير · ثم ارسلوا فجمعوا اساقفة البلاد من عكار الى حدود الشوف وكانت عدتهم نحو اربعين اسقفاً وثبتوا سمعان اميراً على العاصية المسماة اليوم كسروان وحدودها من نهر بيروت الى نهر ابرهيم

فباركوه ودعوا له وانصرفوا ثم ان امير جبيل وهب للامير سمعان عدة من الخيل والجمال فودعه الامير سمعان وخرج يحارب الاعداء ولم يزل في طلب من هرب وصد من اقترب حتى مات ودفن في بسكنتا بشيخوخة مكرمة وخلفه كسرى خال سمعان اخي المقتول في قب الياس وكان ذا سطوة وبأس وجرت له وقائع عديدة مع اعدائه وذهب الى قسطنطينية وقابل ملك الروم وصادف منه احسن قبول ووهب له هبات جليلة واقرّه على بلاد كسروان وصرفه بسلام وعاد راجعاً في البحر الى مينا طبرجا فلاقاه اهل البلاد وهناؤه بما لقي من الحظوة عند ملك الروم وسموا بلادهم كسروان باسمه ثم بلغه عن كامل مقدم قرية لحفد انه رجل شجاع يغزو اعدائه في ناحية بعلبك فاحبه ورغب في مصادقته وارسل له هدية مع بعض غلمانه اما المقدم كامل فتريب منه ولذلك بعد ان اكرم الرسل اعتذر لهم انه لا يستطيع ان يقبل الهدية بسبب مولاه يوحنا امير جبيل ثم صرفهم من عنده بكلام لطيف وعادوا الى الامير مولاهم واعلموه بحقيقة الحال فازداد رغبة في مصادقته وارسل اليه ثانية يخطب اليه ابنته لابنه فاستشار كامل امير جبيل بذلك فاذن له فعقد عقد الزواج ومن ذلك الحين تمكنت المحبة بين اهالي جبيل وكسروان واستمروا على الولاء زمناً غير قليل اه مأخوذاً عن الدويهي

اننا بعد البحث والتنقيب عن احوال المردة في ما اتصل بنا من اقوال المؤرخين القدماء عنهم وما وقع لدينا من تفصيل الحديثين لاخبارهم رأينا انه من المتعذر علينا تنسيق تلك الاحوال تنسيقاً يصلح ان يركن اليه لما ان في ذلك شيئاً من المباينة في رواية الحوادث وضعف الاسناد واختلاف الازمنة عما اريد التطبيق عليه من ازمنة الملوك

المعاصر لهم اولئك الامراء سواء كان اولئك الملوك من ملوك الروم او من سواهم

ومن امعن النظر فيما نقلناه يرَ في الامر رأينا فلا يجد الا اشتاتاً من المعلومات يتعسر ربطها بروابط الترتيب التاريخي وايضاً فاننا لم نرَ في تواريخ فتوح الاسلام ما مكننا من ذلك ففي فتوح بيروت الاول قال محمد بن صالح في كتابه تاريخ بيروت . ذكر النويري باسناده الى ابي الحسن بن الاثير في حوادث سنة ثلاث عشرة للهجرة (٦٣٥ للمسيح) قال لما استخلف ابو عبيدة يزيد بن ابي سفيان على دمشق سار يزيد الى بيروت وجبيل وعرقة وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً وخلى كثيراً من اهلها وتولى فتح عرقة معاوية بنفسه في ولايته ثم غلب على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر واول خلافة عثمان[1] رضي الله عنهما ففتحها معاوية ثم رمها وشحنها بالمقاتلة وقد رأينا في كتاب فتوح الشام انه في سنة ست عشرة عند استيلاء المسلمين على السواحل وتقرير الجزية عليهم دخل اهل بيروت في التقرير (مجلة المشرق عدد٣ص١٣١)

وها نحن مثبتون في هذا الباب ما جاء في الدر المنظوم من ذكر اولئك الامراء على حسب الترتيب الذي وضعه المغفور له صاحب الدر خلواً من الاسناد او مع اسناد ضعيف قال واما امراء المردة فاولهم يوسف ثم كسرى الذي سميت بلاد كسروان باسمه وقد كانت تسمى قبلاً العاصية

---

(١) يوافق ذلك عهد ولاية الامير يوسف الذي خلف الامير الياس الذي نجد هرقل الملك في حربه مع الفرس في سورية سنة ٦٢٨ او عهد ولاية الامير يوحنا

والداخلة ثم خلف الاميرين المذكورين ايوب ثم الياس الذي ساعد هرقل الملك في محاربة الفرس في سورية سنة ٦٢٨ وخلفه يوسف ثم يوحنا الذي حارب العرب وكسرهم سنة ٦٧٥ وسنة ٦٧٦ وكان حكمه ممتداً من حدود انطاكية سورية الى القدس الشريف ثم ابرهيم ابن اخت القديس يوحنا مارون الذي فيما قيل بنى جسر نهر ادونيس بالقرب من مصبه في البحر المتوسط الى الجنوب من مدينة جبيل فنسب النهر اليه ثم يوحنا الذي قتل عند قب الياس اي قبة او قبر الياس ثم سمعان ثم غيره من الامراء بالتتابع ومنهم الامير سمعان الذي كان لما قدم لويس التاسع ملك فرنسة بجيوشه الوافرة الى جزيرة قبرس ثم الى عكا سنة ١٢٢٩ ثم في اواخر سنة ١٣٠٠ اشتهر المقدمون الموارنة في بلاد كسروان وبلاد جبيل والبترون ثم في جبة بشرة فى سنة ١٣٨٨ ثم ظهر المشايخ الموارنة ذوو الاقطاع في جبل لبنان ثم الامرآء الشهابيون واللمعيون ونواب الامراء اللمعيين الذين قدموا الشوف في القرن الثاني عشر وانقرضوا سنة ١٦٩٧ وبيت عساف الذين توطنوا بغزير سنة ١٥١٥ وانقرضوا سنة ١٥٩٠ والشهابيون الذين خلفوا بيت معن سنة ١٦٩٧ .

وقد ذكر الخوري يوسف الطرابلسي في رسالة له كتبها في اصل الموارنة ان الامير موسى من امراء المردة انتهت ولايته سنة ٨٩٠ وان جاء بعده الامير جرجس والامير يوحنا والامير يعقوب فلبثت ولايتهم الى سنة ١١٩٠ اي الى اواخر مدة صلاح الدين الذي توفي بدمشق سنة ١١٩٣

لما كانت حوادث المردة كما قلنا غير متسقة اتساقاً يصلح ان يكون سلسلة تاريخية وكان ذكرها لا يخلو مع ذلك من الفائدة رأينا ان نثبت

ما عثرنا عليه منها مما ورد في كتب المؤرخين على علاته .

في سنة ٧٥٢ (١٣٥ هـ) زحف المقدم الياس برجاله الى البقاع العزيز ونهب قراه وقتل اهلها ثم قتله صاحب الشام فسمي المكان الذي قتل فيه قبر الياس وهو المعروف اليوم بقب الياس وخلف المقتول ابن اخته سمعان مقدماً على الجيش فحارب سمعان جيوش الشام في قرية المروج شرقي قرية الشوير وفاز بالغلبة عليها (تاريخ الموارنة للدويهي ص ٩٧)

وفي خلافة ابي جعفر المنصور العباسي سنة ٧٥٨ قدم اليه من المعرة وهو في دمشق الامير ارسلان والامير منذر بجماعة من عشيرتهما ولما كان قد بلغه شدة بأس مردة لبنان وقطعهم الطرق المجاورة بلادهم على ابناء السبيل ومبلغ غزواتهم الى حمص وحماة وغيرهما ورأى ان يجعل فيما خلا من البلدان المجاورة لهم اناساً ذوي بأس يخضدون من شوكتهم ويكبحون جماحهم اوعز الى الاميرين ان اسكنا بعشائركما البلدان الخالية من الجبل فكان ذلك كما سيتبين تفصيله في آنه

وما انقضت مدة حتى استوطن الامير ارسلان في سن الفيل والامير منذر في حصن سرحمور وسكن بقية الامراء في البلاد الواقعة عند حدود كسروان فجعلوا يشنون الغارة على المردة في كسروان ووقعت بين الفريقين مواقع عديدة منها واقعة نهر الموت وقيل لهذا النهر نهر الموت لكثرة القتلى من الفريقين في تلك الواقعة ومنها واقعة انطلياس التي تجاوز فيها عدد القتلى من الفريقين ثلاثمائة رجل ثم انجلت عن انتصار الامير ارسلان واخيه فانقطعت شوكة المردة عن ساحل بيروت وامن بذلك ابنا السبيل (اخبار الاعيان ص ٦٤٦)

وفي سنة ٧٩١ سطا المردة على الامير مسعود ابن الامير ارسلان وهو في سن الفيل فخرج اليهم الى ظاهر القرية وصدمهم صدمات عنيفة فازاحهم عن القرية بعد ان قتل منهم عدداً كبيراً وقفا اثرهم فاحرق بعضاً من قرى كسروان السفلى (تاريخ الموارنة للدويهي ص٢٨١)

وفي سنة ٨٠٤(١٨٩هـ) ارسل الخليفة هارون الرشيد ببغداد منشوراً الى الامير ثابت بن نصر الخزاعي امير الثغور الشامية ومناشير اخرى الى سائر عمال الشام ان يحضوا الناس على الرحيل الى لبنان تعضيداً لامرائه على اهل العاصية (اخبار الاعيان ص ٦٥٠)

وفي سنة ٨٢٠ اتى الامير تنوخ الملقب بالمنذر ومعه بعض من امراء قبيلته فسكنوا جنوبي لبنان في الجبال الخالية من السكان بالقرب من كسروان وابتنوا لهم في الغرب مباني وكانوا اعواناً لبني ارسلان وفي سنة ٨٤٥ وقع بين الامير هاني وبين المردة مواقع عديدة كان فيها النصر للامير هاني فاتصل ذلك بالخليفة المتوكل على الله فبعث اليه يحثه على مواصلة الحرب لقهر المردة ٠(تاريخ الموارنة للدويهي ص٩٧)

وذكر العلامة الدويهي ايضاً انه في سنه ٨٧٥ وهي السنة التي دخل فيها المتوكل على الله الشام وقع بين الامير النعمان امير بيروت وبين المردة عند نهر بيروت موقعة شديدة لبثت اياماً ثم انجلت عن انهزام المردة

وجاء في تاريخ بيروت لمحمد بن صالح (مجلة المشرق عد٤ص ١٦٢ و١٦٨) ان المؤرخين ذكروا انه في سنة ٤٤٨هـ (١٠٥١م) اقطع المستنصر بالله خليفة مصر عكا وبيروت وجبيل لمعز الدولة (وهو ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس كان ابوه صالح من امراء العرب فلما توفي سنة ٤٣٣

(١٠٤٤م) الدزبري صاحب حلب سار ابنه ابو علوان اليها وتملكها) عوضاً عن حلب واخذ حلب منه

وفي سنة ١٠٩٩ لما كان الافرنج سائرين الى القدس الشريف بعد اخذهم مدينة انطاكية وكانوا قد بلغوا ارض عرقة (وهي فيما ذكره ياقوت بلدة في شرقي طرابلس بينهما اربعة فراسخ) اتاهم قوم من المردة من جبل سير «وهي من امهات قرى الضنيه» والضنيه وبلاد جبيل وسار معهم جماعة منهم يدلونهم على الطرق والمسالك حتى القدس وكانوا ينجدونهم في مواقعهم مع اعدائهم ويمدونهم بالميرة والذخائر والسلاح. (تاريخ الموارنة للدويهي ص ١٠١ و١٠٢)

وفي سنة ١١٠٠ حدثت موقعة بين الصليبية ومعهم المردة وبين المسلمين عند نهر الكلب وذكر صاحب الغرر الحسان انه في سنة ١١١٠ جمع بغدوين[1] احد امراء فرنسة جيوشه وحاصر بيروت وفيها الامير شجاع الدولة الارسلاني وجماعة من ذوي قرباه محاصرة من جهتي البحر والبر ولما تعذر عليه فتحها استعان بفرنج السواحل وامراء المردة فانجدوه فانضم فرنج الشمال والمردة في جبيل واجتمع فرنج الجنوب في مرج الغازية ثم زحف الفريقان في يوم واحد الشماليون من طريق الجبل والجنوبيون من طريق الساحل وسطوا على الغرب صباحاً فنهبوه واحرقوه وقتلوا واسروا من بلت يدهم به ولم ينج من اهله سوى الغائبين والمنهزمين والمختبئين فقتل من الامراء الامير موسى بن ابرهيم بن ابي بكر بن المنذر واولاده الصغار

---

(١) هو ثاني ملوك الفرنج في القدس تولى الامر بعد اخيه غدفر يد وتوفي سنة ١١١٩

والامير القاسم بن هشام بن ابي بكر وولده الامير ادريس والامير مورود بن سعيد بن قابوس وولداه الامير اسد والامير زهير والامير مالك بن مصطفى بن عون والامير عبيد بن معضاد بن حسام والامير يحيى بن الخضر بن الحسين بن علي واخوه الامير يوسف والامير علي بن حليم بن يوسف بن فارس الفوارسي واولاده واخوته وبنو عمه فانقطعت بهم سلالة بني فوارس

وفي سنة ١١١١ انضم امير المردة الى بغدوين الملك وبلتران صاحب طرابلس مع اصحاب بقية البلدان لمقاومة جيوش كثيرة زاحفة الى بلاد الشام من انحاء العجم وبغداد فلما رأت هاته الجيوش كثرة عدد المقاومين قفلت راجعة من دون حرب .

لم يذكر محمد بن صالح في فصل فتوح الفرنج لبيروت من كتابه تاريخ بيروت المطبوع في مجلة المشرق مساعدة الامراء المردة للفرنج على فتوح بيروت واكتفى بذكر الواقعة اذ قال ولم تزل بيروت في ايدي المسلمين من الفتوح الاول (وهو الفتوح الذي جرى على يد معاوية) تنتقل من دولة الى دولة والمسلمون بها على احسن حال واسر بال حتى نزل بها بغدوين الفرنجي الذي ملك القدس وكثيراً من مدن الساحل في جموعه وحشوده وحاصرها حصاراً شديداً حتى فتحها عنوةً بالسيف في يوم الجمعه الحادي والعشرين من شوال سنة ثلاث وخمسماية (١١١٠م) واستولى عليها قتلاً واسراً ونهباً ثم تطرق الى بيان الاسباب التي افضت الى انتزاع الفرنج البلاد من ايادي المسلمين فذكر ما صارت اليه حال الخلافة ببغداد من الضعف عندما قويت دولة بني سلجوق المالكين في العجم وما وقع من

اضطراب في ممالك الشرق بسبب الشقاق ذلك من جهة ومن الجهة الاخرى ما بدا من الآمر باحكام الله وهو المنصور (ولد المستعلي) في ايام خلافته من وهن العزيمة والتغافل عن احوال الخلافة . ثم ذكر استيلاء الفرنج على انطاكية فقال انه كان في جمادي الاول سنة احدى وتسعين واربعمائة (١٠٩٨م) وعلى القدس فقال اخذوها في شعبان سنة اثنتين وتسعين واربعمائة (١٠٩٩م) واستولوا في طريقهم من انطاكية الى القدس على اماكن كثيرة بعد قتال شديد

ثم بعد ذلك تزايد مدد الفرنج من البحر الى السواحل وانضموا الى الفرنج الذين حضروا من البر واستولوا على مدينة بعد اخرى حتى اتوا على ساحل الشام جميعه وعلى غيره من البلاد فكانت بيروت في جملة ما أخذ

هذا ما وقفنا عليه من اصل الطائفة المارونية وامرائها المردة بلبنان اثبتناه مأخوذاً عن كتب القوم وسنثبت فيما يلي ما بقي من الاحوال متعلقاً بهم وبغيرهم من المقدمين والمشايخ مما سيجيء في عرض الكلام على غيرهم من اهل الطوائف الاخرى في لبنان ونسوق الكلام الان على الطائفة الدرزية في هذا الجبل مستندين في ذلك الى ما اثبته العلامة الشهير المغفور له بطرس البستاني في كتابه «دائرة المعارف» والى ما رواه اخرون من المحققين العارفين

الا انه يليق بنا قبل الدخول في هذا المبحث الجديد مبحث الطائفة الدرزية ان نبدي ما عن لنا من الملحوظات فيما يتعلق بالطائفة المارونية وغيرها من الطوائف النصرانية التي عمرّت لبنان

ان السواد الاعظم من اهل هذه الطوائف من السريان لاننا لو نظرنا الى اسماء القرى التي لم يرد لها ذكر في التواريخ الا بعد ظهور النصرانية بمدة غير يسيرة لرأينا غالبها اسما سريانية وكانت لغة القوم كذلك في معاملاتهم وعباداتهم وما فقدت هذه اللغة الا بعد تغلب العربية عليها وارتفاع شأن اصحابها في البلاد ومع ذلك فقد بقيت في العبادات ثم حصل تغيير فيها عند بعض الطوائف ليس من شأننا ان نستوعب تفاصيله الان فمن اراد ذلك فعليه بالكتب التي كتبت في الشقاق الديني بين الطوائف المسيحية. وبقيت كذلك في المعاملات الى زمن غير قديم في بعض الاماكن التي لم تتغلغل اليها غلبة اللغة السائدة لاسباب ربما كانت سياسية وذلك مثل قرية بشرة وحصرون [1] كما بقيت محفوظة حتى الان في بعض الاماكن كجبال بلاد السريان والكلدان وفي بعض المحلات الواقعة الى الشمال الشرقي من دمشق كمعلولا وجبعيدين ونجعة وعين التينة فان اهل هذه القرى يتكلمون بالسريانية والعربية

وايضاً فان في اختلاف سحنات بعض الناس من اهل تلك الطوائف ما يجيء مصداق قول شدران في تأريخه عن دولة قسطنطين اللحياني اذ

(١) قال مرهج بن نمرون الباني في تاريخه اللاهوتي المعنون افوبليا (اي سلاح الايمان قسم ١ راس ٤ عد ٢٤ ص ٨٩) انه لامر يستوجب الملاحظة ان بشرة وقرية حصرون التي تبعد عنها قليلاً وثلث قرى ومزارع اخرى تحاذيها قد حفظ سكانها اللغة السريانية او الكلدانية القديمة ولم يزالوا على حفظها فيها يتكلم الرجال والنساء غالباً اذ انه في فينيقيا وربما في سورية كلها قد فقدت هذه اللغة منذ دخول السراكسة حتى ان اللغة العربية اضحت لغة القوم الدارجة وما بقيت السريانية مستعملة الا في خدمة الاسرار المقدسة وفي الفروض الكنسية

قال في السنة الثامنة والتاسعة من ملك قسطنطين اللحياني دخل المردة الى جبل لبنان وملكوا جميع ما هو من جبل موروس[1] الى بيت المقدس واستولوا ايضاً على اعالي لبنان وفي مدة وجيزة انضم اليهم كثير من الاسرى والاغراب والعبيد حتى انافوا على الوف عديدة

✲ الدروز ✲

طائفة من طوائف سورية ولا يوجد طائفة بهذا الاسم الا في هذه البلاد · واحد الدروز درزيّ بضم الدال وتسكين الراء او بتحريكهما بالفتح وذلك فيما قيل نسبة الى محمد ابن اسماعيل الدرزي الذي ابتدأ بيث هذه الدعوة في بر الشام وقيل نسبة الى طيروز في بلاد العجم وقيل بل هو الطرزي اي الخياط وفي كلا النسبتين تحريف اما الدروز فانهم ينكرون الدرزي ويكفرونه ويلعنونه ويتبرأون من مذهبه وينسبون الكتب الموجودة بايدي غيرهم اليه وهم لا يحبون ان يلقبوا دروزاً بل احب الالقاب اليهم لقب الموحدين · يقال ان الدروز فرقة من الفرق الباطنية اذ لا يخفى انه لما ترجمت كتب الحكمة من اليونانية لعهد الخلفاء العباسيين وذاعت مبادي الفلسفة دخلت الشكوك في العقائد وكثرت البدع ووقع الخلاف وتعددت الفرق وكثر التأويل للكتب المنزلة تطبيقاً لها على مبادي الفلاسفة فانقسم

(١) موروس معناه الاسود علم لجبل يقال له اليوم الجبل الاقرع بينه وبين لبنان جبال الصيرية ومنه السويدية المعروف انتسابها اليه

الناس الى قسمين اهل الظاهر واهل الباطن وهذا الباطن اولد فرقاً كثيرة في الاسلام ذكرها محمد ابن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل الشهير وقال ان الباطنية لقب لزم هذه الفرق لحكمهم بان لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً ولهم القاب اخرى فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية الى ان يقول والباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج وذكر الشهرستاني بعض مقالاتهم المذكورة ثم ذكر اقوالهم في الفرائض والسنن واحكام الشرع من بيع واجارة وهبة ونكاح وطلاق وجراح وقصاص ودية ثم تطرق الى ذكر اصحاب الدعوة الجديدة منهم فذكر الحسن ابن الصباح وعرب فصوله الاربعة التي بدأ الدعوة بها وكتبها عجمية ومرجعها في كل مقالة منها الى اثبات العلم في معرفة الباري تعالى وان التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً وان النبوة هي النبوة والامامة معاً حتى يكون نبوة وقد منع صاحب هذه الدعوة العوام عن الخوض في العلوم وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف كيفية الحال في كل كتاب ودرجة الرجال في كل علم ولم يتعدَّ باصحابه في الالهيات عن قوله الهنا اله محمد قال وانتم تقولون الهنا اله العقول اي ما هدى اليه كل عقل فان قيل لواحد منهم ما تقول في الباري تعالى وانه هل هو وانه واحد ام كثير عالم قادر ام لا لم يجب الا بهذا القدر ان الهي اله محمد وهو الذي ارسل رسوله بالهدى والرسول الهادي اليه

فالدروز على رأي البعض هم فرقة من هذه الطائفة المسماة بالباطنية وقيل خلاف ذلك ويقال ان ليس يوجد منهم الا في سورية وهم يقولون

ان منهم في جميع الافاق فاما في سورية فاكثرهم في جبل لبنان في قضاء الشوف ثم في قضاء المتن وبعد لبنان اكثرهم في جبل حوران وبلاد البثينة واللجاة وصرخد ونواحيها ثم في وادي التيم الاعلى والاسفل اي قضاء حاصبيا وقضاء راشيا وقسم من قضاء وادي العجم وقضاء القنيطرة ثم في غوطة الشام اذ منهم هناك عدة قرى فجبل صفد وساحل عكا وجبل الكرمل وشفا طبرية ثم الجبل الاعلى في جهة حلب وعددهم يقارب مئة وخمسين الف نسمة في اصل الاقوال منهم خمسون الف نسمة في جبل لبنان ومثلها في جبل حوران ومثلها في سائر النواحي كلها والظاهر من التواريخ والمشهورات ان عدد الدروز كان اكثر جداً في سورية وانه تناقص برجوع عدد كثير منهم الى الاسلام وذلك لانه كان في حلب ومرعش وانطاكية خلائق من هذه الطائفة اختفت آثارها بتوالي الايام وتعاقب المحن خصوصاً محنة انطاكية الشهيرة عند الدروز ولم يبق من هذه الخلائق كلها في شمالي سورية سوى نحو الفي نسمة الى ثلاثة الاف ساكنين في الجبل الاعلى من ديار حلب وقد كان لعهد الامير بشير الشهابي ان رحل منهم جملة غير قليلة الى جبل لبنان لم تزل اعقابهم هنا بسبب محنة شديدة نالتهم هناك كذلك في الشام وغوطتها حيث يظهر ان الدروز كانوا كثيرين ولا سيما في محلتي باب المصلى وباب السريجة وفي الشاغور ويقال انهم كانوا الوفاً فلزم اكثرهم مذهب السنَّة والجماعة ورحل الباقون ولم يبق في نفس الشام اكثر من ثلاث مئة نسمة وانما في غوطة الشام فمنهم اهل قرية جرمانا والاشرفية وصحنايا ودير علي وغيرها ويحكى عن كثير من قرى جبل صفد والكرمل انها كانت تلقت الدعوة في اول الامر ثم رجعت الى السنَّة بعد مدة طويلة ولذلك لم يبق

الا اهل يركا وجولس وحي من شفا عمرو في الساحل واهل بيت جن وحرفيش في جبل صفد واهل الرامة والمغار في شاغور عكاء وشفا طبرية واهل الدالية وعسفيا في جبل الكرمل فوق حيفا ويقال لدروز جبل لبنان آل عبد الله ولدروز وادي التيم آل سليمان ولدروز جبل صفد آل تراب وقد تكاثر الدروز في جبل حوران بعد ان لم يكن منهم احد هناك منذ قرنين وذلك انه سنة ١٧٠٧ لما كانت الفتنة بين القيسية واليمانية وظهر القيسية على اليمانية في واقعة عين داره وانكسرت شوكة اليمانية وتأثرهم القيسية في كل مكان قتلاً وتعذيباً وتمادوا في اعناتهم اختار هولاء الرحيل عن اوطانهم فجلا في البداية بنو حمدان من قرية كفره الغرب بقرب عيناب وتبعهم اهل تلك القرية وخربت كفره من ذلك الوقت ولم تزل آثارها ثم تبعهم جم غفير من سائر الجهات التي فيها يمنية وقصدوا جميعهم لجاة حوران واخذوا ينسلون الى تلك الجهات مشاة وعلى كل ضامر حتى صاروا الى ما صاروا اليه اليوم من القوة والكثرة فاصل دروز حوران يمانية ولذلك باقية لهم اصطلاحات وعوائد مأخوذة من تلك الفرقة والظاهر ان ابن حمدان الذي كان مقدم القوم كان رجلاً حسن السياسة في قومه فان امورهم استتبت في ايامه حرباً وسلماً وصارت تلك الجهة مقصودة من الدروز وساعد على عمارتها بهم خصب اراضيها المفرط وتقوى الدروز هناك وبعدت سطوتهم ومع هذا فلم يشتهر امرهم في حوران الا منذ ايام ابرهيم باشا ابن محمد علي وذلك حين عصاه الدروز في اكثر الجهات فوجه اليهم قوة عظيمة لمحاربتهم وبعث الى دروز حوران عسكراً فاعتصبوا مع عرب السلوط واعتصموا باللجاة فتوغل العسكر في اللجاة فقاتلوه وكسروه وقتلوا منه

خلقاً كثيراً فارسل اليهم قائداً يسمى محمد باشا بعسكر وافر فقاتلوه وقتلوهُ
وقتلوا من عسكره خلقاً كثيراً فكتب ابرهيم باشا الى محمد علي ابيه يخبره
بحكاية الدروز ويطلب منه عسكراً من الارناووط لان العسكر النظامي
يتعذر عليه الحرب في الوعر فارسل العزيز اربعة الاف ارناووطيّ يقودهم
قائد اسمه مصطفى باشا فانضم الى الجيش الذي كان يحاربهم فكسروهم هذه
المرة ايضاً وملأُوا اخاديد اللجاة من قتلى العساكر المصرية وكان ذلك سبباً
لطمع بقية اهل سورية في قوة ابرهيم باشا لما راوا ان ثلاثة الاف من الدروز
هزمت هذه الجيوش العديدة من عسكر ابرهيم باشا الذي كادت لا تنهزم له
راية ومع ثورة دروز حوران ثار دروز لبنان ووادي التيم واصلوه حرباً عواناً
حضر ابرهيم باشا بعض وقائعها بنفسه واشهر هذه الوقائع وقعة وادي بكا
التي قاوم فيها خمس مئة من الدروز بضعة عشر الفاً اطبقوا عليهم من كل
جانب تحت قيادة ابرهيم باشا ومصطفى باشا الارناووطي وذلك منذ الصباح
الى غياب الشمس حتى لم ينجُ منهم سوى عشرين رجلاً اخترطوا السيوف
واخترقوا الصفوف وكانت نجاتهم احدى الغرائب ومن ذلك الوقت خصوصاً
اشتدت هيبة الدروز في القلوب وكانت قبائل العرب من قبل تعبث
في نواحي المعمورة وتضرب عليها الجزى فلما استفحل شأن الدروز خضدوا
شوكة العرب واراحوا الحضر من عيثهم ثم لما كان الدروز اهل حراثة وزرع
طبقوا ذلك الجبل بالعمل بحيث صار ايراده اليوم ثلث ايراد لواء حوران
باسره ولواء حوران هو انبار سورية وعليه فاكثر دروز حوران اصلهم من
لبنان ثم من وادي التيم وعلى الخصوص من راشيا ثم من جهات حلب ثم
من جهات صفد وقد زاد نموهم هناك بطيب البقعة وخصب الارض ونقاوة

الهواء فتجد اجسامهم على جانب عظيم من الصحة والقوة وقلما يوجد عشيرة او اسرة في جهة من جهات الدروز الا وجد لها انسباء في الجهات الثانية وذلك لكونها طائفة منحصرة ولكون عددها قليلاً بالنسبة الى الطوائف الكبرى وان كان لها شأن في تاريخ سورية فلعصبية افرادها وشدة باسها وتوفر صفاتها الادبية واختلفت الاقوال في هل يوجد في غير سورية من هم على مذهب الدروز ام لا والظاهر انه يوجد طوائف عديدة خارجاً عن سورية ان لم تكن على مذهب الدروز فهي تشابهها في المعابد وفي بعض الفروع وتدين بحب آل البيت ويقال ان في الهند وجبال هندكوش ايضاً مئات من الالوف يكتمون معتقدهم كالدروز ويجتمعون للعبادة ليلة الجمعة وهم هناك في غاية الصولة والشدة وفي حروب دائمة مع مجاوريهم من المجوس ومن الذين يشبهون الدروز في بعض الاحوال المذهبية خارجاً عن بر الشام قبيلة عرب بني لام في العراق والله اعلم

والدروز في الغالب اهل حراثة لا يشتغل بالصناعة والتجارة الا النذر القليل منهم وكان في الماضي ذلك فيهم اقل اذ كانوا لا يتعاطون الا القتال على انهم الآن اخذوا يقتدون بابناء وطنهم وعند ما انفتح باب المهاجرة في طلب الرزق الى اميركا واصقاع الغرب رحل منهم جماعة وافرة نظير غيرهم ولا سيما في هذه السنوات المتأخرة

وعندهم قابلية غير قليلة للتعلم وقد اخذ اعيانهم منذ مدة يعتنون بتربية اولادهم في المدارس فتجد منهم الآن عدة من ارباب القلم ومن العارفين باللغات الاجنبية وهم يزدادون اقبالاً على العلم اقتداء بغيرهم على ان طلب العلم فريضة عند الدروز والقراءة والكتابة لازمتان بحكم الدين

للذكور والاناث فالاميون منهم قد خالف آباؤهم النصوص الدينية في عدم تعليمهم وعليه فيكون قد سبقوا اشد الامم اخذاً باسباب التمدن والحضارة الى فرض التعليم وهم ينقسمون الى طبقتين عقال وجهال فالجهال من جهلوا اسرار الدين والعقال ويقال لهم اجاويد من عرفوها وهؤلاء من الورع والتقوى والمعرفة في الدين درجات وللنساء العقل في الدين كالرجال وليس لجاهل ان ينتظم في سلك العقال الا بعد التماسه ذلك مراراً من شيوخ قريته العقلاء وليس لهم ان يسلموه الدين الا بعد ان يروا باعينهم زكاء سيرته وكلما صلحت احواله كانت طبقته في العقل اعلى وكلما تجافى العاقل عن امور الدنيا واشيائها ازدادت الثقة به وشدت الرحال اليه وكلما استرسل في الاشتغال بها سقطت منزلته وضعفت الثقة فيه وقيل عنه انه جسماني ولذلك يرفض كثير من اهل الورع فيهم المناصب والاحكام حتى المناصب الدينية نفسها لما تقضي من المداخلة بين الناس ومعاشرة الحكام وبالاجمال فان رجال دين الدروز هم اقل الناس تداخلاً بأمور الدنيا والسياسة وفي ليلة كل جمعة ينضمون الى مجالس خلواتهم لاستماع قراءة الكتب الدينية وانصرافهم من تلك المجالس يكون بحسب درجاتهم في الدين فمنهم من يبكر في الانصراف ومنهم من ينصرف في وسط السهرة ومنهم من ينصرف في آخرها وليس للجهال ان يحضروا مجالس الدين الا ليلة العيد والعيد عندهم هو عيد الاضحى وفي منع الجهال عن حضور هذه المجالس انطباق على ما ذكر عن الحسن الصباح من منع العوام عن الخوض في العلوم وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب القديمة الا من عرف كيفية الحال في كل كتاب ودرجة الرجال في كل علم ولا شك انه ان كانت الدرزية فرعاً من الباطنية

فقد خالفتها في كثير من العقائد وانفردت بعدة خصائص وباينت اصلهـا في اكثر من واحد من المنازع التي تخالف السنة والجماعة ثم ان العقال يجب عليهم التأني والرزانة والعفة وصون اللسان من كل شتم وسباب وطعن وعدم المبالغة في الكلام وعدم التهور في الاعمال والاقوال والتزام الصدق في اللفظ والبساطة في الماكل والمشرب والمفرش واجتناب المسكرات والتدخين والسحت اي المال الحرام والمال الحرام هو ما اكتسب بالحيلة والظلم والكذب ولذلك يتجنب الاجاويد ان يأكلوا من بيوت من يشتبهون ان في امواله ما لم يحصل بطرق شرعية واذا التزموا اخذ مال ظنوا فيه مدخلاً للحرام بدلوه بمال يعتدونه حلالاً او صرفوه في غير المصاريف الضرورية وقيل انه لا يجوز ان ينفق في الغذاء وانما يجوز ان ينفق في الكساء وفي العقال من آثار الادب والحشمة وحسن السلوك ما يدل على انهم مسوقون الى ذلك بحكم الدين واما الجهال فلا يتناولون من الاحكام الدينية الا العامة منها وليست تكاليفهم كتكاليف العقال فلا يؤاخذون فيما يؤاخذ فيه هؤلاء ولكنهم من حيثيات عديدة تكاليفهم واحدة وجميع الدروز لا يجمعون بين الزوجين ولا يردون طالقاً وليس عندهم الرقيق والعقال يتعممون بالعمامة البيضاء ويلبسون القبأ والعباءة ويطلقون العذار ويسوغ ترك ذلك لذي منصب قضت عليه احوال منصبه بتغيير زي العقال هذا واما النساء فلهن النقاب وثوب يقال له صاية وفي اكثر الاماكن يغطين اوجههن بمنديل ولا يتركن سوى احدى العينين لرؤية الطريق واكثر العقال يحلقون رؤوسهم ومن خالف منهم هذه القواعد فان المتشددين في الدين منهم ينكرون ذلك منه وللدروز كافة رؤساء في

الدين في كل مكان فلهم في لبنان رئيسان يعرفان بشيخي العصر احدهما
جنبلاطي والآخر يزبكي وربما كان ذلك مراعاة لحزبين مشهورين في
الجبل وهما الجنبلاطية وعمادهم آل جنبلاط واليزبكية وعمادهم آل عماد
ومقام الرئيسين في الشوف يقضيان في الامور الدينية الكبرى وتستأنف
عندهما احكام قاضي مذهب الدروز ولهما الملاحظة العليا على الخلوات
والمجالس والامور الدينية وتزكية العقال وتجريحهم وانتخابهما يقع باتفاق
اكابر القوم من الاكفاء لمثل هذا المنصب بالنظر الى التقوى والورع في
الدين واستقامة المسلك والمعارف الدينية والآداب خالية من شائبة
النفج والمفاخر الظاهرية وفي القرى اشياخ عقل يقومون بادارة شؤون الدين
ويديرون الاوقاف واشياخ خلوات يقومون بادارة امور الخلوات والخلوات
عندهم اماكن الاجتماع الديني ولها اوقاف كثيرة وهي على قسمين قسم منها
لاجتماع اهل القرى وهي المجالس العمومية التي يغشاها العقال كل ليلة جمعة
وقسم اخر وهو وان كان ايضاً مباحاً الدخول فيه لكل العقال فان اصحابه
انقطعوا فيه الى العبادة بمثابة الاديار عند النصارى والقرى انواع في الاجتماع
فمنها ما يجتمع عقالها كلهم في مجلس واحد ومنها ما ينقسم عقالها الى مجلسين
او مجالس متعددة اما لكثرة عدد الحضور او لوجود انشقاق بين العيال
واشهر خلوات الدروز هي خلوات البياضة في ظاهر حاصبيا وامور الدين
والخلوات راجعة الى اشياخ العقل في كل قرية وهؤلاء يرجعون الى الشيخين
الكبيرين اللذين ذكرناهما وهما الان في جبل لبنان الشيخ محمد حماده من
بعقلين والشيخ محمد طليع من جديدة الشوف وفي جبل حوران الشيخ احمد
الهجري والشيخ حسين طربيه والشيخ خطار الحناوي وفي بلاد صفد

الشيخ طريف المحمد وفي غوطة الشام الشيخ صالح الجرماني ويوجد اشياخ اخرون لكن شيخي الشوف هما اعلاهم كلمة لأن الدروز يعتقدون ان مركزهم الاول هو في الشوف وان اكابرهم هم في جبل لبنان ورؤساوهم في كل محل يعترفون بسيادة روسائهم في لبنان

وليس في منهاجهم الديني ما ينقض اسباب ائتلافهم مع غير اهل مذهبهم ولا الانقياد الى الحكام بل هو بعكس ذلك يمهد سبيل الارتباط بين الجماعات وينافي التحزب الديني كما يظهر ظهوراً واضحاً من سير اشياخ العقل فيهم ومعاملة كبرائهم لمن ساكنهم من النصارى وغيرهم فان كثيرين من نصارى الانحاء الشمالية في لبنان جلوا عنها في اوائل القرن السابع عشر فراراً من بعض المظالم ولجأوا الى الانحاء الجنوبية التي كانت في يد اكابر الدروز فشاد لهم هؤلاء الاعيان الكنائس وعاونوهم في امور دينهم ووقوهم من التعدي واسوهم بالاموال وذلك لسببين احدهما ان الدروز كانوا لا يعتنون الا قليلاً بالزراعة والفلاحة والصناعة فاحتاجوا الى النصارى لاجل عمارة بلادهم والثاني وهو الاهم في ما يقال انتهاء الدعوة الدينية عندهم واغلاق ابواب الامال دون الاستزادة في عدد ابناء طريقتهم فحفظوا دينهم لانفسهم وسلكوا مع غيرهم السبيل الذي يسلكونه في معاملة بعضهم بعضاً الا فيما ندر من الامور المنصوص عليها عندهم ولذلك قلما تجد عاقلاً من عقال الدروز يجادل في الدين مع شخص خارج عن ملتهم فان هذا ممنوع عندهم منعاً قطعياً كذلك هم مأمورون ديناً بالجهاد واطاعة الحكام عملاً بقوله تعالى واطيعوا الله والرسول الاية ولاجل ذلك كان لهم في المجاهدات قدم الصدق وبالاجمال فان منهاجهم يحظر

عليهم الخروج على الحكام والعداوة مع بقية الطوائف وما صدر من افعال بعضهم خلافاً لذلك هو مخالف لاصول دينهم ومنشأوه اما الغباوة وقوة النفوس الغضبية واما اسباب اخر حدتهم الى الاخذ بالثار ولا ينكر ان الاخذ بالثار عندهم امر غريزي يشابهون فيه اهل البادية ولكن قل فيما بينهم الان عندما انتظمت امورهم مع امور غيرهم بحكومة نظامية وهذا الميل فيهم عام سواء مع ابناء دينهم اومع غيرهم والظاهران قلة عددهم دعتهم الى الدفاع عن انفسهم بشدة وحزم فانهم مع انقسامهم في اكثر الاماكن الى فئتين اذا تعدى عليهم متعدٍ من الخارج اتفقوا عليه واذا كانت الاسرة الواحدة منشقة فاذا طراءت عليها خصومة من اسرة ثانية انضمت كلها يداً واحدة ضد من ناوأها وما حدث بينهم وبين النصارى في الحوادث الثلاث من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٦٠ انما حدث لاسباب سياسية بين الفئتين وكانت الحادثة الاخيرة حادثة الستين التي نشأ عنها تداخل اوربي فوضعت الفتنة اوزارها عن نظام لبنان الحالي وزالت بعد ذلك الاحقاد من القلوب وتراجعت مياه الصفاء الى مجاريها وعاد الفريقان الى ما كانا عليه من الائتلاف والدروز موصوفون بالشجاعة والاقدام ولهم غرام بذكر الحروب والوقائع وميل عظيم الى الفتوة وشدة اعتقادهم بالقضا والقدر مع انقيادهم الى روسائهم وطاعتهم لكبرائهم تمهد لهم في الغالب سبيل الفوز ومما ينبغي ان يذكر لهم انهم في حروبهم لا يتعرضون اصلاً لما يمس الاداب وما سمع انهم سطوا على العرض ولا قتلوا النساء ولا الاطفال وربما احتمى نساء اعدائهم ببيوتهم بعد قتل بعولتهن ورائين منهم غاية الرفق والانسانية وذلك لأن الدروز شديدو التمسك بالناموس الادبي فلا يسطون على اعراض غيرهم وعندهم

احترام الحريم

واذا بحث الباحث في عامة اخلاقهم لم يجد منها ما ينكر بل رأى الناموس سائداً فيها والفى كثيراً من الآداب الحسنة والفضائل ومن داخلهم وجد بينهم في كل محل اناساً من اهل الورع الحقيقي والنزاهة التي لا ريب فيها ومما يذكر في تواريخهم ان فرقة منهم اسمهم السكينية وهم من اتباع الدرزي السابق الذكر خرجت في نواحي وادي التيم وخالفت جماعتهم في بعض العقائد واتت بعض الاعمال المنكرة فقاموا عليها جميعاً وما زالوا يضربونها بحد السيف حتى استاصلوها عن بكرة ابيها ولم يبق منها احد الآن ومما يوصف به الدروز مزية الكرم والاحتفاء بالضيف ولا غرو فهذه من العادات الشرقية التي يفتخر بها اهل الشرق جميعاً وحيث كان الدروز اصلهم من العرب كانت هذه العادة فيهم كعادة حب الثار واقتضاء الاوتار وقد كان بين الدروز انقسام قديم تناول ما جاورهم من الطوائف وهو الى قيسي ويمني فكان من القيسية الامراء التنوخية والمعنية وكان من اليمانية الامراء آل علم الدين وكان الامراء الارسلانيون اميل الى اليمانية منهم الى القيسية ومثل هذا الانقسام كان في عرب الاندلس وسبب حروباً كثيرة هناك واسال جداول من الدماء بين القيسية او المضرية واليمانية او القحطانية وقد نشات عن هذا الانشقاق فتن كثيرة في لبنان واطراف سورية وانتهى ذلك في واقعة عين دارة حيث اضطرب حبل اليمانية ورحل قسم منهم من البلاد فتلاشى الانقسام ولما كان الحكام في ذلك الوقت لا يمكنهم الحكم بغير الانقسام اخذوا يهيئون اسباب انقسام آخر ولم يزالوا الى زمن الشيخ علي جنبلاط والشيخ عبد السلام العماد وكانا في عصرهما حائزين نفوذاً تاماً فانقسمت

البلاد الى قسمين سمي احدهما بالجنبلاطي والثاني باليزبكي فالجنبلاطي يرأسه آل جنبلاط واليزبكي يرأسه آل عماد منذ ذلك الوقت ومن العشائر المعدودة في روساء اليزبكية ال تلحوق وال عبدالملك و بقي هذا الانشقاق مشتداً والحكام في لبنان يقاومون هذا الحزب بذلك الحزب حتى اذا اشتدت شوكة هذا رجعوا الى مصالحة ذاك وعكسوا القضية حتى فشا انقسام اخر بين عامة الدروز وهو الصمدي والشقراوي وذلك انه يوجد عشيرتان في قرية عماطور يقال للواحدة منهـا بنو عبد الصمد والثانية بنو ابي شقرا وهما متكافئتان في القوة وفي اكثر الاحوال وقد حصلت بينهما فتن ومشاغبات ولا تزال المناظرة بينهما فانقسم الاهالي بهذا السبب الى قسمين شقراوي وصمدي وتغلب هذا الانقسام على اليزبكي والجنبلاطي ولكن عاد الانقسامان الى واحد تقريباً لان اكثر الحزب الصمدي هم يزبكية واكثر الحزب الشقراوي هم جنبلاطية ولم تنحصر هذه الفرق في الدروز وحدهم بل تتناول من جاورهم من المسلمين والنصارى فتجد هذا الميل في كل محل من جنوبي لبنان واواسطه وفي وادي التيم شيء منه اما دروز حوران وصفد فلا يعلمون هذا الانقسام

وللدروز محافظة عظيمة على الانساب والدرجات فتجدهم طبقات كل طبقة لا تزوج الطبقة التي دونها ولم ينحصر هذا في مشايخهم بل تراه في عامتهم فقد يمضي مئات من السنين على عائلتين متساكنتين في محل واحد ولا تزوج احداهما الاخرى والسبب في ذلك كون احداهما اشرف اصلاً من الاخرى واذا خالف احد افراد تلك العائلة مشرب اهله وانكح من ليس من طبقتهم تبرأوا منه ولم يعتبروه واحداً منهم كذلك التقدم في الاجتماعات

والمشي والتوقيع وكتابة الاسماء في الدفاتر السلطانية له قواعدعندهم مرعية اكثر من غيرهم لا يتسامحون فيها فتجد كل فيئة عارفة حقها لا تعتدي على من فوقها ولا تدع من تحتها يعتدي عليها والتقدم بعد الامراء هو للمشايخ الجنبلاطيين ثم الى المشايخ العماديين ثم للنكديين ثم للتلاحقة ثم للملكية ثم لبني العيد وهؤلاء هم اصحاب المقاطعات ثم يبتدىء المشايخ الذين ليسوا باصحاب عهدة اي اقطاع وهم طبقات ايضاً وينتهي ذلك الى العامة وقد الغيت امتيازات اصحاب الاقطاعات بحسب نظام لبنان وقد صار الحكم للقانون واما في حوران فلا عبرة بالانساب في الغالب والدروز هناك تقريباً كلهم اكفاء فتجد ابن الاطرش من اعظم مشايخهم يتزوج من العامة ويزوجهم والسبب فيه عدم قدمية عيال الدروز في حوران وان مركز مشايخهم الاجتماعي انما حصل من عهد قريب بالتغلب والقوة واشهر عشائر الدروز في حوران بنو الاطرش ثم بنو عامر ثم بنو ابي عساف ثم بنو هنيده ثم بنو نصار ثم بنو عزام الخ

اما ديانة الدروز فقد اختلفت فيها الاقوال والراجح انها طريقة من طرق اهل الشيعة والدروز يعترفون انهم خرجوا من الشيعة ويقال من الشيعة السبعليه اي اصحاب الائمة السبعة ولا شك ان هذا المذهب فرع من التشيع لانه ما ظهر الا في ايام الخلفاء الفاطميين في مصر وان روحه هو التعظيم لآل البيت النبوي وعلى الخصوص فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقال بعضهم انها طريقة احتوت على بعض اراء فلسفية واصول حكمية امتزجت بعقائد اسلامية وبالاجمال فهذه الفرقة متشعبة من الدرجة الاسلامية التي تعددت اغصانها وكثرت فروعها وقد نال الدرزية في

بداية ظهورها اضطهاد كبير وتعقب الحكام ابناء دعوتها في كل مكان
والظاهر ان ذلك الاضطهاد في ذلك الوقت اضطر ابناءها الى الاعتصام
بالجبال واتخاذها مساكن لها وكان هو السبب في كتمان مذهبها حتى صار
الكتمان عند ابنائها قاعدة دينية ويقال لهم بنو معروف وهم يقرّون
بالشهادتين ويقولون نحن مسلمون ويكرهون عبادة الاصنام كراهة شديدة
ونسبة عبادة العجل اليهم خطأ فاحش فانهم يؤمنون بان الله اله واحد لا
بداية له ولا نهاية ويؤمنون باليوم الاخير وبالقدر خيره وشره وان الله تعالى عدل
في افعاله متصرف في مِلكه ومُلكه يفعل ما يشاء ويحكم كما يريد ويعتقدون بان
القران الشريف قديم منزل ولكنهم يخالفون اهل السنة في تفسير بعض اياته وهم يحثون
على العدل والاحسان وايتاء ذي القربي والمسكين ويحرضون على نيل المعارف وحسن
السلوك والالفة وللعقال فيهم فضائل بادية وهم مأمورون باجتناب الكذب والقتل
والفسق والزناء والسرقة والكبرياء والريا والغش والغضب والحقد والنميمة والفساد
والخبث والحسد وشرب الخمر والغيبة وجميع الشهوات والمحرمات والشبهات والتجافي
عن الهزل والسخرية والهزء وجميع المضحكات والامتناع عن الحلف بالله صدقاً ام
كذباً والسب والقذف والدعاء على الناس بالمضرة ومن قتل منهم قتيلاً في غير حرب
شرعية او ارتكب الزنا فلا يمكن قبوله في المجالس اصلاً الا اذا تأكدت توبته وتحققت
ندامته وزكت سيرته وليس لعاقل ان يخلو بامراة ولا ان يرد تحيتها ما لم يكن بينهما
ثالث وكل عاقل اتى منكرًا عزل عن مجلس العقال وبقي معزولاً حتى تحققت توبته
وندامته واذا مات احد الجهال لايجوز للعقال ان يزكوه علناً على المقبرة ولا ان يستمطروا
عليه الرحمة واذا مات عاقل مشتبه في تقواه ايضاً امتنع العقال المتشددون عن طلب
الرحمة له جهارًا وذلك كله فيما يظهر لاجل تحريض الناس على اجتناب المعاصي
والتزام السيرة المرضية وهم يؤمنون بالانبياء وبالسيد المسيح منفياً عنه الالوهية والصلب
ومن جملة عوائدهم انهم يوصون باموالهم واملاكهم الى من شاءوا ولذلك منحتهم الدولة
العلية ان ينفذوا وصاياهم بقاضٍ نصب لهم وهو الان في لبنان الشيخ سعيد حمدان
وفي حاصبيا الشيخ حمد قيس اما الوصية فالمصطلح عليه فيها ان يتلى صكها عند القبر

بعد دفن الموصي على مسمع جميع الحضور وهم في الغالب يوصون للذكور من اولادهم واعقابهم اما الاناث فيوصون لهن براتب يدفع اليهن اذا خلون من الزوج ومن اجل ذلك يندر ان تكون امرأة منهم ذات ثروة عظيمة وشعائرهم في الزواج والطلاق والصلاة على الجنائز والختان كشعائر المسلمين ولكن جرت العادة عندهم ان لا يردوا طالقاً ولا يجمعوا بين زوجين وقد أُمروا بالصلاه والصيام وحفظ القران الشريف وهذا ملخص ما نعلم من خبرهم . ولما كان الامراء التنوخيون هم اشهر امراء هذه الطائفة نبتدي بذكرهم فنقول



الامراء التنوخيون القيسيون

ان الامراء التنوخيين القيسيين في جبل لبنان ينسبون الى تنوخ بن قحطان ابن عوف بن كندة بن جندب بن مذحج بن سعد بن لحي[1] بن تميم بن النعمان ابن المنذر[2] بن ماء السماء اللخمي وتنوخ اسم كان قد

---

(١) وفي تاريخ الاعيان : طي

(٢) ان المنذر بن ماء السماء الذي انتهى اثبات النسب اليه هو المنذر بن امرئ القيس بن النعمان الاعور بن امرئ القيس المحرق ابن عمرو بن امرىء القيس الاول (او امرىء القيس البدء) بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن الحارث ابن مالك (وهو كتاب الاشتقاق لابن دريد «ص ٢٣٦» ان مالكاً هذا هو ابن السعود « والصواب مسعود » بن الحارث بن عمرو بن ربيعة بن نصر بن عدي) ابن غنم « والصواب مالك بن عم كما في كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٢٦ » ابن نمارة بن لخم ولخم لقب واسمه مالك « والصواب ان مالكاً هذا غير لخم وانما هو ابن اخي لخم » بن عدي ابن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد « ويروى يزيد »

اطلق في الزمن القديم بحسب اقوال المؤرخين على قبائل من العرب ثم على ثلاث من العرب المتنصرة بهراء وتغلب وتنوخ ثم خصت بـه قبيلة النعمان بن المنذر ملك الحيرة لتقدمها على بقية القبائل في السؤدد والشرف وواقع الحال في ذلك كما رواه المؤرخون انه لما كثر ولد معد بن عدنان ونمت القبائل التابعة لهم واضرت بهم الحروب ضرراً بليغاً خرجوا يطلبون الريف في ما يليهم من اليمن ومشارف الشام وافلت منهم قبائل حتى نزلوا بالبحرين وبها جماعة من الازد وكان الذين اقبلوا من تهامة مالكاً وعمراً ابني فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة بن قضاعة ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم في جماعة من قومهم والحيقاد بن الحنق بن عمير بن قبيصة ابن معد بن عدنان في قبيص كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم ابن اقصى بن دعمي بن اياد بن نزار بن مسعد بن عدنان وغيره من اياد فاجتمعت هذه القبائل بالبحرين وتحالفت على التنوخ وهو المقام وتعاقدت على التناصر والتساعد فصارت يداً واحدة مضمومة

بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبا وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان «وفي سفر التكوين يقطان وابناءه موداد (مضض) وشالف وحضرموت ويارح وتسعة اخرون والمظنون ان يعرب من سلالة قحطان وان بينه وبين قحطان قروناً كثيرة» بن عابر بن هود النبي عليه السلام وعابر بن شالح بن ارنخشيد بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشالح بن اخنوخ «وفي التوراة ان متوشائل هو ابن محو يائيل بن عيراد بن اخنوخ (او احنوخ)» واحنوخ ابن يزيد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيت بن آدم عليه السلام · وما السماء اسم امه لقبت بذلك لجمالها واسمها ماوية بنت عمرو فشهر المنذر المذكور باسم امه (تاريخ بيروت لمحمد بن صالح في مجلة المشرق عدد ٨ ص ٣٧٤ و٣٧٥)

باسم واحد وهو تنوخ والتحم بها بطون من نمارة بن لخم وجذيمة الابرش بن مالك بن فهم بن غنم (والصواب عم كما في كتاب الاشتقاق لابن دريد) ابن اوس الازدي وتزوج لميس اخت مالك بن زهير فاجمعوا على المسير الى العراق طامعين ان يغلبوا على الاعاجم في ما يلي بلاد العرب او يشاركوهم فيه فطلع الحيقاد بن الحنق في جماعة من قومه واخلاط من الناس فالفوا الارمانيين يقتتلون مع الاردوانيين ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله وغيرهم من التنوخ الى الانبار على ملك الارمانيين وطلع نمارة وقبيله على ملك الاردوانيين ففازوا بالغلبة على تلك البلاد فنزلت تنوخ من الانبار الى الحيرة في الاخبية فاقروا لنفسهم الملك فكان اول من ملك منهم مالك بن فهم ثم اخوه عمرو بن فهم ثم جذيمة الابرش الذي كان ابرص ودعته العرب ابرش لكرهها ان تدعوه ابرص ثم ملك بعده عمرو ابن اخته رقاش التي خطبها عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو ابن الحارث بن مسعود بن مالك بن نمارة بن لخم الى اخيها جذيمة الملك عند ما كان متولياً مجلس شربه فسقاه عدي صرفاً حتى اخذت الخمرة فيه ثم خطبها اليه فاملكه اياها وعمرو ذلك كان اول من اتخذ الحيرة منزلاً في ملوك العرب وقد طال ملكه فبلغ ايام اردشير بن بابك وابنه سابور ثم سرى الملك في ولده الى ان كان آخرهم النعمان بن المنذر الى ايام ملوك كندة . ففي ايـام اردشير بالعراق خرج من تنوخ من كان من قضاعة الى الشام كرهاً للمقام تحت نير سلطة اردشير ودان له اهل الحيرة والانبار ثم ان الملك كسرى اوجس في ما يظهر خيفةً من اتساع سلطة النعمان الاكبر ونما قبائله فعمل على اذلالهم فوقع بينه وبينهم خصام شديد ادى بهم الى

العصيان عليه فسير اليهم ابنه شيرازاف بجيش جرار لمعاقبتهم فطلع عليه الملك النعمان بابطاله وحدثت بين الفريقين معركة هائلة كان الفوز فيها للنعمان فانهزم الفرس شرَّ هزيمة وقتل شيرازاف ولما نمي الخبر الى كسرى اضطرب وخشي سوء العاقبة ولكنه عقد النية على ان يثأر لابنه فارسل الى النعمان سفيراً في الصلح واستقدمه اليه لابرام معاهدة التحالف والمصادقة فقدم اليه بهدايا فاخرة وتحفٍ نفيسة مخدوعاً بما رأى وسمع ولما صار بين يديه امر به فطرح للفيل فداسه بقدميه حتى اماته وفرح كسرى لنيل امانيه ولما سمع قوم النعمان بما حل به ملكوا عليهم المنذر بن النعمان واستأنفوا القتال اخذاً بثأر ملكهم فلم يفلحوا ثم اتفقوا على ترك الديار فذهب فريق منهم الى الموصل وما بين النهرين واقام هناك وسار الملك النعمان بن المنذر باثنتي عشرة قبيلة الى نواحي حلب وسكنوا البرية التي بين حلب ومعرة النعمان وبعد ذلك بنحو مائتي سنة اي عند ظهور الاسلام قدمت القبائل التي سكنت فيما بين النهرين وانضموا الى اخوانهم بجوار حلب وسكنوا جبلاً في ظاهر المعرة يقال له الجبل الاعلى وهناك اشتهر منهم قبيلتا بني تنوخ وبني ربيعة اللتان نبغت منهما الامراء التنوخيون والامراء المعنيون الذين ملكوا لبنان زمناً طويلاً

فتوطنت تلك القبائل في ذلك الجبل وزرعت اراضيه واتقنت صناعة البناء فيه وبنت الحصون والمعاقل ولما توفي ملكهم النعمان الاصفر شادوا له حجرة عظيمة فوق ضريحه لم تزل باقية الى اليوم وعلى توالي الايام نمت تلك القبائل نمواً عجيباً وامتدت سلطتهم ووقعت هيبتهم في قلوب مجاوريهم وحدث ان والي حلب في تلك الايام ارسل جابياً من ذوي

قرباه الى تلك القبائل العربية لجمع مال الجزية المرتب عليهم ولما صار الجابي بينهم ابصر فتاة عربية بارعة الجمال فافتتن بها واجاب داعي الهوى فقضى منها وطرًا ولما عرف الاعراب بذلك ثارت في رؤُوسهم سورة الغيظ وهم على ما هو معروف من امرهم في شدة الذود عن الحريم فاستل احدهم الامير نبا سيفه وضرب عنق الجابي فقطعه ثم خاف الامير نبا عاقبة الامر فجمع عياله واصحابه وهرب بهم الى شمالي لبنان فاحسن اهله استقباله واحتمى عندهم وشاد هناك قرية عرفت به وسميت قصر نبا[1] واما والي حلب فارسل فقبض على كثيرين من قبيلته وساقهم الى السجن مكبلين بالحديد وضرب على اصحابهم مالاً يؤدونه فاضطر باقي الامراء ان يبسطوا لهم يد الرفد حتى رضي الوالي عنهم

ثم وقعت بعد ذلك النفرة والشقاق بين العرب وصاحب حلب فكره العرب المقام في تلك الانحاء وجعلوا يستعدون للرحيل ولما كانت السنة التالية من ذلك وهي سنة ٨٢١ ب.م. رحل اكثر تلك القبائل العربية من جوار حلب والمعرة الى نواحي لبنان وكان القسم الشمالي من لبنان في يد المردة الذين غلب عليهم لقب الموارنة كما تقدم ذكر ذلك في محله وكانت لهم شوكة قوية وصيت بعيد واما القسم الجنوبي وهو ما يشتمل على سلسلة الجبال الممتدة فوق مدينتي بيروت وصيدا وكان خاليًا من السكان الأمن بعض النصارى الذين فروا الى بعض الاماكن فيه ايام الفتح الاسلامي وذلك انه في السنة الثالثة عشرة من الهجرة الموافقة سنة ٦٣٤ ب.م. جهز ابو بكر الصديق العساكر من مسلمي العرب لفتح

(١) هي قرية من اعمال قضا بعلبك اليوم

بلاد الشام وجعلهم فرقاً فكان عمرو بن العاص لفلسطين و يزيد بن ابي
سفيان لحمص وشرحبيل بن حسنة للبلقاء ورئيسهم ابو عبيدة بن الجراح
ثم ارسل خالداً ابن سعيد بن العاص الى سماوة فالتقى بالرومان على الطريق
فهزمهم الى دمشق وكانت دمشق في ذلك الحين مدينة حصينة جداً قد
وضع بها ملوك الروم معظم قواتهم لصد هجمات الفاتحين فلبث الحرب بينهم
مدة طويلة وفي السنة الثالثة من الفتح اخذ المسلمون دمشق فدخلها ابو
عبيدة من جهة وخالد بن الوليد من جهة اخرى وقد عاهد اهلها على
حمايتهم ثلاثة ايام على ان يخرج منهم من لا يرغب في اداء الجزية ويبقى
من رغب في ادائها فبقي من بقي وادى الجزيـة وتمتع بحريته الشخصية
وخرج بعض الى لبنان وتوطن فيه لعدم بلوغ سيف الفاتحين اليه
وبعـد الاستيلاء على دمشق عزم المسلمون على توسيع نطاق سلطتهم
في كل البلاد فقاومهم اهل لبنان مقاومة شديدة كما مرّ بك ذلك في
بعض اخبـار المردة ولم يتمكن العرب من دخول لبنان وامتلاك بعض
جهاته حتى سنة ٨٢١ ب٠م٠ والمظنون ان القبائل العربية التي دخلت
لبنان هي من اصل واحد وان اختلفت اسماؤهم وتباينت القابهم فجميعهم
من بني حمير الذين كان الملوك منهم وكان لهم في التاريخ العربي ذكر عظيم
وقد اشتهر في هذه القبيلة اميرة بارعة في الجمال واللطف والفضيلة يقال
لها ماء السماء وكان لها ابن يقال له النعمان فلما شبّ فاق على اقرانه في الذكاء
والسطوة والبسالة والغنى فسموه ملكاً وعظمت القبيلة في ايامـه وامتدت
شوكتها وكان بنو حمير مثل اكثر القبـائل العربية يفاخرون بالانساب
ولهم جداول انساب مكتوبة على رقوق ليستدل منها ان نسبهم يتصل

بنوح صاحب الفلك وحدث بين النعمان وبين كسرى ما حدث مما تقدم ذكره

وكان اول من رحل من تلك القبائل العربية الى لبنان الامير فوارس تنوخ بقبيلته وكانت هذه القبيلة اشرف القبائل جميعها واكثرها رجالاً واعظمها سطوةً ثم رحل بنو ارسلان ثم بنو شويزان فسارت هذه القبائل في السهول المحاذية نهر العاصي حتى وصلوا بعلبك فحلوا فيها وانبثوا في سهل البقاع حتى بلغوا زحلة ثم رقوا سلاسل الجبال الى عين دارة فرأوا ماء غزيراً فبنى بنو فوارس وبنو ارسلان هاته القرية (١) وسكنوا فيها وسار بنو شويزان يقصدون الماء فبلغوا نهر الصفا ونهر الباروك وبنوا قرية عين زحلته (٢)

(١) ان اسم عين دارة اقرب ان يكون عربياً وان كان له في السريانية معنى مثل الحرب او البدل او المخاصم او غير ذلك فان للعرب امكنة كثيرة باسم الدارات وقد عد الاصمعي منها في كتابه الدارات المنشور في العدد الاول من مجلة المشرق ص ٢٥ وما يليها ست عشرة دارة وذكر ابن دريد اثنتي عشرة دارة واما ياقوت فقد ذكر في معجم البلدان نيفاً وستين دارة والدارة ما اتسع من الارض واحاطت به الجبال غلظ او سهل وذلك مثل دارة وشجي ودارة جلجل ودارة رفرف ودارة مكمن وغيرها من الدارات فلا يبعد ان الحالين من اولئك العرب بعين دارة زادوا هذه المحلة دارة على داراتهم

(٢) وهذه ايضاً لا يبعد ان تكون من اسمائهم العربية من الزحول عن المكان بمعنى التنحي عنه والتباعد كما ان اسم زحلة الواقعة الى الشمال الشرقي منها هو مشتق من هذه المادة ايضاً ورب قائل يقول كيف يعقل ان مثل هذين المحلين وغيرهما من المحلات التي حلتها تلك القبائل وعمرتها وضمتها باسماء من عندها كان خلواً من العمران مع جودة مائه وحسن موقعه وكيف لا تكون تلك الاسماء من اصل سرياني ما دام في الاوضاع السريانية ما يقرب منها فالجواب على هذا ان تلك القبائل لما

ولبثت تلك القبائل في اماكنها بضع سنين وكان بعد ذلك ان كثر عددهم فضاقت الارض بهم وبمواشيهم ورأوا ان البرد القارس في تلك الاماكن يؤذيهم فطلب بعضهم السواحل فسار بنو شويزان الى الكنيسة وراء دير القمر وهناك نشأ منهم فرع المشائخ بني عبد الملك الذين بنوا بتاتر وسكنوها واما بنو ارسلان فساروا الى سن الفيل على مقربة من بيروت وملكوا الاراضي الممتدة من هناك الى خلدة وبنوا الشويفات وسكنوها وسار بنو فوارس وهم اكثر القبائل التنوخية عدداً الى المتن وسكنوا هناك بضع سنين الى ان قام منهم الامير ابو اللمع الشهير وهو رأس الامراء اللمعيين فصارت القبيلة تنسب اليه . وسار بقية بني تنوخ تحت قيادة ثلاثة من امرائهم وهم الامير فوارس والامير عبدالله والامير هلال الى جبل الشوف[1] وبنوا قرى كثيرة منها البنيه وكفرمتي ورمتون

حلت في تلك الانحاء من لبنان الواقعة بين دمشق وبيروت اللتين كانتا في يد الفاتحين الفتحها كما قلنا سابقاً خالية من السكان بسبب فرار الذين كانوا يسكنونها الى محلات من لبنان يتوارون فيها عن وجوه الفاتحين مثل محلات شمالي لبنان وجنوبيه حيث لا تجد من اسماء القرى ما هو عربي الا اليسير وهو حديث العهد وغالب الاسماء انما هو سرياني فسمت لذلك بعض تلك المحلات باسماء من عندها وابقت البعض الاخر على القديم من اسمائه مع انها عمرته عمراناً جديداً

(١) الشوف والشويفات يمكن الرجوع بهما الى اصل عربي كما يمكن الرجوع بهما الى اصل سرياني ففي الوجه الاول تكون الشوف مصدراً من شاف يراد بهما الاشراف وهي من تحريف العامة لان الصحيح انما هو اشاف بمعنى اشرف لا شاف والشويفة من الشيفة والشيفة الشيفان وهي طليعة القوم الذين يشاف لهم اي يشرف لهم على حركات في العدو . وفي الوجه الثاني تكون الشوف بالسريانية بمعنى التنجيم والشويفات مكان التنجيم كما ان خلدة التي بجوارها معناها بالسريانية الكهان او المنجمون ولا يبعد ان يكون الوجه الاول هو الاظهر

وتردلا وعرمون وعين كسور وعبيه وسكنوها ثم انفصل احد هؤلاء الامراء الثلاثة عن اخويه وجاء قرية سرحمور فبنى فيها حصناً منيعاً وسكنه

ولما استوطن الامراء وعشائرهم في الاماكن التي اختاروها وجهوا هممهم وصرفوا عنايتهم الى العمران ومحوا آثار الهمجية والبداوة فابتنوا القرى وشادوا القصور والحصون وغرسوا الاشجار واقاموا الحدائق الغناء وسكنوا في ارضهم آمنين فبرز لبنان الجنوبي الى مقام العمران واصبح في وقت قصير يفاخر في الترقي والنجاح لبنان الشمالي الذي كان قد سبقه الى العمران من زمن ليس بقليل

وبنى الامير فوارس تنوخ في عبيه قصراً منيعاً لم تزل آثاره باقية الى الآن وقد اصبح هذا القصر بعد قليل مقر ولاية الامراء التنوخيين ثم انبث روح الحسد في نفوس بقية الامراء فجعلوا يتنافسون في بناء القصور والقلاع وانتقاء الابطال والفرسان ورشق الجريد على ظهور الخيل حناناً في نفوسهم الى ما رضعوه مع الالبان من العادات من ثدي البداوة فامتاز بذلك الامير فوارس تنوخ وبنوه الاحد عشر فاتخذوا في عبيه ميداناً فسيحاً لذلك كانت تقصده الامراء من سائر الانحاء ولم يكن بينهم من كان يستطيع ان يثبت في الميدان امام الامير فوارس وبنيه

ومن سوء الحظ ان هؤلاء القبائل التنوخيين الذين حلفوا عند المقام التنوخي على التعاون والتناصر لم يغنهم الحلف عن التحزب الموروث من اسلافهم شيئاً فاتوا لبنان حزبين قيسياً ويمنياً وكثيراً ما ادى هذا التحزب الى اراقة الدماء بسبب العداء ولم تخف وطأته وتتناس آثاره حتى

حل محله غيره كالتحزب المعروف بالجانبلاطي واليزبكي في لبنان عموماً والاعوري والهلالي في قضا المتن خاصة وقد علمنا في الكلام على المردة بشمالي لبنان ما الم بهم من التحزب المعروف بالملكي والمردة كأن كتب للبنان ان لا تجتمع فيه كلمة اهله مع ما هو عليه من ضيق النطاق والحاجة الى التعاون لنيل البغية من المصلحة

وما اقبلت تلك القبائل على لبنان الا بعد ان كانت امتدت سلطة الدولة العربية الاسلامية فدخلت هذه الدولة بلاد الشام وافتتحت دمشق بعد ان خرج الروم منها وضربت سلطتها على كل البلاد من دمشق الى بغداد التي جعلتها مقر الخلافة ثم استفحل امرها وعظمت سلطتها وامتدت كثيراً فامتلكت كل المدن القائمة عند البحر وشادت المباني العظيمة والآثار الدالة على الهيبة ورسوخ القدم في الاماكن التي افتتحتها

ولما استقرت اقدام الفاتحين في هذه البلاد واستأثروا بالسلطة المطلقة وصفا لهم الزمان عكف الخلفاء على العلوم والمعارف فنبغ بينهم علماء افاضل في كثير من الفنون وساد العلم والادب وانتشرت انوار المعارف حتى شملت جميع البلدان التي خضعت للدولة الاسلامية

اما امراء لبنان الاولون فلم تلهم سيوف الفاتحين كما تقدم ذكر ذلك بل لبثوا ساكنة نفوسهم مستقرة خواطرهم يتقلبون بين خيرات ارضهم ما شاؤا حتى قدم الافرنج للحرب الصليبية الاولى تحت قيادة كودفرى دي بوليون وذلك لاستخلاص القدس من ايادي المسلمين وتحرير ذلك انه كان كثيرون من المسيحيين يعتقدون ان القبر المقدس في اورشليم معروف مكانه معرفة حقيقية ولذلك كانوا منذ الجيل الرابع يأتون القدس لزيارته وقد

ابيح لهم ذلك في ايام دولة الاسلام ولم يصدهم عنه احد حتى ارتقى الى كرسي الخلافة بمصر الحاكم بامر الله ابو علي المنصور بن العزيز بالله سنة ١٠٢٠ فصد الزائرين عن تلك الزيارة مبيحاً في ما قيل دماءهم كما صدهم بعض السلجوقيين سلفاءه من قبل واساؤا معاملة النصارى من اهل البلاد فجاء بطرس الناسك من اوروبا زائراً وخلا بالبطرك سمعان فقص البطرك عليه ما كان من بلايا قومه فعاد بطرس الى بلاده واجتمع بالبابا اوربانوس الثاني واكب على قدميه يسأله اثارة حرب يكون الغرض منها استخلاص القبر المقدس من ايادي المسلمين

ولما شاعت هذه الامور في اوروبا هاج القوم وماجوا فاجتمعت كلمتهم على المسير الى القدس لاستخلاصها مهما سامهم ذلك من المشقة وكبدهم من الخسارة والعناء فجعلوا يتواردون على القسطنطينية افواجاً افواجاً من جهة البر ومن جهة البحر حتى احتشد فيها خلق كثير لا يبلغه عد ولا احصاء وما بلغت هذه الجيوش تلك المدينة الا وكان قد هلك منها نحو مائة الف نفس

ولما اكتمل عددهم في تلك المدينة وعدوا ملكها الكسيوس كومنوس باسترجاع كل المدن اليونانية الى حكمه فاذن لهم بالمسير الى اسيا فلما بلغ الجيش نيقية احصوه فكان مايـة الف فارس وثلثماية الف راجل يرأسه كثير من اشهر قواد الفرنجة في ذلك الزمان مثل كودفري دي بوليون وبلدوين اخيه وروبرت النورمندي ابن وليم الفاتح واستفانوس دي بلوا الذي قيل فيه انه فتح قلعاً بعدد ايام السنة والكونت رايمون الفرنسي وغيرهم فبعد ان حصروا نيقية وافتتحوها ساروا في سهول تلك البلاد وهي في قبضة

السلجوقيين فلم يتقاعد هؤلاء عن قتالهم في السهول والجبال ولكن بدون ان يفوزوا بصدهم . وكان الافرنج قد قل زادهم وتمرّد بعضهم فعاد كثيرون منهم الى اوطانهم وتوغل اخرون في داخلية البلاد وانشاؤا لهم حكومة مستقلة عند ضفة الفرات . واما بقية الجيوش فاصرّت على الجهاد وثبتت على عزمها فتوغلت في الفتح شيئاً فشيئاً وفي سنة ١٠٩٧ بلغت تلك الجيوش مدينة انطاكية واقامت تسعة شهور تحت اسوارها تقاسي صنوف الويل والبلا حتى تمكن احد قوادها بوهيمون بالاحتيال على احد الخفراء من فتح ابواب المدينة فدخلها الافرنج واباحوا دماء اهلها فاعملوا السيف في رقابهم واجروا من المظالم ما ترتعد منه الفرائص ولما كان لهم في المدينة ثلاثة عشر يوماً في ما قال ابن خلدون زحف اليهم صاحب الموصل السلجوقي وحصرهم حتى كادوا يموتون جوعاً لنفاد زادهم فدفعهم اليأس الى تثبيت القدم وتشديد البأس فاقتحموا صفوف المحاصرين فكسروهم واقروا سلطتهم في المدينة

ثم ساروا من هناك وهم يحاربون من عرض لهم في السبيل ويمتلكون ما وقع في ايديهم من المدن والقرى حتى بلغوا بيت المقدس فحصروه وقد عسر عليهم اقتحامه لمناعته وبسالة رجال الدولة المتسلطة عليه وخصوصاً لانه لم يكن معهم من معدات الحصار واداواته ما يمكنهم من افتتاحه وقد قاسوا من الظماء والحر ما فتك فيهم اكثر مما فتكت فيهم سيوف اعدائهم ولكن رؤساهم لم ينقطعوا عن تثبيت جاشهم وتشديد عزائمهم معللين آمالهم بامتلاك المدينة فثبتت اقدامهم في ميدان الحرب حتى تحقق لهم الفوز وافتتحوا المدينة بعد ان مكث حصارهم لها تسعة وثلاثين يوماً فكان افتتاحها

في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩ ب٠م وقد اتوا فيها من الفظائع قتلاً ونهباً ما تقشعر منه الابدان وكانت قسوتهم على اليهود اكثر من غيرهم اذ هاج في نفوسهم تذكار ما المّ بالسيد المسيح من هؤلاء فارادوا الانتقام منهم

وبعد افتتاح مدينة القدس انتخب كود فرى دى بوليون ملكاً عليها ولما كان شهر آب سنة ١٠٩٩ حدثت بينه وبين سلطان مصر موقعة في عسقلان فانهزمت جيوش مصر وفي السنة التالية مات كود فرے وخلفه اخوه بلدوين واصبح فتح الصليبيين واسع النطاق ولكنه بسبب هجمات الاسلام العنيفة عليهم وانقطاع المدد عنهم من اوروبا اصبح محفوفاً بالخطر من الضياع

ولما بلغ اهل اوروبا ما احدق باخوانهم الصليبيين من الخطر استنهضوا الهمم لبعث جديد فكان ذلك سنة ١١٤٩ وكان البعث من رجال الفرنسيس والانكليز وقادتهم من الروم فهاجم فريقاً منهم قوم من الاتراك في الطريق وقتلوا عدداً كبيراً وحل بالباقين الذين ساروا في الساحل كل نوع من المصائب والرزايا ولم يبلغوا القدس الا بعد عناء طويل ولم يجدهم بلوغهم اياها نفعاً كبيراً لانه كان قد نبغ في ذلك الحين بطل اشتهر بالبسالة والاقدام وهو صلاح الدين بن ايوب الكردي وكان قد استولى على مصر وبسط سلطته على ما بين القاهرة وحلب من البلاد مستخلصاً عدة من المدن من ايدي الصليبيين ولكنه لم يخرجهم منها معاهداً اياهم على الهدنة فاتفق ان واحداً من فرسان الصليبيين جازحد العهد واغتنم السانحة بمرور والدة صلاح الدين بحاشيتها فعرض لها في الطريق وسلب منها الجواهر والحلي وقتل بعضاً من بطانتها فهاج ذلك غضب ابنها

فزحف بجيش جرار وحارب الافرنج عند طبرية وكسرهم واسر ملكهم (كاي اللوسياني) وكثيراً من الوجوه والاعيان واستولى على يافا وصيدا وعكا ثم على بيت المقدس وكان ذلك سنة ١١٨٧

ولما كانت سنة ١١٨٩ تالف في اوروبا بعث ثالث من جنود كثيرة وقادة هذا البعث كانت من اعاظم القادة في اوروبا في تلك الايام فكان فردريك بربـاروس قيصر المانيا وفيليب اوغوست الثاني ملك فرنسا وريشارد كور دوليون ملك انكلترة وقد غرق فردريك وهو يقطع نهراً صغيراً عند قونيه من اسيا الصغرى فوقع الفشل في قومه فارتد منهم من ارتد الى وطنه وسار الباقون مع ابنه فردريك دوسوابيا فتعاون هذا مع ملك فرنسة وملك انكلترة على حصار عكا حتى اخذوها ووقع نزاع بين ملوك الافرنج ادّى الى تفريق الكلمة والعجز عن الاستيلاء على اورشليم فعاد ملك فرنسة الى بلاده وعاهد ريشارد الاسلام على ان يتجاوزوا للصليبيين عمّا بين صور ويافا من الثغور وان تبقى الاماكن المقدسة في بيت المقدس وغيره مصونة لا تمس باذيّ البتة وفي سنة ١٢٠٣ جهز بعث رابع ولكنه لم يتعدَّ تخوم القسطنطينية وكان من نتايج اعماله ان آل امر الصليبيين الى الانحطاط والوهن ثم في سنة ١٢٢٨ بلغ فردريك الثاني ملك المانيا فلسطين وسوريا وكان ناصر الدين بن سيف الدولة يقاتل صاحب دمشق فعاهد ناصر الدين فردريك على ان يكون بيت المقدس وغيره في يد النصارى وان النصاري والمسلمين يقومون فيه بامر عبادتهم بلا ممانعة ولا اعتراض ولكن فردريك كان قد غشيه حرم البابا فلبس بيد نفسه تاج الملك على بيت المقدس بدون احتفال في الكنيسة فانكر ذلك عليه النصارى وقسيسوهم

وكرهوه من اجل الحرم فلما رأى نفسه من المغضوب عليهم من ابناء دينه عاد الى بلاده

ونبغ في ذلك الحين جنكزخان وسطا على الاعراب والتتر والاعاجم فدوخ البلاد واقلق العباد ففر من وجهه كثيرون وكان في جملتهم قبائل خوارزم فغشوا سورية بالمضرة والاذى وفتحوا بيت المقدس وسلبوا ما فيه من ذخائر النصارى واستحقروها وحدثت معركة شديدة بينهم وبين الافرنج عند غزة فلم يبق بيد النصارى الا عكا وبعض الثغور ولما ذاع ذلك في اوربا ثارت النخوة في نفس لويس التاسع ملك فرنسا فاتى بحرا الى مصر ولكنه اسر هناك مع كثير من رجاله فافتدى نفسه وافتدى كبار قومه ثم سار بالباقين الى فلسطين ومنها عاد الى اوربا

ولما استاثر المماليك بالسلطة على الدولة الكردية زحف الملك الظاهر بيبرس البندقداري بجيش جرار على فلسطين وكان امر الافرنج قد وهن فيها فاستولى على المدن وفتك بالنصارى فتكاً ذريعاً واسر منهم ووقعت انطاكية في قبضة يده ثم اتى الملك الناصر محمد بن قلاوون في جيش كبير من مماليك مصر يبلغ عددهم نحواً من مئتي الف مقاتل وشدد على الافرنج في مرج بن عامر فكسرهم ودانت سوريا بجملتها للاسلام

اننا قد اثبتنا ما تقدم من اعمال الصليبيين وغيرهم من الاقوام في اراضي سورية اثباتاً مجملاً مراعاة للانتساق التاريخي من تسلسل الحوادث وارتباطها فان القبائل العربية التي عمرت القسم الجنوبي من لبنان قد عززها خلفاء الاسلام وعمالهم لمقاومة الصليبيين ومحاربتهم وحماية الثغور منهم وكذلك عززوا من كان في شمالي لبنان من تركمان واكراد قال المغفور

له صاحب الدر المنظوم في صفحة ٢٤٥ «وسنة ١٢٩٩ تولى التتر دمشق وغزة والقدس وبلاد الكرك وجميع البلاد الشامية وكان ملكهم قازان بن راغون بن ابغا بن هولاكو المسيحي صاحب المغول ثم ارتحلوا عنها الى بلدانهم فرجع الى ولايتها الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون الذي تولى الملك سنة ١٢٩٣ بعد اخيه الملك الاشرف المذكور وسنة ١٣٠٢ ترك الافرنج رواد وهي السنة التي فيها حارب مقدمو الموارنة جيوش الاسلام عند جبيل وما يليها لما بلغهم قدومهم اليهـا وانهزام يوحنا اميرها ليلاً مع اهلها بحراً في السفن كما قال ابن القلاعي في تاريخه وقتلوا حمدان قائد جيوشهم وهزموهم وغنموا امتعتهم وكان حينئذٍ عدد المقدمين ثلاثين مقدماً وعسكرهم اربعة وثلاثين الفاً على عهد الناصر محمد بن قلاوون الذي في زمانه حاصر جمال الدين اقوش الافرم [1] نائب دمشق بلاد كسروان

---

(١) وفي تاريخ بيروت لمحمد بن صالح « ففي ذي الحجة سنة اربع وسبعمائة (١٣٠٤م) جهز جمال الدين آقش الافرم نائب الشام زين الدين عدنان ثم توجه بعده تقي الدين وقراقوش وتحدث معهم (اي مع الكسروانيين) في الرجوع الى الطاعة فابوا فامر عند ذلك بتجريد العساكر اليهم من كل جهة ومن كل مملكة من ممالك الشام وتوجه آقش الافرم من دمشق بسائر الجيوش في يوم الاثنين الثاني من محرم سنة خمس وسبعماية (١٣٠٥ م) وجمع جمعاً كثيراً من الرجالة نحو خمسين الفاً وتوجهوا الى جبال الكسروانيين والجرديين وتوجه سيف الدين اسندمر نائب طرابلس وشمس الدين سنقرجاه المنصوري نائب صفد وطلع اسندمر المذكور من جهة طرابلس وكان قد نسب الى مباطنتهم فجرّد العزم واراد ان يفعل في هذا الامر ما ينفي عنه هذه التهمة اللاحقة به . فطلع الى جبل كسروان من اصعب مسالكه واجتمعت على اهله العساكر واحتوت على جبالهم ووطئت ارضاً لم يكن سكانها يظنون ان احداً يطأها وقطعت كرومهم واخربت بيوتهم وقتل منهم خلق كثير

سنة ١٣٠٧ بخمسين الفاً وفتحها من جهتها الشمالية فدعيت فتوحاً واخربها وهدم كنائسها واديارها وجعلها قاعاً صفصفاً واحلّ التركمان بامرائهم بيت عساف في سواحلها محافظةً عليها من الافرنج الذين كانوا حيناً فحيناً يأتون بحراً ويغزون ثغور بر الشام وايضاً فان السلطان سليماً وضع الاكراد في الكورة سنة ١٥٥٨

يتبين مما مرّ ان القسم الشمالي من لبنان كان في صدر حكم الرومان اسبق الى العمران من القسم الجنوبي الذي لم يكن العمران فيه الاَّ بعد قدوم بعض القبائل العربية اليه ممن تقدم ذكرهم وغيرهم ممن لم يذكروا

وتفرقوا في البلاد واستخدم اسندمر جماعة منهم في طرابلس بجامكية (اي براتب) وجازاهم من الاموال الديوانية فاقاموا على ذلك سنين واقطع بعضهم املاكا من حلقة طرابلس واختفى بعضهم في البلاد واضمحل امرهم وخمل ذكرهم» (مجلة المشرق ص ٢٧٤ و ٢٧٥ و٢٧٦ من سنتها الاولى . وفي موضع اخر من تاريخ صالح بن يحيى يقول «وفي ايام ناصر الدين في اوائل محرم سنة خمس وسبع مئة (١٣٠٦م) كان فتوح كسروان فقد طلع الجبل ومعه اقاربه وجمعه فقتل منهم الامير نجم الدين محمد واخوه شهاب الدين احمد ولدا الامير جمال الدين حجي في نهار الخميس خامس شهر محرم المذكور بقرية نيبيه (والاصح نابية من النبوّ بمعنى البعد والتجافي او نابيه من السريانية بمعنى نبي) من كسروان وقتل معهم من اهل الغرب ثلاثة وعشرون نفراً وكانت وقعة نيبيه المذكورة وقعة رديئة لان اهل كسروان تجمعوا وقاتلوا بها وكان هناك مغارة اجتمعوا فيها بعد القتال . وذكر ان عدد اهل كسروان بلغ اربعة الاف راجل فهلك منهم بالسيف خلق كثير والذين سلموا منهم تفرقوا في جزين وبلادها وفي البقاع و بلاد بعلبك ومنحت الدولة لبعضهم الامان (مجلة المشرق ص ١٠٤٣ و١٠٤٤ عد ٢٢ من سنتها الاولى) فمن مثل هذا الحادث وما شابهه من الحوادث يتبين كيف انتقل اناس من اهل الشمال بلبنان الى الجنوب

وقد انضم الى هاته القبائل بعض الجماعات من اصول مختلفة كما سيتبين ذلك عند الكلام على اصول اللبنانيين قبيلةً قبيلةً وبيتاً بيتاً

ان قحطان بن عوف بن كندة بن جندب بن مذحج بن سعد بن لحي بن تميم بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن امرء القيس المحرق ابن عمرو بن امرؤ القيس بن عمرو بن نمارة بن مالك الملقب بلخم ابن فهم بن اوس بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيدان بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن عمرو المسمى قحطان ابن عدي المسلسل من اياد ابن نزار ابن معد بن عدنان بن ادّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع ابن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن اسمعيل قد ارتفع شانه بين قبيلته وولد له ولد فسماه باسم قبيلة اجداده تنوخ ولما مات قحطان صارت الامارة الى ابنه تنوخ من بعده والي تنوخ هذا نسبة الامراء التنوخيين القيسيين في لبنان فتنوخ فيما رواه صاحب اخبار الاعيان ولد جمهر[1] وجمهر ولد عيسى وعيسى احمد واحمد علياً وعلي محمداً ومحمد ابراهيم وابراهيم الحسين والحسين علياً وعلي ولد بحتراً وعرف الدولة وبحتر ولد كرامة وعلياً وكرامة ولد اربعة اولاد مات منهم ثلاثة بلا عقب واما الرابع وهو جحي الملقب جمال الدين فولد محمداً وعلياً ومحمد ولد له اثنان جحي وخضر وجحي ولد خمسة محمداً واحمد وعبد الرحمن وعبدالله وعبد الحميد فمحمد ولد اربعة اولاد ابرهيم ويوسف واسمعيل ومحموداً[2] فابرهيم ولد خليلاً وخليل

(١) وجاء في الجدول الاول لنسب الامراء التنوخيين من بني الغرب من تاريخ محمد بن صالح جهير لا جمهر (مجلة المشرق ص ٣٧٣ عد ٨ من سنتها الاولى) وفي موضع اخر من التاريخ نفسه جمهير

(٢) وفي تاريخ محمد بن صالح محمداً لا محموداً والاصح هذا

ابرهيم واما يوسف فولد حسيناً واسمعيل ولد حسناً وحسن ولد احمد ومحمود ولد
حسناً ومحمداً ومن سلالتهما محمود وعز الدين وقوام الدين واولادهم فمحمود ولد
ولدين منهما عبد الباسط وعبد الباسط ولد اثنين واحمد بن حجى ولد ثلثة
اولاد عبد القاهر وحجى وعبد الحميد فعبد القاهر ولد محمداً وعبد الحميد
ولد احمد واحمد ولد محمداً ومنه جاء حسام الدين الذي مات بلا عقب
وانقطعت به سلالة نخذه واما عبد الرحمن ابن حجى فولد حسيناً وحسين
ولد ثلثة اولاد حجى وعبد الرحمن وعبد الحميد وعبد الله بن حجى اخذته
الافرنج من الدامور وعبد الحميد بن حجى مات قتيلاً بلا عقب وخضر بن
محمد ولد ستة الحسين والحسن وعبد الله ويوسف ومحمداً وسليمن فالحسين
ولد اثنين صالحاً وابرهيم والحسن ولد خضراً وخضر مات بلا عقب وعبد
الله مات بلا عقب ويوسف ولد فرجاً ومحمداً ففرج مات بلا عقب ومحمد
ولد سليمن وعثمان وسليمن ولد عبد الله المعروف بالسيد عبد الله وعند العامة
بالامير السيد وله القبة المشهورة في عبيه ومحمد ولد حمزة واسمعيل فحمزة
ولد محمداً ويوسف واسمعيل ولد عبد الرحمن وقضى عبد الرحمن قتيلاً
بلا عقب وسليمان ولد محمداً وعلاء الدين ومات علاء الدين بلا عقب
وابرهيم بن الحسين ولد الحسين وصالح بن الحسين ولد خمسة محمداً
وعلياً واحمد وموسى ويحيي فمحمد ولد محمداً وسمي كذلك لانه ولد بعد
موت ابيه ومحمد هذا مات بلا عقب وعلي بن صالح ولد حسناً وحسن ولد
محمداً واسمعيل ويحيى ابن صالح ولد عثمان وصالحاً فعثمان ولد يحيى ومات
يحيى بلا عقب واحمد بن الحسين ولد ثلاثة اولاد سليمان وعيسى وابا
بكر فسليمان ولد داود وداود ولد علم الدين ومات هذا بلا عقب وعيسى

ولد اربعة محمداً وصدقة وعمر وموسى فمحمد مات بلا عقب وصدقة ولد
حسناً وزنكي فحسن ولد محمداً ومحمد مات صغيراً وزنكي ولد محموداً وابـا
بكر فمحمود ولد حسناً وابو بكر ولد ثلثة صالحاً ويحيى ومحمداً فصالح مات
بلا عقب ويحيى ولد احمد وصالحاً وابو بكر بن احمد مات بلا عقب وعمر
بن عيسى ولد خالداً وخالد ظاهراً ومات هذا بلا عقب ثم ولد لخالد ولد آخر
فسماه ظاهراً باسم اخيه ومات هذا ايضاً بلا عقب وموسى بن عيسى ولد
اربعة محمداً واحمد وعبد القادر وجحي فمحمد واحمد ماتا بلا عقب وعبد
القادر مات مجذوماً بلا عقب ايضاً وجحي ولد علياً وعلي بن بحتر ولد صالحاً
جد امراء عرمون الغرب وصالح ولد ثلثة بحتراً وعلياً ويوسف فبحتر ولد
كرامة وعلي حسيناً ويوسف مفرجاً وموسى فمفرج ولد اربعة محمداً واحمد
وعلياً وخليلاً وموسى بن يوسف ولد اثنين محمداً وحسناً وحسين بن
علي ولد عليا ويوسف فعلي ولد ناهض الدين ومحمد بن مفرج ولد عليـا
واحمد بن مفرج ولد مفرجاً ومات علي بن مفرج بلا عقب وخليل بن
مفرج ولد احمد واحمد ولد مفرجاً ثم روى صاحب اخبار الاعيان ان ممن
تأخر من بني الصالح احمد بن صلاح الدين وان احمد هذا ولد محمداً
ومحمد ولد ولداً قد جهل اسمه وقال ايضاً ان الامير علم الدين بن سليمن
بن غلاب بن معن بن معتب بن ابي المكارم بن عبد الله بن عبد الوهاب
بن هرماس بن طريف المنسوب الى آل تنوخ ولد اربعة اولاد غلابـا
وجواداً وداود ومحمداً فجواد ولد علياً وعلي غلابا وغلاب ولد اولاداً من
سلائلهم الشيخ مظفر ومظفر ولد علياً وعلي ولد محمداً ومنصوراً فمحمد ولد
موسى وقد انفصل الامير علم الدين بن جاء به من الامراء من نسله عن

القيسيين كما انفصل عنهم جمال الدين احمد بن خليل بن مفرج بن يوسف بن صالح بن علي بن بحتر ابن علي بن الحسين بن ابراهيم بن محمد بن علي بن احمد بن عيسى بن جمهر بن تنوخ وانضموا الى اليمنيين وصاروا امراء عليهم

تقدم لك فيما مر ان عليًا بن الحسين بن ابرهيم بن محمد بن علي بن احمد بن عيسى بن جمهر بن تنوخ ولد اثنين وهما بحتر وعرف الدولة اما بحتر وقد كان يلقب بناهض الدين ويكنى بابي العشائر فقد اشتهر في الامراء التنوخيين كثيرًا وسكن في حصن سرحمور وسكن اخوه عرف الدولة في قرية عرمون وفي سنة ١١٤٧ كتب السلطان مجير الدين آبق[1] صاحب دمشق الى الامير بحتر يؤيده في الامارة على القرى التي جعل بيده وبيد ابيه من قبله زمامها ويأمره بسياسة الناس فيها كما كانوا يساسون لعهد ابيه وفي سنة ١١٦٠ اقطع الملك نور الدين[2] كرامة بن بحتر القنيطرة وثعلبايا[3] في البقاع والظهر الاحمر من وادي التيم وبرجا والمعاصر الفوقية[4] والدامور وشارون ومجدل بعنا وكفرعميه وخصه باربعين

---

(١) هو مجير الدين ابو سعيد آبق بن جمال الدين محمد بن تاج الملك بوري بن ظهير الدين طغتكين وهو اتابك الملك دقاق بن تتش تولى آبق بعد وفاة ابيه سنة ١١٣٩ (٢) هو نور الدين محمود بن زنكي اخذ دمشق من يد مجير الدين ابي سعيد آبق سنة ١١٥٦ واصحاب دمشق كانوا حكامًا على بيروت واعمالها وكانت بيروت يومئذٍ في يد الافرنج

(٣) وفي تاريخ الاعيان جلبايا والصواب ثعلبايا (٤) وفي تاريخ محمد بن صالح (مجلة المشرق عدد ٩ ص٤٢٤ من السنة الاولى) « برجة بعاصر منها المعاصر

فارساً بنفقتهم وذلك لمحاربة الافرنج ومقاومتهم ثم مات كرامة وله اربعة اولاد
فحدث ان والي بيروت من الافرنج في تلك الايام نصب للثلاثة الكبار
من هؤلاء الاولاد مكيدة فقتلهم ليلاً في قلعةٍ بضواحي المدينة وفي
صباح اليوم التالي سار بجماعة من الافرنج الى حصن سرحمور ودك الحصن
واحرق القرى المجاورة له واسر من بلت يده بهم من الناس واما الاصغر
من اولئك الاولاد جحى ولقبه جمال الدين فقد فرت به امه من وجه
الافرنج الى خربة الدوير وكان عمره حينئذٍ سبع سنين واقام ولد عمه
علي بعرمون ولما كانت سنة ١١٨٧ اتى الملك صلاح الدين يوسف
الايوبي مدينة بيروت يروم فتحها واخراج الافرنج منها فلقيه الامير جحى
في الطريق عند خلده وانضم معه ولما تم للملك فتح المدينة طيب الملك نفس
الامير جحى واقره في مكان ابيه واخوته من الامارة جزاء له على الصدق
في الموالاة وفي سنة ١١٩٣ كتب الملك نور الدين الايوبي الى الامير
جحى يأمره بالمحافظة على الطاعة ويحضه على الجهاد واقطعه انحاء الغرب
جميعها وفي سنة ١٢٤٦ قتل الامير نجم محمد بن جحى واخوه الامير علي
في ثغرة الجوزات بكسروان وكان للامير محمد ولدان جمال الدين جحى وسعد
الدين خضر فالامير جمال الدين ولد خمسة اولاد منهم الامير نجم الدين
محمد فهذا عقَّ اباه وطلع عنه الى عيناب ومن سلالته امراء هذه القرية
ولما كانت سنة ١٢٤٩ كتب الملك الصالح ايوب الى الامير زين الدين
بن علي فاقطعه القماطيه وبمكين وشملال وبتاتر وكفر عميه وما يتبع هاته

والفوقا » والصواب فيما نرى برجة و بعاصير منها (اي من برجة) والمعاصر الفوقية
فبرجة قرية كبيرة من قرى اقليم الخروب و بعاصير قرية صغيرة مجاورة لها

القرى من المزارع كل ذلك ترغيباً له في حماية الثغور الموكول اليه حمايتها في الانحاء الغربية وثبت في يده ما جرى عليه وعلى ابيه من قبله من الاقطاعات كيصور ومجدليا والدويروثلث عرمون وكيفون والبيره وما يتبع هذه القرى من المزارع وفي سنة ١٢٥٦ استحصل الامير جمال الدين جحى من الملك الناصر صلاح الدين يوسف على عهد يقره في عدة اقطاعات منها عرمون وعين درافيل وطردلا وعين كسور ودام طون وقدرون ومرتغون والسباحية وسرحمور وعيناب وعين عنوب والدوير وفي سنة ١٢٥٧ بعث المعز ايبك ملك مصر الى الامير سعد الدين خضر بن محمد عهداً في قرى من دون قرى الغرب التي كانت في يد اخيه الامير جحى فاشتمل ذلك العهد من الشوف الحيثي على المعاصر الفوقية ونيحا وبعذران وعين ماطور وبتلون ومن الشوف السويجاني على عين وزيه وكفر نبرخ وبريح وغريفه ومن وادي التيم على تنورا والظهر الاحمر ومن اقليم الخروب على برجا وبعاصير وشحيم وفي هاته السنة نفسها حدثت موقعة كبيرة بين الامراء التنوخيين وبين ولاة بعلبك والبقاع الذين زحفوا الى الامراء حتى التقى الفريقان عند عيتات من قرى الغرب فاقتتلا هناك اقتتالاً شديداً كان الفوز فيه للتنوخيين فانهزم الولاة شر هزية ونهب ما كان معهم وفي سنة ١٢٥٩ وفد الامير جمال الدين جحى بن محمد والامير زين الدين بن علي على كتبوغا نائب هولاكو ملك التتر في دمشق بعد ان باتت هذه المدينة تحت سلطة التتر وابديا الطاعة له ولكن لما اتصل بهما نبأ قدوم الملك المظفر قطز بالعساكر المصرية ولم يدريا لاي منهما يكون النصر اتفقا على ان احدهما الامير زين الدين ينضم

الى العساكر المصرية وان الاخر الامير جمال الدين يقيم عند التتر بدمشق ولما وقعت بينهما الواقعة عند عين جالوت انهزم التتر فتحصن فريق كبير في ذروة الجبل فحاصرهم مماليك سلطان مصر وكان فيهم الامير زين الدين بارعاً في رماية النبال حتى اعجب المماليك اصابته فجعلوا يمأنون قوسه من جعبهم ولكن لما ذاع انه سبق لهذا الامير ان وفد على التتر بدمشق امر بضرب عنقه ولم ينجُ الا بشهادة المماليك انه شهد معهم حصار التتر في ذروة الجبل وكانت له فيه النبال الصائبة لقلوب الاعداء وفي سنة ١٢٦٠ جدد الملك الظاهر بيبرس للامير جمال الدين جحى بن محمد العهد في قرية عاليه ومجدلبعنا وشارون وعرمون وعين درافيل وطردلا ودفون وعين كسور وقدرون وشملال ومرتغون والسباحية وسرحمور وبطلون وعيناب والدوير وبتاتر وبيصور وكفرعميه وعيتات وفي سنة ١٢٧٠ كتب نائب دمشق اقوش النجيبي الى الامير زين الدين علي والى الامير جمال الدين جحى يثني عليهما وايد ذلك ما كتبه اليهما الملك الظاهر بيبرس مادحاً لهما وواعداً اياهما بجزاء عن صدقهما في الخدمة غير انه لم يلبث ان تغيظ عليهما بسبب ما وشي اليه فيهما فسجن الامير زين الدين في مصر والامير جمال الدين في الكرك واخوه الامير سعد الدين في قلعة عجلون ثم ضم الثلاثة في سجن مصر فلبثوا فيه الى ان توفي الملك الظاهر وقام بعده الملك السعيد فاخرجهم من السجن وكتب الى نايب الشام كتاباً يقول فيه بعدم رضاه عما حل بالامراء من الاذى ويأمر برد المسلوب منهم اما عيناً واما قيمته ان كان المسلوب قد هلك ووجه الامير جمال الدين الى الديار الشامية ثم كتب الى نواب الديار الشامية والصفدية

والاكراد والبعلبكية والحمصية يلومهم على ما اتوه في بلاد الامراء التنوخيين في الغرب ويأمرهم برد المسلوب ويحذرهم من المخالفة ثم عاد ارباب الفتنة فوشوا فيهم وشاية من مثل الوشاية الاولى وهي انهم متحدون سرًّا مع افرنج الثغور غير انه لم يفلح الوشاة اذ ظهر كذبهم بشهادة عدة من الشهود وفي سنة ١٢٨٩ وهي السنة التي فتح فيها ملك مصر طرابلس نزعت من يد اولئك الامراء قطاعاتهم ولم ترد اليهم الأ في ايام الملك الاشرف خليل قلاوون واخيه الملك الناصر ففي سنة ١٢٩٣ كتب الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الامير سعد الدين خضر بن محمد فاقطعه عاليه وعين اللبانه والدوير والسباحية وبعضاً من العمروسية ومن المغيثة وكتب ايضاً الى الامير زين الدين بن علي يعيده الى خدمته

وفي سنة ١٢٩٥ مات الامير زين الدين صالح بن علي بن بحتر في عرمون ودفن فيها وكان مشهوراً وقد بنى الدار المجاورة للعين ودار الراس · وفي سنة ١٢٩٧ مات الامير جمال الدين الكبير حجى بن محمد بن حجى بن كرامة بن بحتر وفي سنة ١٣١٣ مات الامير سعد الدين خضر بن محمد بن حجى وفي هذه السنة نفسها كتب الامير ناصر الدين الحسين كتاباً الى نائب دمشق امير الامراء الامير تنكز يقول فيه انه هو وذوو قرباه آخذون على انفسهم وقاية بيروت وباذلون الجهد في خدمة الدولة وان غالب ما في يدهم من الاقطاعات ملك ثابت لهم بحق شرعي وانها لهم بعدة واحد وثلثين فارساً وكانت لابائهم بثلاثة رماح ثم التمس منه الرفق بهم فكتب امير الامراء الى السلطان في مصر يخبره بذلك ويذكر له قدم املاك الامراء في الغرب فامر السلطان ان تبقى في

ايديهم وان يزاد لهم من الجند بقدر ما زيد لهم من الاقطاعات فبلغت الزيادة النصف فضوعف عدد الجند حتى بلغ اثنين وستين فارساً واما تفصيل بيان الاقطاعات للامراء بحسب اللائحة التي كتبت في ديوان ناظر الجيش فهي ان للامير ناصر الدين الحسين ابن الامير سعد الدين خضر امير الغرب ولعشيرته وذويه عرمون وصير وبشالا وكيفون ويصور وثلث عين عنوب وثلث عيناب وشمشوم وثلث كفرعميه وثلث بشاثر وبركة شطرا ومرتغون وثلث حصة الملك في خلدة ومغدلا ومن الفريديس فدان وللامير عز الدين الحسن ابن سعد الدين امير الغرب ولذويه وخمسة خصيان نصف عاليه ونصف الحريبه وعيثا ونصف الدوير ونصف السباحية ونصف المغيثة وربع قدرون ونصف قطع ارض في قرتيه وربع طردلا وربع رمطون وربع عين كسور وللامير عز الدين حسين بن شرف الدين علي ولذويه وعشرة خصيان نصف عيتات ونصف دقون ونصف مجدليا ونصف شملال وثلث عين عنوب ونصف سرحمور ونصف عين درافيل وثلث بثاثر وثلث عيناب وقطع ارض في العمروسية وثلث حصة الملك في خلده وثلث كفرعميه ومن الفريديس فدان وللامير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف بن زين الدين صالح ولذويه وعشرة خصيان نصف عيتات ونصف دفون ونصف مجدليا ونصف شملال ونصف عين درافيل وثلث بثاثر ونصف سرحمور وثلث عيناب وقطع ارض في العمروسية وثلث كفرعميه وثلث حصة الملك في خلدة ومن الفريديس فدان وللامير علم الدين سليمان بن غلاب ولذويه وخمسة خصيان نصف الحريبه وعيثا ونصف الدوير ونصف السباحية ونصف

درب المغيثة وربع قدرون ونصف قطع ارض في قرتيه وربع طردلا
وربع رمطون وربع عين كسور وللامير سيف الدين ابرهيم بن نجم
الدين محمد بن جحى ولذويه وخمسة خصيان ربع بطلون وربع الطفرانية
ونصف القبي ونصف محواره ونصف معيستون وربع الدوير وربع اقطو
وللامير شمس الدين عبدالله بن جمال الدين جحى ولذويه واربعة
خصيان نصف قدرون ونصف رمطون ونصف طردلا ونصف عين
كسور وللامير عماد الدين موسى بن مسعود بن ابي الحبيس ولذويه
وثلاثة خصيان له نصف دفون ونصف الفساقين ونصف شطرا ونصف
دير قوبل ونصف عين حجيه

وقد اجتمع هولاء الامرآء فانقسموا في المحافظة على بيروت مناوبة
الى ثلاث فيئات لكل فيئة منهم نوبتها · وفي سنة ١٣٠٢ اتى الافرنج
الدامور وكان بها الامير شمس الدين عبدالله واخوه الامير فخر الدين
عبد الحميد ابنا جحى فقتلوا الامير فخر الدين واسروا اخاه الامير شمس
الدين عبدالله واسروا خمسة رجال معه ولبث في اسرهم خمسة ايام فاستخلصه
الامير ناصر الدين الحسين بثلاثة آلاف دينار صورية · وفي سنة ١٣٢٣
وقعت في بيروت بين الافرنج وبين واليها عز الدين اليسري وامراء عرمون
معركة شديدة فجرح بعض الامراء وكان الفوز للافرنج فاستقدم تكز
امير الامرآء اليه وهو بدمشق الامراء التنوخيين والتركمان من كسروان
وتسخط عليهم وسجنهم فشفع لديه فيهم الامير ناصر الدين الحسين فاطلقه
ثم اطلق بقية الامراء لثبوت برآتهم لديه ثم امرهم بالاقامة ببيروت فبنى
الامير ناصر الدين دارًا على شاطي البحر

وفي سنة ١٣٤٢ صدرت منشورات الى جميع الولايات قاضية بتجهيز الجنود وبعثها على الكرك فجهز الامير ناصر الدين الحسين اخاه الامير عز الدين الحسن الى الكرك في جماعة من قومهما فلما بلغ هذا الامير الكرك امره رئيس العساكر حالاً ان يزحف برجاله على القلعة فزحف بهم وقاتل راجلاً قتالاً شديداً فولى اصحابه عنه هاربين فادركه الاعداء فقتلوه وكان شجاعاً ثابت الجأش وله بعض المباني في عبيه وفي سنة ١٣٤٥ امر الامير يلبغا الاتابكي نائب دمشق امرآء الغرب ان يسكنوا بيروت وفي سنة ١٣٥٠ مات الامير ناصر الدين الحسين بن خضر بن محمد بن جحى بن كرامة بن بحتر وله من العمر ثمانون سنة وكان مهيباً شاعراً رقيقاً سريع الخاطر وله مبانٍ كثيرة في بيروت والغرب وقد اشتهر الامير عز الدين جواد بن علم الدين سليمان الرمطوني بجودة الخط حتى قيل عنه انه كتب آية الكرسي الشريفة على حبة الارز مرات وقد توفي هذا الامير في سنة ١٣٥٦ وله من العمر ثلث وخمسون سنة

وحدث في سنة ١٣٧٣ ان الامير يلبغا الاتابكي انفذ الى بيروت الامير بيدمر الخوارزمي فقدم الى هذا الامير تركمان كسروان واخذوا على انفسهم ان يسيروا الى قبرص في الف رجل طلباً للحرب وسألوا هذا الامير ان يزودهم بكتاب الى يلبغا فيسيروا به الى مصر ويستحصلوا اقطاعات امرآء الغرب فلما احس بذلك الامير سعد الدين خضر بن الحسن بن خضر والامير سيف الدين يحيى بن صالح سبقاهم الى مصر ثم وصل التركمان فامر يلبغا ان يكتب لهم لوائح في اقطاعات امرآء الغرب فكشف الاميران امرهما للقاضي علآ الدين كاتب سر الامير يلبغا فقال القاضي للامير

في حضرتها ان امرآء الغرب من غرس الملوك الاوائل فحاشا لسيدي الامير ان يقطع عنهم في ايامه السعيدة ما اولاهم اياه الملوك الاوائل من النعم فامر اذ ذاك يلبغا بابطال تلك اللوائح واقر الامرآء في اقطاعاتهم ولما همّ الاميران بالعود الى بيروت اوعز اليهما القاضي ان عمرا خان الحصيني فانيط تعميره بالامير زين الدين صالح ووقف على ذلك المزرعة المعروفة بجرن الدب غير ان الامرآء اولاد الحمرا اغتصبوها لانفسهم

وحدث في سنة ١٣٨٢ ان قدم الافرنج بسفنهم الى بيروت فخرجوا الى المدينة وحدثت فيها موقعة كان النصر فيها لهم فلما راى الامير سيف الدين يحيى شرذمة منهم عند خرائب القلعة القديمة هجم بجماعته عليهم واندفع على صاحب العلم منهم فتناولوه برماحهم فكبا بـه جواده ثم نهض وكرّ على صاحب العلم فاسقط العلم من يده فلما شهد الافرنج سقوط علمهم فروا منهزمين الى البحر يطلبون العود الى سفنهم وقد غرق بعضهم في المآء عند الازدحام طلباً للنجاة وكان السبب في انكسارهم ذلك الامير سيف الدين ثم وصل يدمر نائب الشام قادماً منها فلما مثل الامير لديه اغلظ له النائب الكلام لكراهيته له فقال انت مـائل بقلبك الى الافرنج وموالٍ لهم سراً فقدم له الامير فرسه وجواداً آخر فاقتبلهما منه ولكن لم يزل متغيظاً عليه فنزع عنه الاقطاعات فكتب الامير الى صديق له عند الملك الظاهر بمصر يستشفعه في امره وسعى هو الى دمشق يلتمس من كبار القوم فيها شفاعتهم فيه لدى يدمر فلم يجده ذلك كله نفعاً وحدث في اثنآء ذلك ان قتل بيدمر فعاد الامير يلتمس من حاجب الحجاب ان يشفع فيه لدى الملك فكتب اليه كتاباً وسيره به الى مصر فصدر الامر ان تعاد الى الامير اقطاعاته ومات

هذا الامير في سنة ١٣٨٨ وله ولد يسمى الامير فخر الدين عثمان وحدث في هذه السنة نفسها ان الملك الظاهر برقوق قدم لحصار دمشق فبعث الى الامرآء يستقدمهم اليه وامرهم ان يأتوا معهم بنائب بيروت دولة باتر وان يسوقوهم قسراً اذا امتنع فاتى دمشق الامير فخر الدين عثمان بن يحيى والامير عماد الدين اسمعيل ابن فتح الدين والامير عز الدين حسن بن ظهير الدين والامير سيف الدين ابو بكر والامير ناصر الدين بن جمال الدين ولما مثلوا لدى الملك الظاهر امرهم ان يأتوه من بيروت بشيء من الرصاص للمنجنيق فسيروا في ذلك احدهم الامير عز الدين فاتى بالمروم ثم سار الملك الظاهر الى شقحب لمقاتلة تمربغا فهزمت ميسرة تمربغا ميمنة الظاهر فانهزم بذلك الامرآء فضم الملك الظاهر عساكره في الحال واندفع بها على تمربغا فكسره واما تمربغا فانفذ الى بيروت من لدنه نائباً عليها اسمه ارغون فانضم الى ارغون هذا تركمان كسروان مع الامير علي والامرآء ذوي قرباه من ولد الاعمى والتحمت معهم جماعة من المنطاشية وزحفوا جميعاً باقوامهم على الغرب فلقيهم امراء الغرب برجالهم عند الساحل واشتبك الفريقان مقتتلين اقتتالاً شديداً فكانت الغلبة لاصحاب تمربغا وقتلوا من اعدائهم تسعين رجلاً واسروا بعضاً منهم الامير شرف الدين عيسى بن احمد والامير علاء الدين بن شمس الدين من عرمون فارسلوهما الى زوق ولد الاعمى ونهبوا ما بلت يدهم به من اموال الامرآء ببيروت اما الامراء المنهزمون من شقحب فعادوا حينئذٍ وكان قد تحقق انتصار الملك الظاهر وتوجهه الى الديار المصرية فاطلق المنطاشية الاميرين من الزوق وقد تبع اولئك الامرآء الملك الظاهر الى مصر فاجرى عليهم الوظائف

كالعساكر اذ حسب انهم جاءوا مع عساكره الى مصر فاغتنم الامراء
ولد الاعمى تلك السانحة وجمعوا التركمان من كسروان وزحفوا بهم الى
الغرب وقاتلوا اهله وهزموهم وقتلوا منهم اربعين رجلاً ونهبوا عدة من
قراه فهاج ذلك جماعة الملك الظاهر فدهمت العساكر الظاهرية اولئك
التركمان تركمان كسروان وقاتلوهم فقتلوا الامير علياً من ولد الاعمى ونهبوا
زوق تركمانه ثم تسنى لهم بعد ذلك ان قبضوا على اخيه الامير عمر وعذبوه
عذاباً اليماً مات به . ولما صارت نيابة دمشق الى يلبغا الناصري استقدم
يلبغا اليه الامير فخر الدين عثمان وبعضاً من ذوي قرباه ثم جرت موقعة
مع منطاش قتل فيها الامير شجاع الدين عبد الرحمن بن اسمعيل وبعض من
اصحاب الامير فخر الدين عثمان ثم توفي هذا الامير في سنة ١٣٩٣ غير متجاوز
الرابعة والعشرين من عمره وكان شاعراً مجيداً عزيز النفس بعيد الهمة ولما
كانت السنة ١٤٢٤ سير الملك برسباي اسطولاً الى قبرص بريد فتحها
وامر امراء الغرب ان تسير مع جماعة الاسطول فسار الامير صالح بن
يحيى بن صالح بن الحسين بن خضر في ماية رجل فنزلت العساكر في بر
الماغوصة واتت فيه ما اتت من سبي ونهب ثم حدثت مواقع بينهم وبين
الافرنج في البر والبحر وكان الفوز فيها لعساكر الملك فاسرت هذه العساكر
سبعماية اسير وغنمت شيئاً كثيراً من ادوات القتال ثم سارت الى مصر
فحبا الملك الامير صالح بمايتي دينار واكرمه اكراماً كبيراً ووهبه جواداً
وفروةً ثم عاد الامير الى بلده وفي سنة ١٤٤٤ جهز ابن الحمراء جماعة
كبيرة وسطا بها على الامير عز الدين صدقة بن عيسى بن احمد وهو في
داره في بيروت فقتل بعضاً من اصحاب هذا الامير وفر الامير نفسه

باثواب النوم واختبأ في مكان على شاطئ البحر وقد مرَّ به اعداؤه مرارًا ولم يدروا وحدث بعد ذلك انه قطع راس ابن الحمراء وارسله الى دمشق فارسله نائب دمشق الى الامير عز الدين ثم اتفق في ذات يوم ان الامير عز الدين قبض على واحد من بني الحمراء كان مختبئًا بين افنان شجرة الى جانب غرفة الامير وهو يحاول ان يرميه بسهم ولكنه لم يلبث ان اطلق سبيله ولم يمسه باذى · وقد توفي هذا الامير في هذه السنة نفسها وكان مهيبًا وقورًا حسن السياسة شديد الحزم كبير الجاه نافذ الكلمة لدى الملوك والعمال وكانت ولايته من حد طرابلس الى حد صفد وبيده زمام خفارة بيروت وفي سنة ١٥٢٠ مات الامير شرف الدين يحيي بن ابي بكر بن زنكي وقد كان بمكانة من الشجاعة والبسالة ومن الفطنة والذكآء · وفد على الملك الاشرف قانصوه الغوري بقلعة الجبل في مصر ونال منه بغيته ووفد على المغفور له السلطان سليم بدمشق فصدق له على ما بيده من المناشير وحدث ان الامير ناصر الدين محمد بن الحنش صاحب صيدا والبقاعين خرج عن طاعة السلطان سليم وفرَّ من وجه سلطته فاتهم الامير شرف الدين بالميل الى العاصي فقبض عليه وعلى الامير زين الدين والامير قرقماز والامير علم الدين سليمان من الامرآء المعنيين وارسلوا الى قلعة صفد ثم الى قلعة دمشق ثم سار بهم السلطان سليم الى قلعة حلب ولما قتل العاصي خلَّى السلطان سبيلهم فقصد الامير شرف الدين الفرات ونال بغيته عند الوزير الاكبر هنالك ثم عاد الى بلده · وحدث في سنة ١٥٨٤ ان ابراهيم باشا والي مصر قدم الى عين صوفر من لبنان لمعاقبة امرآء الجبل بما اتهموا به من نهب الخزينة السلطانية عند جون

عكا فمثل بين يديه الامير محمد بن جمال الدين وابن عمه الامير منذر مستسلمين له فاقتادهما معه الى اسلامبول حيث برئت ساحتهما وأُطلقا وأُقرا على ما كانا عليه في ديارهما

وفي سنة ١٦١٢ سير الحافظ الى قرية عبيه الشيخ مظفراً في فرقة من الجند العثماني لمعاقبة الامير ناصر الدين فدهمه الامير في داره فاقتتلا فقتل عدةٌ من الفريقين واحرق الشيخ القرية ثم استسلم الامير له وصحبه الى دير القمر فطيب الحافظ نفسه وولاَّه الشوف وفي سنة ١٦٣٣ اتى الامير علي علم الدين والي الشوف قرية عبيه وقد كان من اليمنيين فدعاء امراء القرية وهم الامير يحيى العاقل والامير محمود والامير سيف الدين ليتناول الطعام عندهم وبينما كانوا يأكلون اذ اندفع عليهم باصحابه فقتلهم ثم قتل ابناءهم فانقرضت بهم سلالة بني تنوخ

الامرآء الارسلانيون

ان كلمة ارسلان ليست عربية ولكنها فارسية سمي بها جد طائفةٍ من الامرآء التنوخيين الدرزيين في جبل لبنان كما سمي غيره من الامراء الذين هم من قبائل عربية باسماء اعجمية مثل قرقماز وغيره وهذه العادة مألوفة بين الجماعات من الناس وان كان يترتب عليها في الغالب اخلال في معرفة النسب وضعف في التقاليد غير محمود العواقب وقد سرى هذا الاسم الى هذه القبيلة العربية التنوخية ايام كانت في جوار الفرس اذ انها قدمت مما بين النهرين وسكنت جبلاً في ظاهر المعرة يقال له الجبل الاعلى

كما تقدم ذكر ذلك

فارسلان بحسبما علمناه من اقوال المؤرخين وما تبين لنا من كتب مسجلة في المحاكم الشرعية الاسلامية محكمة متضمنة نسبة الامراء الارسلانيين هو بن الامير مالك بن الامير بركات المنذري فقد جاء في الكتاب الاول منها الذي كتبه في اليوم الثاني من شعبان سنة ١٤١ هجرية محسن بن حسين بن زيد الطائي متولي فصل دعاوي المسلمين في مدينة المعرة وشهد فيه علي بن رفاعة المعري وسليمان بن قضالة بن عميرة المعري الطائي ومسلم بن عدي بن قاسط التغلبي ويزيد بن سلام الكلابي وخزام بن فند الكلابي ونصر بن راشد بن طالب التنوخي واسحق بن ميمون وابو حذيفة بن هشام وابو الوليد راشد بن رباح بن حراش اللخمي وجذيلة بن سعدة بن رحمة اللخمي ان حضر الى القاضي المتقدم ذكره الامير منذر واخوه الامير ارسلان ولدا الامير مالك بن الامير بركات المنذري وطلبا منه ان يكتب لهما وفيات ابائهم في رق ليحفظاه عندهما خوفاً من حوادث الايام وتحفظاً من السهو والنسيان لانهما قد عزما على الرحيل الى جبال بيروت بامر امير المومنين المنصور فاستشهد من حضر فحدثه داود بن المظفر بن زياد التنوخي عن ابيه عن جده قال لما قدم خالد بن الوليد المخزومي من بلاد العراق قدم معه الامير عون بن المنذر المغرور ابن الملك النعمان ابي قابوس وان الامير عوناً حضر مع المسلمين فتح بصرى وظهرت بها شجاعته وانه قتل بوقعة اجنادين من جرح اصابه في آخر يوم من المصاف فتوفي منه بعد ايام قلائل فحزن عليه اهله ولخم وخالد وامراء الاسلام كثيراً لانه كان فارساً من فرسان العرب رحمه الله قال

وان الامير عونا كان له ولدان الامير مسعود وهو المشهور بقحطان والامير
عمرو فكان الامير علي لخم بعده الامير مسعود واخبرني رضوان بن هلال
اللخمي عن غلاب بن هاشم التنوخي عن ابيه قال حكى لي رافع بن عميرة
الطائي قال قدم معنا من الحيرة الامير عون بن المنذر بن النعمان بن ماء
السماء فلم أرَ اشد منه صبراً على السفر فلما قاتلنا رجال الروم على بصرى
رايت منه من الشجاعة ما لم أرَهُ من احد ثم حضر معنا رحمه الله واقعة
اجنادين وجرح في صدره فتوفي بعد ايام وتوليت بنفسي دفنه رحمه الله
وحدثني همام بن رفاعة الطائي عن شديد بن اوى قال اخبرني سليمان بن
قيس النخعي قال . قال لي عوف بن مالك الاشجعي استشهد الامير عون بن
الملك المنذر الذي سمته العرب المغرور ابن الملك النعمان ابي قابوس
ممدوح نابغة بني ذبيان وهو قاتل عبيد بن الابرص العامري داهية العرب
وهو ابن الملك المنذر ابن الملك المنذر ابن ماء السماء في اجنادين فصار
امير لخم بعده ولده الامير مسعود وهو من اشد شجعان العرب حضر فتح
دمشق وهو اول من دخلها وفتح باب شرقي لخالد بن الوليد حتى دخل
بجيوش المسلمين منه ثم حضر واقعة مرج الديباج ووقائع اليرموك فوالله
لقد قاتل هو ومن معه من لخم وجذام وكانوا زهاء الف وخمسمائة فارس
قتالاً شديداً وصبروا صبراً حسناً واخبرني همام بن رفاعة المذكور قال
اخبرني قيس بن جروان عن شديد بن عدي التنوخي بمثلما روي عن
عوف قال وان الامير مسعوداً واخاه الامير عمرو حضرا فتح بيت
المقدس وقابلا بفتحه امير المؤمنين عمر بن الخطاب فانحظ منها ومما بلغه
من شجاعة الامير مسعود وامر ابا عبيدة بانه متى فتح الله عليه المعرة

و بلادها يضعه باهله وقبائله بها وان الامير مسعوداً لما تم فتح بيت
المقدس سار مع ابي عبيدة لفتح حلب والامير عمرو وابن عمه الامير همام
ابن الامير عامر ابن الملك المنذر سارا باهلهما وجمع كبير من لخم وجذام
مع عمرو بن العاص لفتح قيسارية فلما تم فتحها اراد الامير عمرو ان يلحق
باخيه فمنعه عمرو ثم اخذه معه لفتح مصر وتوطن هنالك واخبرني جابر بن
هاني بن زيد بن عبيد التنوخي عن ابيه عن جده قال اخبرني كعب بن
ضمرة الضمري قال لما ارسلني الامير ابو عبيدة بن الجراح امين الامة
لاكتشاف امر صاحب حلب سار معي ابو النعمان مسعود بن عون اللخمي
المنذري بجماعةٍ من لخم وحضر معي حرب قنسرين فرايت منه شجاعة
عجيبة لم ارها من غيره في ذلك اليوم على شدة من العدو قال ولما نصرنا
الله وفتحنا حلب وطلب ابو الهول من ابي عبيدة رجالاً اشداء ليصعد
بهم الى القلعة كان اول من قال انا الامير مسعود وصعد مع ابي الهول
الى القلعة بجماعةٍ من قومه قال ولما تم فتح حلب ارسله ابو عبيدة في اول
جيش أُرسل لغزو الروم بانطاكية وفتحها قال ولما تم فتح الشام اقام باهله
في بلاد المعرة التي اختارها له امير المؤمنين وحدثني عبد القادر بن عقيل
بن تامر المعري قال اخبرني والدي عن ابيه قال لما توفي الامير مسعود بن
عون تولى امارة لخم بعده ولده الامير منذر الملقب بالتنوخي فاكثر الغزو
وبلغ شهرة عظيمة قال وكان الامير المنذر اصغر من اخيه الامير النعمان
سناً انما كان انجب منه قال وان الامير مسعوداً توفي في سنة ٤٥ للهجرة
وحضرت دفنه رحمه الله وكان شاعراً لبيباً من اكرم الناس واعقلهم
واخبرني ابو عمرو بن حاتم اللخمي وابو الجماهر ابن الهيثم اللخمي قالا

حدثنا ابو الميمون راشد بن سهل اللخمي وكان من المعمرين واهل الصلاح والدين قال حضرت وفاة الامير مسعود بن الامير عون وانا ابن ثماني عشرة سنة فوالله لم أرَ على لخم اشد من ذلك اليوم قال ولما توفي اقامت لخم اميراً عليها ولده الامير المنذر لنجابته وفراسته قال وانا احسب وفاته فارى انه توفي في سنة الخمس والاربعين للهجرة ويتبين من هذا الكتاب ان الامير المنذر لما تولى الامارة بلغت غزواته اقاصي بلاد الروم وان وفاة الامير النعمان ابن الامير مسعود كانت في سنة اربع وستين للهجرة وانه كان صاحب اقدام وشجاعة وان اخاه الامير المنذر التنوخي كانت وفاته في سنة ٧٨ للهجرة وعمره ثماني وستون سنة او دونها وولي الامارة بعده ولده الامير بركات وتوفي الامير بركات بعد وفاة ابيه بثماني وعشرين سنة وصار امير لخم بعده ولده الامير مالك وهو اكبر من الامير قابوس سناً والامير مالك هو الذي بايع للعباسيين وقتلهم مروان بن محمد الاموي وتوفي الامير مالك في سنة ١٣٤ هجرية وعمره ثماني وستون سنة وولد له حسان والنعمان والمنذر وعبد الملك وارسلان فالامير حسان توفي قبل وفاة ابيه بثماني سنين وولد الامير خالداً اما الامير النعمان وهو الذي صار امير لخم بعد والده فتوفي في سنة ١٣٩ وولد الامير عبد الله وتولى الامارة بعده اخوه الامير المنذر والامير عبد الملك توفي في سنة ١٣٧ وولد له الامير فوارس ويتبين من الكتب الاخرى انه في سنة ١٤٢ للهجرة قدم الى جبال بيروت الامير المنذر بن مالك واخوه الامير ارسلان واولاد اخوتهم الامير خالد ابن الامير حسان والامير عبد الله ابن الامير النعمان والامير فوارس ابن الامير عبد الملك وكان قدومهم

بامر امير المؤمنين المنصور الخليفة العباسي وكان اول نزولهم بحصن وادي
تيم الله بن ثعلبة ثم بالمغيثة ثم نزلوا المضارب وتفرقوا بالبلاد واول من مات
منهم الامير خالد ابن الامير حسان توفي في طردلا في شعبان سنة ١٦٤
وقام بعده ولده الامير عمرو وكان عمره اثنتين واربعين سنة ثم توفي الامير
ارسلان ابن الامير مالك في سنة ١٧١ للهجرة وكان شجاعاً بعيد المدارك
واما اولاده فكانوا مسعوداً ومالكاً وعمرواً ومحموداً وهماماً واسحق وعوناً
وقد قرأ على الشيخ الاوزاعي عليه السلام وتوفي الامير منذر بن مالك ولم
يكن له سوى ابنة تزوج بها الامير مسعود ابن الامير ارسلان فولد له منها
الامير هاني والامير عيسى ولما توفي جدهما سلمها والدهما تركته وانتقل الى
حصن سلحمور وابقى عنده ولده الكبير الامير محسن وهو من بنت
الاشعث بن الغامر الداري وتوفي الامير المنذر في حصن سلحمور الذي
بناه في سنة ١٤٧ وكانت وفاته في سنة ١٨٤ وهي السنة الثانية من انتقال
الامير مسعود الى الشويفات وسكناه بها ولما توفي الامير المنذر اجتمع
الامراء والشيوخ وولوا عليهم ابن اخيه الامير مسعوداً ابن الامير ارسلان
وتوفي الامير عون ابن الامير ارسلان في الشويفات ولم يولد له احد ولما
توفي الامير مسعود ابن الامير ارسلان في سنة ٢٢٣ للهجرة ودفن في
الشويفات اتفق الامراء ان يولوا اخاه الامير مالكاً ابن الامير ارسلان
لحسن تدبيره وجودة عقله فابى ابن اخيه الامير هاني ابن الامير مسعود
قبول ذلك وطلب الامارة لنفسه ومازال الامر بينهما على غير استواء حتى
جمع كل منهما جماعة وتقاتلا في اراضي خلدة فكانت الهزيمة للامير مالك
واصحابه فاضطر حينئذ الى الرحيل ورحل باولاده الى اللجون من اعمال

فلسطين فلم يستقم امره هنالك فانتقل الى مصر وتوطنهـا وتوفي الامير عمرو ابن الامير ارسلان وهو الذي اسره الروم من قرب ضريح الامام ابي عمرو الاوزاعي وكانت مدة غيبته بالاسر اربع سنين ولما رجع كره الاقامة بعين التينة التي كان سكنها وكانت وفاته في سنة ٢٠٠ للهجرة وولد الامير زيداً والامير جعفراً وتوفي الامير جعفر ولم يعقب ولداً وتوفي الامير محمود ابن الامير ارسلان في خلدة وله الامير الحسين وكانت وفاته في سنة ٢١٥ للهجرة وهي السنة التي اختلف فيها الامير هاني واخوه الامير عيسى على تركة جدهما ثم اقتسماها ورحل الامير هاني الى عرمون وبعد سنتين بنى بها داراً كبيرة وجعله ابوه نائباً عنه لما سار مع الخليفة المامون الى مصر وفي سنة ٢٣٤ توفي الامير محسن ابن الامير مسعود ابن الامير ارسلان ولم يعقب احداً وفي سنة ٢٣٨ توفي الامير هاني ابن الامير مسعود ولم يولد له سوى الامير عامر وكان يلقب بالغضنفر ابي الاهوال لشدة شجاعته حارب المردة اهل العاصية حروباً عظيمة وربما لقب بالغضنفر لما اتاه في تلك الحروب وقد اتصل امره بالامير خاقان التركي فكتب فيه كتابة حسنة ولما توفي اجتمعت الامراء واقاموا عليهم ابرهيم ابن الامير اسحق اميراً عليهم لانه كان اكبرهم واسمى عقلاً منهم ولما قدم امير المومنين المتوكل على الله الى دمشق سار اليه فاقره على الامارة وعقد له لواء وكتب له توقيعاً بخطه وبعد ذلك بسنتين توفي الامير عيسى ابن الامير مسعود ودفن بتربة جده لامه في سلحمور وولد له الامير غانم والامير مسعود وتوفي الامير زيد ابن الامير عمرو ابن الامير ارسلان في سنة ٢٤٩ وولد الامير شداداً وفي هذه السنة سار الامير النعمان ابن الامير عامر ابن الامير هاني الى الشام في

طلب العلم ومنها سافر الى بغداد وقرأ على ابي العباس المبرد وغيره من العلماء وتوفي الامير غانم ابن الامير عيسى ابن الامير مسعود في سنة ٢٥٣ وعمره اربع وثلاثون سنة وكان صاحب شجاعة وحذق يتقن رمي السهام وولد الامير اياس والامير كده وفي السنة الثانية من وفاته توفي الامير فهم ابن الامير همام ابن الامير ارسلان بلا ولد والامير النعمان دخل جبل بيروت واعماله في ربيع سنة ٢٥٧ وحدث بينه وبين المردة حروب شديدة فاز بها عليهم فوزاً عظيماً وبلغ خبرها امير المؤمنين المعتمد على الله فكتب له كتاباً بخطه يقره على امـارته وتوفي الامير شداد ابن الامير زيدان ابن الامير عمرو في سنة ٢٦٦ وولد له الامير خالد والامير اسعد والامير ارسلان ثم توفي الامير خالد بلا ولد وتوفي الامير عامر والد الامير النعمان سنة ٢٧٢ والامير ابرهيم وهو الذي كان امير الغرب توفي سنة ٢٨٠ وعمره خمس وتسعون سنة وفي السنة الثالثة من وفاته اختلف ولداه الامير محبوب والامير هلال مع الامير النعمان فقدما للشكاية عليه بدمشق فلما وافيا وادي عين الحرير من اعمال البقاع سلط الله عليهما من قتلهما ثم قتل اولادهما وانتقل الى دارهما في الفيجانية الامير اياس ابن الامير غانم ابن الامير مسعود وتوفي الامير اياس بعد اقامته بالفيجانية سبع سنين فكانت وفاته سنة ٢٩١ وولد الامير عدوان والامير نصراً والامير غانماً وكان يلقب بابي الفوز وفي هذه السنة نفسها توفي الامير عون ابن الامير عمرو في طردلا بلا ولد وانقطعت به ذرية الامير خالد وفي هذه السنة ايضاً توفي الامير شداد ابن الامير زيد وتوفي الامير معتب ابن امير الدولة النعمان سنة ٣٠٣ وفي سنة ٣١٢ مرّ بالسواحل احمد بن محمد بن ابي

يعقوب بن هارون الرشيد العباسي ومعه زوجه و بنوه فلما وافى بيروت استقبله الامير النعمان ودعاه لمنزله فاقام عنده في بيروت والغرب زمناً غير قليل ثم خطب منه النعمان ابنته السيدة كلثوم لولده الامير المنذر فازوجه منها واقامت معه زمناً طويلاً وهي والدة الامير تميم وتوفي الامير نصر ابن الامير اياس ابن الاميرغانم سنة ٣١٩ وولد له الامير عامر والامير همام فاما الامير همام فانه توفي وهو دون البلوغ وتوفي الامير عامر بلا ولد وتوفي بعد ذلك امير الامراء ابو حسام بن النعمان ابن الامير عامر وعمره ثماني وتسعون سنة وكانت وفاته سنة ٣٢٥ وكان ينظم الشعر و يكتب جيداً متمكناً في النحو والحديث والفقه اعلم اهل زمانه بفقه الاوزاعي ومالك وله من التاليف (تيسير المسالك الى مذهب مالك) وله (الاقوال الصحيحة في اصول مذهب الاوزاعي (وديوان شعر) جامع وقد امتدت شهرته ومدحته الشعراء وجرت له وقائع كثيرة مع الاعداء المردة ومنع الفرنج من الانتشار في السواحل وكانوا قد نزلوا براس بيروت وتلك النواحي سنة ٣٠٣ فقاتلهم واسر منهم ثمانية نفر ثم فادى بهم بمن اسروه من الاسلام و بسبب ذلك استقدمه اليه امير دمشق وخلع عليه وولد الامير حساماً والامير المنذر والامير معتباً فتولى الامارة بعده ولده الامير المنذر ثم توفي الامير غانم ابن الامير اياس سنة ٣٣٣ وكان حسن الخط سريعه يحسن صناعة الصب وجملة صنايع وولد له الامير طالب والامير يعقوب ثم توفي الامير ابو محمود داود ابن الامير اسعد ابن الامير شداد سنة ٣٥٠ وولد له اولاد اكبرهم الامير محمود الا انه توفي واخوته جميعاً ولم يتخلف وراهم احد وفي هذه السنة الموافقة لسنة ٩٦١ م بنى الامير سيف الدولة المنذر في العمروسية من

الشويفات دارًا كبيرة وجامعًا ثم توفي الامير ابو الصمصام عدوان ابن الامير
اياس بن الامير غانم سنة ٣٥٤ وكان فصيحًا الا انه لا ينقاد لراي احد ولم
يولد له سوى الامير هلال وقيل ولد له ولد سماه الامير صمصامًا توفي صغيرًا
وبه تكنى ثم توفي الامير مفرج ابن الامير زيدان ابن الامير ارسلان سنة
٣٥٨ وهي السنة التي قدم فيها جعفر بن فلاح الكتامي واستولى على الرملة
وطبرية وكتب الى الامير سيف الدولة يدعوه لبيعة مولاه المعز فبعد ان
استشار الامير قومه وعشيرته اجابه جوابًا لطيفًا ليرى ما يكون فلما استولى
على دمشق سار اليه فخلع عليه وولاه بلاده ولكن لم تطل بعد ذلك مدته
اذ توفي سنة ٣٦٠ وولد من كلثوم الامير تميمًا والامير مسعودًا وكان
يحب العلم والعلماء مولعًا بالنحو والفلك والحديث فولي الامارة بعده على
اعماله ولده الامير تميم وتوفي الامير زيدان سنة ٣٦٠ وولد له الامير طلحة
والامير مفرج وفي هذه السنة استقل الامير درويش ابن الامير عمرو ابن
الامير الحسين ابن الامير محمود بامارة الجبل من قبل هفتكين التركي
المستولي على دمشق وسار الامير تميم ابن الامير المنذر مع الامير ظالم بن
مرهوب وابن شيخ من بيروت في البحر الى القاهرة وكان امراء الغرب
قد اقتسموا بينهم الغرب قبل ذلك بسنة عندما اختلفت الاحوال بسبب
الحروب التي جرت بين هفتكين والقرامطة وبين القائد جوهر في عساكر
مولاه المعز وتحزب الامراء الارسلانيون كل قسم منهم لفريق وفي السنة
الثانية قدم الامير تميم مع امير المؤمنين العزيز ولما اسر هفتكين رد الامير
تميمًا الى عمله وتوفي الامير يعقوب ابن الامير غانم ابن الامير اياس في سنة
٣٧٢ ولم يولد له سوى الامير ربيعة وفي هذه السنة تظاهر الامير نخر

الدولة درويش بعد اختفائه فأمنه الامير تميم ثم توفي في السنة الثانية وقيل توفي مسموماً وعمره سبع وسبعون سنة وولد له منصور وسليمان ومراد ومذحج وزهير وعمرو ومالك ثم توفي الامير هلال ابن الامير عدوان ابن الامير اياس سنة ٣٧٧ وكان يكنى بابي الغيث واعقب كعباً واحمد وتوفي الامير ربيعة ابن الامير يعقوب في سنة ٣٨٣ مجذوماً وكان قبل ذلك شديد الذكاء وفي هذه السنة ولي الامير منجوتكين الامير ناصر الدولة منصوراً بيروت وجبل لبنان واخاه الامير مذحجاً صيدا وسير اخاه الامير زهيراً بكتب الى القاهرة وتوجه الامير منصور مع منجوتكين التركي لمحاربة بني حمدان ولما رجع منجوتكين عن بني حمدان جهز الامير منصوراً بجيش الى الجبل ففر تميم الى بني حمدان واستقل منصور بالامارة ثم لما هزم منجوتكين الامير سليمان الكتامي قدم اليه تميم من حلب الى دمشق فاكرمه وولاه طرابلس وولى ولده الامير مطوعاً الغرب وبيروت وولى الامير غالب بن مسعود بن المنذر صيدا وولى الامير هارون ابن الامير حمزة ابن الامير سعيد ابن الامير الحسين صوراً واختفى الامير ناصر الدولة عند ابن الجراح بالرملة ثم توفي الامير عز الدولة تميم ابو مطوع ابن الامير المنذر في سنة ٣٨٧ وذلك بعد صرفه عن طرابلس بسنة ولم يولد له سوى الامير مطوع من زوجته سعدى ابنة الامير ابراهيم ابن الامير اسحق ابن الامير محمد ابن الامير ابرهيم التنوخي اللاذقي وفي سنة ٣٩٠ (٩٩٩ م) توفي الامير مسعود ابن الامير المنذر عن تسع واربعين سنة واعقب غالباً وتميماً وحامداً ومحموداً وفي سنة ٣٩٣ (١٠٠٢ م) وقع القتال بين الامير ناصر الدولة منصور والامير مطوع وذلك لان الامير بكار كان ارسل فوعد الامير

ناصر الدين بالامارة فحزب الامير الناس اليه وآل الامر الى القتال في مرتغون بالقرب من اليابس فانهزم اصحاب الامير منصور وقتل هو واخواه الامير زهير والامير عمرو وجرح الامير العباس ابن الامير زهير فتوفي بعد ايام وولد للامير المنصور عقيل وناصر وفاتك من عايشة ابنة الامير صالح ابن الامير هاشم ابن الامير الحسن الفوارسي وخارجة من صفية ابنة الامير مفرج ابن الامير دغفل بن الجراح الطائي الرملي اما الامير مطوع فاستقل بالامارة وآمن بقية الامراء فاقاموا بمحلاتهم وخالف الامير مطوع بن بكار فحنق عليه وكتب فيه الى الخليفة ثم توفي ابن بكار بعد اشهر فتولي دمشق مفلح اللحياني فاستقبله الامير مطوع الى جاسم من حوران فاكرمه مفلح وكتب فيه الى الخليفة فصدر الامر بالعفو عنه وفي سنة ٤٠٠ (١٠٠٩ م) توفي الامير فاتك ابن الامير منصور وله اربعة اولاد عدي وعمارة وغازي ونصر وفي سنة ٤٠٢ (١٠١١ م) توفي الامير ابو بكر ابن الامير حسام واعقب حساماً وبه كني وعامراً وجذيمة وفي سنة ٤٠٨ (١٠١٧م) توفي الامير طعمة ابن الامير غالب ابن الامير مسعود وله علي وعثمان وفي سنة ٤١٠ (١٠١٩م) توفي الامير ابو الفضل مطوع ابن الامير تميم ابن الامير المنذر وله امرؤ القيس وهاني وموسى وبركات وكان شجاعاً مقداماً غزير المعارف بالفقه والنحو والمنطق وحسن الخط عاقلاً كبير الدهاء فتحزب اهل الغرب بعد وفاته حزبين حزب طلب امارة عماد الدين موسى ابن الامير مطوع والاخر امارة ابي الفوارس معضاد ابن الامير همام ابن الامير صالح ابن الامير هاشم الفوارسي فآل الامر الى استواء موسى على الامارة وبعد سنة تنازل عنها للامير ابي الفوارس وفي سنة ٤١٥ «١٠٢٤ م» توفي

الاميرمرة بن سليمان بن درويش وله المنذر وحمزة ثم توفي الامير ابو اسحق
ابرهيم ابن الامير عبد الله ابن الامير عمرو في سنة ٤٢٠ (١٠٢٩م)
وله اولاد منهم الامير محمود توفي قبل وفاة ابيه بثلاث سنين وعمره عشرون
سنة وفي سنة ٤٢٠ ايضاً توفي الامير ابو بكر ابن الامير المنذر ابن الامير
مرة ابن الامير سليمان وكان يتقن الصياغة وله الامير هشام والامير ابرهيم
وفي تلك السنة نفسها توفي الامير امروء القيس ابن الامير مطوع وولد له
خزاعة وطعمه ومطوع فتوفي خزاعة بلا ولد وولد للامير مطوع ولد توفي
صغيراً ثم توفي الامير عامر بن ابي بكر بن حسام في سنة ٤٢٣ وله سليم
وسليمان فتوفيا ولم يلدا احداً وفي هذه السنة نفسها توفي الامير عدي بن
فاتك بن منصور ولم يولد له سوى ولد توفي صغيراً وتوفي الامير حمدان
ابن الامير محمود ابن الامير مسعود ابن الامير المنذر قبل ذلك بثلاث
سنين وفي سنة ٤٢٨ توفي الامير موسى الملقب بعماد الدين ابن الامير
مطوع وعمره اثنتان وثلاثون سنة واعقب عيسى وعوناً وفي سنة ٤٣٢
توفي الامير هارون بن حمزة بن سعد بن محمود وله سليم ثم توفي الامير سليم
بلا ذكر وفي هذه السنة توفي الامير ابو الفوارس معضاد الفوارسي امير
الغرب فتولى الامارة بعده الامير ابو الفضائل معروف بن علي بن عبد الله
بن مذحج بن درويش واقام بالامارة حتى توفي سنة ٤٣٩ ثم انتقلت
الامارة الى ابي الغارات شجاع الدولة عمر بن عيسى بن عماد الدين موسى
وولد للامير معروف امروء القيس وغسان وجعفر وولد امرؤ القيس عمرواً
فتوفي عمرو ولم يعقب احداً والامير غسان ولد ولداً واحداً فولد ولده عدة
اولاد توفوا جميعاً بلا عقب وتوفي الامير ابو عدي حمزة بن مرة بن سليمان

في سنة ٤٣٥ وله عدي وطي وفي هذه السنة توفي الامير ابو سعد درويش بن مالك بن درويش عن ثلاثـة واربعين سنة ولم يعقب احداً وتوفي الامير عبد القادر بن نسيم بن مسعود والامير سهل بن عقيل بن منصور والامير هاني بن نصر بن منصور في سنة ٤٤٠ توفوا جميعاً بالطاعون فلم يعقبوا احداً وفي هذه السنة تولى المستنصر العبيدي ناصر الدولة بن حمدان امير دمشق وتجهز لقتال شمأل بن مرداس في حلب بعث الى الامير عمر يستقدمه اليه فقدم بجماعته وصحبه الى حلب لحاربا ابن مرداس ورجعا خائبين فقلّد المستنصر بالله المذكور الامير مظفراً الصقلي امارة دمشق وامره بالقبض على ابن حمـدان واصحابه فقبض عليه وعلى الامير عمر وصادرهما واعتقلهما في صور ثم في الرملة وولى الامير مظفر الامير شرف الدولة ابا سعيد قابوس بن فاتك بن منصور امارة بيروت والغرب وفيهـا صحب الامير شرف الدولة هو ورجاله الخادم المامور بحرب بني مرداس واقام نائباً عنه بالامارة ابن عمه الامير سعد الدولة طي بن حمزة بن مرة وفي السنة التالية قتل الامير قابوس بحرب بني مرداس وكان له ولد يسمى سعيد فافرج امير المؤمنين عن ابن حمدان وارجع الامير شجاع الدولة عمر الى امارته

وفي سنة ٤٤٢ توفي الامير عبد العزيز ابن الامير هلال ثم توفي الامير عيسى بن الامير موسى سنة ٤٤٤ وكان ورعاً في الدين كثير التصدق وولد له الامير عمر والامير حسان والامير حسين وفي سنة ٤٤٨ توفي الامير معضاد ابن الامير حسام ابن الامير ابي بكر وله الامير عبيد والامير طريف وفي هذه السنة اتم الامير عمر بناء دار العين والحمام بالقرب منها في قرية

عرمون وتزوج بالسيدة زينب ابنة الشريف علي ازوجه منها اخوها
الشريف احمد والشريف علي هو ابن محمد بن الحسين بن عبد الله بن
الحسين بن ابرهيم بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين
بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليه ثم توفي الامير ابو المجد عبد الكريم
ابن الامير مفرج ابن الامير زيدان سنة ٤٥٢ وله الامير زيدان فتوفي
زيدان بعده بقليل وفي هذه السنة نفسها توفي الامير طلحه ابن الامير امرئ
القيس ابن الامير مطوع وولد له الامير مطوع والامير عثمان والامير صدقة
وتوفي الامير سعد الدولة طي ابن الامير حمزة ابن الامير مرة توفي وله ولد
صغير توفي بعده بقليل وكانت وفاته في سنة ٤٥٨ وكان عالماً فاضلاً
غزير المعرفة بالنحو والفرائض الف كتاباً في النحو سماه المورد الصافي وفي
سنة ٤٦٣ توفي الامير علي ابن الامير طعمة ابن الامير غالب وولد له
الامير طعمة والامير عبد الرحيم والامير عبد الحليم من السيدة نقية ابنة
الامير فوارس ابن الامير معضاد الفوارسي ابتنى بها الامير علي وازوج
اخته السيدة زهرة بالامير يوسف ابن الامير فوارس وفي سنة ٤٦٧ توفي
الامير ابو زيد حسان ابن الامير عيسى ابن الامير موسى وله الامير زيد
وتوفي هذا صغيراً وفي سنة ٤٧٠ توفي الامير ابو الفوارس رشد الدولة
زنكي ابن الامير صالح ابن الامير محمود ابن الامير مسعود وعمره ثمان واربعون
سنة وكان بعيد الهمة شديد الحظوة لدى الملوك ولي الاعمال الكبيرة مثل
اللجون وبعلبك وصفد ثم توفي الامير فوارس ابن الامير عبد الله ابن الامير
مفرج في سنة ٤٦٩ ولم يولد له احد وتوفي الامير خزاعة ابن الامير امرئ
القيس ابن الامير مطوع في سنة ٤٧٠ وولد له اولاد توفوا جميعاً بحياته

وتوفي الامير شجاع الدولة عمر ابن الامير عيسى في سنة ٤٨١ وعمره اثنتان وستون سنة ولم يولد له سوى الامير علي سماه باسم جده الشريف علي وقبل وفاته بعشرة اشهر توفي الامير عمرو بن الامير امريء القيس بن الامير معروف بلا ولدٍ وكان ورعاً كثير التهجد قضى غالب عمره بالسياحة وتوفي الامير ابو عون مصطفى ابن الامير عون ابن الامير موسى عن ولدين وهما الامير عون والامير مالك فالامير عون توفي بتولاً في سنة ٤٩٣ وفي سنة ٤٩٤ جهز الامير عضد الدولة علي رجالاً وسيرهم الى مغارة نهر الكلب يكمنون للامير بلدوين الفرنسي اخي جوفروا ملك بيت المقدس اذ كان قادماً الى القدس في الف رجل ليرث تاج اخيه ولما التقى بالمكمنين حاربهم وظفر بهم وظل سائراً في طريقه وفي السنة التالية جمع الامير عضد الدولة علي رجالاً من بيروت وصور وصيداء وعكاء وسار بهم الى نهر الكلب ليقطع الطريق على الامير ريمون امير طولوسا فاستنجد الامير ريمون بالملك بلدوين فحضر من القدس بعسكره ولما بلغ نهر الكلب انهزم عضد الدولة برجاله الى بيروت وحاصر فيها ورجع بلدوين ومعه ريمون الى القدس واذ بلغ شمس الملوك رقاق ملك الشام ذلك ولى الامير علياً صيداء وامره بتحصينها وبتحصين بيروت فحصنها وارسل الى صيداء نائباً عنه الامير مجد الدولة محمد ابن الامير عدي ابن الامير سليمان ابن الامير عبد الله من الامراء بني عبد الله

وفي سنة ٥٠٤ (١١١٠) جمع بلدوين جيوشه وحاصر بيروت براً وبحراً وكان فيها الامير شجاع الدولة وجماعة من ذوي قرباه ولما تعذر على بلدوين فتحها استنجد بافرنج السواحل وامراء المردة على ما مر في تاريخهم

فيما سبق فانجدوه فتجمع من في الانحاء الشمالية في جبيل ومن في الانحاء الجنوبية في مرج الغازية ثم هب الفريقان في يوم واحد الشماليون على طريق الجرد والجنوبيون على طريق الساحل ودهموا الغرب صباحاً فاحرقوه بعد ان نهبوا ما فيه وقتلوا واسروا من بلت يدهم به ولم ينجُ الا الذي لم تقع عينهم عليه من المختبئين والفارين فقتل من الامراء الامير موسى بن ابراهيم بن ابي بكر بن المنذر واولاده الصغار والامير القاسم بن هشام بن ابي بكر وولده الامير ادريس والامير مودود بن سعيد بن قابوس وولداه الامير اسد والامير زهير والامير مالك بن مصطفى بن عون والامير عبيد بن معضاد بن حسام والامير يحيى بن الخضر بن الحسين بن علي واخوه الامير يوسف والامير علي بن حليم بن يوسف بن فارس الفوارسي واولاده واخوته وبنو عمه فانقطعت بهم سلالة بني فوارس واسر الامير ثابت بن معروف بن علي وحفيده الامير عبد الرحمن بن فراس بن ثابت ثم قتلا مع المأسورين في بيروت ولم يبقَ من الامراء الموجودين في الغرب سوى الامير بحتر ابن الامير عضد الدولة علي اذ اخفته امه في عرمون حتى جلت الافرنج عنها ثم انحدرت الافرنج الى بيروت وشددوا عليها الحصار ففتحوها بالسيف بعد حصرها شهرين فقتل من الامرآء الامير الكبير عضد الدولة علي وكان شجاعاً كريماً عاقلاً صبوراً بعيد الهمة والامير سالم بن ثابت بن معروف والامير عبد الحليم بن علي بن طعمة وولده الامير ساعد واخوه الامير عبد الرحيم بن علي واسر ثلثة منهم الامير الخضر بن علي بن الحسين وولده الامير الحسين والامير علي بن طعمة بن علي وجماعة غيرهم وفي اليوم الثاني اخرج بلدوين الاسرى

جميعاً خارج المدينة وضرب اعناقهم كافة وسار بجيوشه براً وبحراً ونازل صيدا وكان فيها الامير مجد الدولة كما تقدم فشدد عليها الحصار ولما يئس الامير ومن فيها من السلامة عقدوا مع بلدوين صلحاً على عشرين الف درهم فخرج الامير مجد الدولة سالماً مسلماً البلدة لبلدوين واتى الغرب فالفاه قاعاً صفصفاً لا يسمع فيه الا البكاء والعويل ثم شرع في الترميم واسترجاع السكان واستقل بالامارة وفي سنة ٥٣١ كتب اليه ملك دمشق طغتكين كتاباً يوليه الامارة ويقطعه قرى معينة ولما اشتد ساعده جعل يغزو الافرنج فندموا على اطلاقه وما زال كذلك حتى قتل في سنة ٥٣٢ في ارض البرج وله الامير عبدالله فولي الامارة بعد الامير بحتر المعروف بناهض الدين ابي العشائر بن عضد الدولة علي وهو الذي تخلف من امرآء الغرب اذ اخفته امه وكان صغيراً وما زال بحتر بالامارة الى ان توفي سنة ٥٦١ وله الامير علي وكان الامير بحتر صادق المقال كريم الفعال جرى له وقائع كبيرة مع الافرنج من اعظمها واقعة راس النبذة جرت في سنة ٥٤٦ عند نهر الغدير قتل فيها من الافرنج خلق كبير وانهزم الباقون الى بيروت وتحصنوا فيها ولما توفي الامير بحتر اقطع الغرب الملك نور الدين محمود بن زنكي الامير كرامة المعروف بامير الغرب التنوخي او زهر الدولة . وفي سنة ١١٦٢ مسيحية كتب الملك المنصور الضرغام ملك مصر الى الامير علي يطلب منه ان يسعى جهده في اخراج امراء الشام عن نور الدين ونجدة شاور الذي كان رئيس الوزارة في مصر وان يكاشف هذا الرئيس باحوالهم واخبارهم فبلغ نور الدين ذلك فتغير عليه ثم توفي الامير كرامة وله اربعة اولاد فقتلهم الافرنج ثم ساروا الى عرمون

فلقيهم الامير عرف الدولة علي فاقتتلا وكان الامير واعوانه على تلٍ عالٍ فرموا الافرنج بالحجارة والنبال وانحدروا عليهم انحدار السيل من قمم الجبال فهزموهم وشتتوهم واستقل الامير بالامارة ولما بلغ ذلك الملك الصالح بن نور الدين كتب الى الامير علي كتاباً يثني به عليه ويوليه الغرب على نحو ما كانت اباؤه واجداده

وفي سنة ١١٨٦ مسيحية وقعت نفرة بين الامير عرف الدولة علي وبين الامير جمال الدين حجى بن كرامة التنوخي وذلك لان صلاح الدين يوسف لما فتح بيروت ولّى جمال الدين الغرب واقطعهُ ما كان لابيه ولبثت تلك النفرة حتى حاصرت الافرنج بيروت في سنة ١١٩٥ مسيحية وانهزم عامل بيروت الامير عز الدين اسامة الكناني صاحب حجى واستولت الافرنج عليها فخاف الامير حجى على نفسه وصالح علياً وارتحل الى طردلا وكان اكثر اقطاعه وتوفي الامير عرف الدولة قوام الدين علي ابن الامير ناهض الدين بحتر ابن الامير عضد الدولة علي سنة ٦٢٧ ودفن في عرمون وكان فصيح اللسان عادلاً بالرعية وولد له اولاد لم يعش منهم سوى الامير زين الدين صالح فولد للامير زين الدين الامير ابو اليمن عضد الدولة بحتر ثم ولد له الامير قطب الدين مفرج ثم ولد له الامير بدر الدين يوسف ثم علا صلاح الدين مسعود ثم الامير الافضل ابو البشر شاكر ثم الامير شرف الدين علي وامهم جميعاً جميلة ابنة الامير نجم الدين محمد ابن الامير جمال الدين حجى بن كرامة التنوخي وولد للامير قطب الدين مفرج الامير تقي الدين نجا ولبدر الدين يوسف سيف الدين مفرج ولعلا الدين مسعود عماد الدين موسى وتوفي الامير زين الدين ابي الجيش

صالح في سنة ٦٩٥ (١٢٩٥م) وله من العمر سبعون سنة ونيف ودفن في عرمون الغرب وكان شجاعاً وله عدة اثار منها ترميم المسجد والحمام ودار عرمون التي كان احرقها الافرنج وتوفي ولده الامير ابو اليمن عز الدولة بحتر قبل وفاته باحدى عشرة سنة وولده الامير بدر الدين يوسف قبل وفاته بخمس سنين وفي سنة ٧٠٤ (١٣٠٤) تزوج الامير سيف الدين مفرج بالشريفة نفيسة ابنة الشريف زين الدين محمد بن عدنان ازوجه لما توجه للغرب في السنة المذكورة للصلح بين اهل كسروان والجبال وبين امراء الغرب مندوباً لذلك من اقوش الاخرم نائب دمشق فدعاه الامير المذكور وانزله بداره وخطب منه ابنته نفيسة لنفسه ابتنى بها فولد له منها الامير نور الدين صالح وتوفي الامير شرف الدين علي ابن الامير ابي الجيش في سنة ٧١٥ وله الامير بدر الدين يوسف ثم توفي الامير تقي الدين نجا ابن الامير قطب الدين مفرج ابن الامير ابي الجيش زين الدين صالح في سنة ٧٢٢ وكان حسن الخط متمكناً في النحو وله الامير نور الدين عثمان والامير عز الدين حمدان وفي سنة ٧٣٠ توفي الامير عماد الدين موسى ابن الامير علاء الدين مسعود وكان بعيد الهمة شجاعاً حكيماً وله الامير فيض الدين عمر من زوجته السيدة عصمة الدين عفيفة ابنة الامير ناصر الدين الحسين ابن الامير سعد الدين خضر ابن الامير نجم الدين محمد التنوخي وفي سنة ٧٤٠ توفي الامير سيف الدين مفرج ولم يولد له سوى الامير نور الدين صالح ثم توفي في سنة ٧٧٢ الامير ابو الفيض مجد الدين اسمعيل ابن الامير ابي العز صدر الدين ابرهيم ابن الامير ابي البشر شاكر وولد له من زوجته عدلا ابنة الامير شرف

الدين علي ابن الامير عز الدين جواد ابن الامير علم الدين سليمان من الامراء بني عبدالله الامير سعد الدين طاهر فتوفي بلا عقب في سنة ٧٧٢ وفي هذه السنة نفسها توفي الامير عز الدين مفرج وهو ابن تسع سنين وفي سنة ٧٨٨ توفي من بني ابي الجيش الامير علم الدين سليمان ابن الامير فيض الدين ابن الامير عماد الدين موسى ولم يعقب احداً وفي سنة ٧٨٩ توفي الامير صلاح الدين صدقة ابن الامير ابي الجود زين الدين عبد المحسن ابن الامير صدر الدين ابرهيم ثم في سنة ٧٩٠ (١٣٨٨ م) كانت وقعة الغرب بين الامير ارغون نائب منطاش وتركمان كسروان وانصاره الامراء اولاد الاعمى و بين امراء الغرب اصحاب الملك الظاهر فانهزم امراء الغرب ونهبت بيروت واحرق من قرى الغرب عيناب وعين عنوب وشملال وعيتات وما دونها وقتل من الامراء من بني ابي الجيش الامير نور الدين صالح ابن الامير سيف الدين مفرج جد الامير جمال الدين عبد الله وقتل الامير عز الدين حمدان ابن الامير تقي الدين نجا وقتل الامير جمال الدين عبدالله بن الامير نور الدين عثمان وقتل ولده الامير شجاع الدين عماد واسر الامير ناصر الدين بشير ابن الامير بدر الدين يوسف ابن الامير شرف الدين علي والامير قطب الدين خزاعة ابن الامير علاء الدين مسعود واخوه الامير نجم الدين اسعد والامير عز الدين الحسين ابن الامير بدر الدين يوسف اخي الامير ناصر الدين بشير و بالجملة فانه لم ينج من الامراء بني الجيش سوى الامير سيف الدين يحيى ابن الامير نور الدين صالح والد الامير جمال الدين عبدالله فانه نجا هو وبعض من اصحابه وقد تبعه اعداؤه وهو يقاتلهم مقاتلة الاسود وما زالوا في اثره حتى

قتل جواده وجرح هو جرحاً مثخناً وتفرق عنه اعوانه فمال عن وجه اعدائه
الى دار في الغرب يريد الاختفاء بغية النجاة فالفى امه مختبئة مع بعض
النساء في كهف هناك فضمته اليها وشدت جراحه واختبأ حتى جلا القوم
ولقب ذلك الكهف بمغر ام سيف الدين حتى الان ولما برئت جراحه اخذ
يجمع اليه رجاله وفي اثناء ذلك حدث ان الملك الظاهر برقوق زحف على
باكيش نائب غزة وقتله فسار الامير اليه برجاله وشهد المواقع التي جرت
بينه وبين جنتمر واصحابه وحصار دمشق فبدت من الامير هناك شجاعة
ولا شجاعة عنتر وكانت هجماته كهجمات الاسود فسر الملك الظاهر من شجاعته
وثبات جاشه ثم استعان الامير بالملك على اعدائه تركمان كسروان
والامراء بني الاعمى وسأله ان يمده بالرجال فأمده فاتى الامير كسروان
برجاله ودهم التركمان ليلاً فاصطدم الفريقان في جورة منطاش بالقرب
من زوق ميكائيل واستعرت بينهما نار الحرب وقاتل الامير قتال الابطال
فهزم اعداءه وقتل منهم عدداً كبيراً وقتل الامير علي بن الاعمى وسار
الامير يقفو اثار المنهزمين ونهب زوق التركمان وضواحيه وتحصن الامير
عمر واخوه الامير علي ابنا الاعمى في غزير فحاصرهما الامير سيف الدين
ثم دخل القرية عنوة وقبض على الاخوين وعذبهما عذاباً اليماً ثم قتلهما
ثم عاد فاخبر الملك الظاهر بما كان من امره فاقره الملك اميراً على بيروت
والغرب ولقبته عشيرته بمفرج الكروب ومدحته الشعراء ولما خرج الصالح
حاجي ومنطاش من مصر لمحاربة الظاهر انضم الى الظاهر الامير سيف
الدين بجماعة من امراء لبنان وحضر الحرب فابلى فيها بلاءً حسناً فازدادت
بذلك شهرته فلما تم للظاهر النصر على اعدائه وهب الامير فرسين من الخيل

الدبلد

الجياد واقطعه عدة اقطاعات وانعم على جميع الامراء اصحاب الامير سيف الدين

وفي سنة ١٤١٣ مسيحية تصدى الامير سيف الدين للافرنج الذين خرجوا من البحر الى البر عند الدامور وجعلوا يعيثون في الساحل اسراً وقتلاً فصدهم عن الامتداد في السواحل حتى نهض الملك المؤيد شيخ المحمودي الخاصكي من دمشق بجيش جرار لقتالهم فلقيه الامير سيف الدين الى البقاع واستخلف على رجاله ولده الامير جمال الدين عبد الله فعرض على الملك رايه في قتال الافرنج كيف ينبغي ان يكون ودعاه لان ينزل عنده فاجابه ونزل هو وحاشيته بدار الامير بالشويفات واما الجيش فنزل على ماء الغدير واقام الملك وجيشه ثلاثاً والامير ينفق عليهم ثم قام الملك بالجيش الى الناعمة حيث كان رجال الامير وهجموا على الافرنج فهزموهم ورجع الملك الى الفريديس فبات بها ثم انتقل الى البقاع حيث ودعه الامير فخلع عليه خلعة سنية ولقبه بملك الامراء وضم اليه جميع الولايات الساحلية فعظمت صولة الامير وانتشر صيته وما زال كذلك حتى توفي سنة ٨٢٧ (١٣٢٤) في الشويفات وعمره ثماني وخمسون سنة وله ثلاثة اولاد جمال الدين عبد الله وصلاح الدين مفرج وفخر الدين عثمان وكان طويل القامة عريض الصدر جميل الطلعة نال شهرة لم ينلها غيره من الامراء

وفي سنة ٨٥٠ (١٤٤٦) توفي الامير جمال الدين عبد الله بن الامير سيف الدين يحيي وله سيف الدين يحيي وفي السنة الثانية من وفاته ولي اخوه الامير صلاح الدين مفرج امارة جبل لبنان وبقي بالامارة الى

ان توفي في سنة ٨٨٨ (١٤٧٢) وولداه الامير زين الدين صالح والامير بهاء الدين خليل ثم توفي الامير فخر الدين عثمان ابن الامير ابي المكارم يحيى في سنة ٨٩٠ وله الامير صلاح الدين يوسف وهو سبط الامير عز الدين صدقة ابن الامير شرف الدين عيسى التنوخي وفي سنة ٩٠٠ توفي الامير صدر الدين ابرهيم ابن الامير سيف الدين يحيى ابن الامير جمال الدين عبد الله ولم يولد له ذكر ثم توفي الامير بهاء الدين خليل ابن الامير صلاح الدين مفرج في سنة ٩١٦ وله الامير جمال الدين احمد والامير نور الدين محمد

وحدث في سنة ٩٢١ (١٥١٥) ان وقعت موقعة في مرج دابق بين السلطان سليم خان العثماني وبين الملك الاشرف قانصوه الغوري الجركسي وكان من اتباع الاشرف جان بردوي الغزالي وخير بك الجركسيان فمال هذان الى خيانته لوحشة بينهما وبين متبوعهما فمانا السلطان سليماً وكان الامير جمال الدين وجماعته من امراء لبنان الا بني كرامة التنوخيين يميلون الى الغزالي فلما التقى الجيشان فر الغزالي ورفيقه خير بك الى السلطان سليم وانضما الى معسكره ومعهما الامير جمال الدين وبقية الامراء والاعوان واذ قتل الغوري في تلك الموقعة واستقرت السلطة على الديار الشامية للسلطان سليم ولى الغزالي عليها فولى الغزالي الامير جمال الدين بلاد الغرب والمتن والجرد وولى الامير قرقماز المعني الشوف والامير عساقاً التركماني كسروان ثم خرج ابن الحنش عن طاعة السلطان سليم فقدم الغزالي لقتاله فوافاه الامير جمال الدين برجاله فاستولى الغزالي على صيدا وفر ابن الحنش من وجهه . ثم اتى الغزالي ومعه الامير جمال

الدين الشوف وقبض على بني معن والامير شرف الدين يحيى التنوخي لما اتهم ابن الحانش وضم الشوف لولاية الامير جمال الدين بحيث اصبح هذا الامير اميراً على سائر جبل لبنان الجنوبي ولكن الامير فخر الدين المعني اصلح امره لدى السلطان بدمشق فولاه الشوف فوقعت اذ ذاك النفرة بين الاميرين فدعا بنو معن انفسهم قيسية معاكسة للامير جمال الدين وذويه لانهم كانوا يمنيين وقد استحكم الخلاف بينهما استحكاماً كبيراً وفي سنة ٩٢٤ (١٥١٨) لجأ بالامير جمال الدين الامير قايتباي بن عساف التركماني خوفاً من اخويه الامير حسن والامير حسين فامنه ثم اصلح بينه وبين اخويه ولكن قتل الاخوان بعد ذلك واستفحل الامر بين القيسية واليمنية فأدّى الى انتشاب الحرب بين الفريقين ومما جرى للامير جمال الدين انه في سنة ١٥٣٨ مسيحية سار في مايتي رجل من بيروت الى قبرس بحراً وحضر مواقع عساكر الدولة العثمانية فيها فخلع عليه وزير الدولة وكتب الى اياس باشا والي دمشق يوصيه بقضاء حاجاته فعاد فرحاً مسروراً ثم جعل الامير الولاية في آخر امره بيد ولده الامير محمد وفي سنة ٩٥٧ (١٥٥٠) توفي الامير نور الدين محمود بن الامير بهاء الدين خليل ثم توفي الامير شرف الدين علي بن الامير صلاح الدين يوسف ابن الامير فخر الدين عثمان في سنة ٩٦٠ وكان شجاعاً وله من زوجه شقيقة الامير مظفر ابنة الامير صلاح الدين يوسف ابن الامير ظهير الدين الحسن ابن الامير نور الدين اسحق علم الدين الامير فارس والامير سعيد والامير سعد الدين فتوفي الامير سعد الدين في سنة ٩٧٥ ثم توفي الامير عز الدين ابن الامير نور الدين صالح ابن الامير بهاء الدين

خليل في سنة ٩٨٣ وولد له الامير محمد ثم توفي الامير جمال الدين احمد في سنة ٩٩٤ وعمرهماية سنة ثم توفي الامير عثمان بن الامير سعيد وهو دون البلوغ وولد للامير سعيد ولد اخر بعد وفاته فسماه عثمان ايضاً فتوفي بعد وفاة اخيه بثماني سنين وكانت وفاته في سنة ١٠١٠ وفي سنة ١٠٠٦ توفي الامير مفرج ابن الامير فارس وله الامير حمدان والامير هاني

وفي سنة ١٥٥٧ مسيحية تزوج الامير محمد بن جمال الدين ابنة الامير علم الدين سليمان بن محمود التنوخي وازوج شقيقته جليلة من الامير منذر ابن الامير علم الدين المذكور ولما كان سنة ١٥٧٠ مسيحية سار الامير محمد في جماعة من رجاله من بيروت الى قبرس وحضر المواقع التي اجراها الوزير مصطفى لالا باشا لفتح قبرس ولما تم فتحها خلع الوزير على الامير خلعة وكتب الى احمد باشا والي دمشق يوصيه بالامير فعاد الامير مسروراً ثم توفي الامير محمد ابن الامير جمال الدين محمد في سنة ١٠١٤ هجرية وعمره سبعون سنة ولهُ الامير مذحج من زوجه جميلة ابنة الامير علم الدين سليمان ابن الامير محمد التنوخي وكان الامير محمد سريع الخاطر عالماً ببعض الفنون الادبية شجاعاً كريماً فصيحاً ثم توفي الامير محمد بن الامير عز الدين ابن الامير زين الدين صالح وهو سبط الامير طرباي ابن الامير علي الحارثي وكانت وفاته في سنة ١٠٢٠ وله الامير مراد والامير قايتباي ثم توفي الامير سعيد ابن الامير شرف الدين علي في السنة نفسها وله الامير ظاهر . وفي سنة ١٦١٥ مسيحية حدثت موقعة في الناعمة بين الامير يونس والامير علي المعنيين زعيمي القيسية وبين الشيخ مظفر علم الدين والامير مذحج بن محمد وهما زعيما اليمنية فانهزم

اليمنية وقتل منهم مايتا رجل من القيسية ثلاثون رجلاً واختبأ الامير مذحج
ثم ارسل الامير علي المعني رجال الشوف فنهبوا الغرب والجرد والمتن
واحرقوا قراها وامر بهدم داري خاله الامير محمد جمال الدين في
الشويفات وعرمون وكانتا متقنتين جداً

ثم توفي الامير مذحج ابن الامير محمد في سنة ١٠٢٦ وله الامير
يوسف والامير عز الدين والامير يحيى من زوجه صفية ابنة الامير
منصور ابن الامير حسن العساف التركماني ثم توفي ولده الامير يوسف
في سنة ١٠٣٥ وله الامير سليم والامير قاسم ثم توفي اخوه الأمير
يحيى في سنة ١٠٤٢ وله الامير فخر الدين والامير محمود من زوجه السيدة
نفيسة ابنة الامير يوسف باشا بن سيفا . ثم توفي الامير مراد ابن الامير
محمد ابن الامير عز الدين في سنة ١٠٤٥ وله الامير صالح والامير
قرقماز والامير غازي . ثم توفي الامير عز الدين ابن الامير مذحج وولد
له الامير عبد اللطيف وكانت وفاته في سنة ١٠٥٠ . ثم توفي الامير فخر
الدين ابن الامير يحيى وعمره ثمان وثلاثون سنة وكانت وفاته في سنة
١٠٦٣ وله الامير سليمان والامير غصن وامهما سلمى ابنة الامير علي
علم الدين ثم توفي الامير قايتباي ابن الامير محمد وله الامير عساف
وكانت وفاته في سنة ١٠٦٦ . ثم توفي اخوه الامير غازي في سنة ١٠٧٢
وله الامير نجم وفي اواخر هذه السنة نفسها توفي الامير عبد اللطيف ابن
الامير عز الدين وله الامير جمال الدين والامير ناصيف وفي هذه السنة
ايضاً توفي الامير محمود ابن الامير يحيى وله الامير سليم ثم توفي الامير
عبد الله ابن الامير هاني ابن الامير مفرج في سنة ١٠٧٥ بلا عقب ثم

توفي الامير حسين ابن الامير قاسم ابن الامير ظاهر في سنة ١٠٨٣ ثم
توفي الامير سليم ابن الامير محمود في سنة ١٠٩٢ وله الامير فارس والامير
موسى فتوفيا بلا عقب ثم توفي الامير غصن ابن الامير فخر الدين ابن الامير
يحيى في سنة ١٠٩٥ (١٦٨٣) وتوفي الامير حسن بن الامير قرقماز ابن
الامير مراد في سنة ١١٠٠ (١٦٨٨) وله الامير فهد ثم توفي الامير نجم
بن عبد الله بن قاسم بن يوسف في سنة ١١٠١ (١٦٨٩) ودفن في قرية
بشامون وهو دون البلوغ فبنى له جده القبة المعروفة به ثم توفي الامير فارس
ابن الامير محمود ابن الامير يحيى في سنة ١١٠٥ ولم يولد له ذكر ثم توفي
الامير سليمان ابن الامير فخر الدين ابن الامير يحيى في ١١٠٧ وعمره خمسون
سنة وله الامير حيذر وكان فصيحاً كريم الاخلاق كلفاً بالعلم والاطلاع
على السير وفي هذه السنة نفسها توفي الامير جمال الدين ابن الامير عبد
اللطيف ابن الامير عز الدين بتولاً ثم توفي الامير عز الدين بتولاً ثم توفي
الامير عساف ابن الامير قايتباي ابن الامير محمد في سنة ١١١٣ وله
الامير محمد والامير نعمان ثم توفي الامير سليمان ابن الامير مذحج في سنة ١١٢٠
وعمره ماية سنة ودفن في عين عنوب وله الامير يوسف من زوجه ابنة
الامير ملحم معن شقيقة الامير احمد معن آخر وال من بني معن على جبل
الشوف ثم توفي الامير موسى ابن الامير سليم ابن الامير محمود ابن الامير
يحيى بلا عقب في سنة ١١٢٤ ثم توفي الامير عبد الله بن الامير قاسم ابن
الامير يوسف في قرية بشامون في سنة ١١٢٥ ثم توفي والده الامير قاسم
المذكور في سنة ١١٢٨ وله الامير علي ثم توفي الامير شديد ابن الامير
يوسف ابن الامير سليم في ريعان شبابه وذلك في سنة ١١٣٢ وكان ذا منزلة

سامية وفي سنة ١١٣٥ توفي والده الامير يوسف ودفن في قرية عين عنوب وعمره سبع وثمانون سنة وكان جليلاً حكيماً بعيد الهمة حزوماً ولي امارة جبل لبنان باتفاق من اهله في سنة ١١٢١ وفر الامير حيذر الشهابي الى كسروان ثم بعد اشهر ارسل بشير باشا والي صيدا الى الجبل الشيخ محمود ابا هرموش وكان قد استحصل له رتبة مير ميران مع لقب باشا فلم يتفق مع الامير يوسف والتمس من والي الايالة ان تكون ولاية الجبل للامير يوسف علم الدين وابن عمه الامير منصور فصدر امره بذلك وعاد الامير يوسف ارسلان الى بيته ولهذا اعتزل هو وعشيرته واقعة عين داره التي كانت في سنة ١١٢٢ ولما تمكن الامير حيذر من الولاية وقهر اليمنية انتزع الشحار وثلث الغرب من ولاية الامير يوسف المذكور وعهد بولاية ذلك الى من اعانه على قتال ابن هرموش وحزبه وجعل ذلك للامير يوسف مجازاة له على ما بدا منه في اول الامر وقصداً لاضعافه في المستقبل ثم لم يزل الامر بينهما على غير استواء حتى توفي الامير يوسف وتولى الغرب بعده الامير اسمعيل وفي سنة ١١٣٥ (١٧١٢) توفي الامير حيذر ابن الامير سليمان ابن الامير فخر الدين وله الامير منصور والامير محمد والامير حسين والامير فخر الدين ثم توفي الامير محمد ابن الامير غصن ابن الامير فخر الدين في سنة ١١٣٦ وله الامير بشير ثم توفي الامير عز الدين ابن الامير زين الدين ابن الامير صالح ابن الامير مراد في سنة ١١٣٨ وله الامير يحيى والامير صالح ثم توفي الامير علي ابن الامير قاسم ابن الامير يوسف بلا عقب وكانت وفاته في سنة ١١٤٢ ثم توفي الامير سليمان ابن الامير غصن ابن الامير فخر الدين بلا عقب وكانت وفاته في سنة ١١٤٦

وفي سنة ١١٥١ (١٧٣٣) توفي الامير علي ابن الامير نجم ابن الامير مراد وله الامير فارس والامير منصور وفي سنة ١١٥٢ توفي الامير نعمان ابن الامير عساف ابن الامير قايتباي بلا عقب وفي هذه السنة نفسها توفي ايضاً الامير منصور ابن الامير حيدر ابن الامير سليمان وله الامير حيدر والامير قاسم فالامير حيدر قتل في سنة ١١٦٥ (١٧٥١) وتوفي الامير عساف ابن الامير قايتباي وهو شاب في سنة ١١٧٠ (١٧٥٦) وتوفي الامير محمد ابن الامير حيدر ابن الامير سليمان في سنة ١١٧٢ وله الامير حمد والامير بشير وفي هذه السنة ايضاً توفي الامير يحيى ابن الامير عز الدين ابن الامير زين الدين بلا عقب وتوفي اخوه الامير صالح ابن الامير عز الدين سنة ١١٧٥ بلا اولاد ايضاً وفي سنة ١١٧٨ توفي الامير بشير ابن الامير محمد ابن الامير غصن وله الامير محمد وفي سنة ١١٨٣ توفي الامير حمد ابن الامير محمد ابن الامير حيدر ولم يولد له ذكر وفي سنة ١١٨٤ (١٧٧٠) توفي الامير اسمعيل ابن الامير يوسف ابن الامير سليم امير الغرب وعمره ست وثمانون سنة ودفن في عين عنوب ولم يولد له سوى ابنة وكان حليماً عادلاً مفرطاً في كرمه الى حد ان كاد ان ينفق جميع ماله مع ما كان عليه من السعة اذ كانت املاكه ممتدة من نهر الدامور الى نهر الكاب وكان قد تزوج بالاميرة زليخا الشهابية ولم يولد له منها ولد ثم تزوج بابنة عمه بدر السماء ابنة الامير حمد بن محمد فولد له منها بنت تزوجها الامير افندي ابن الامير بشير وادعى الامير يوسف الشهابي بعد موت الامير اسمعيل ان املاك المتوفي موصى له بها وساعدته زليخا على ذلك لانها من ذوات قرباه

فنال مرامه وخصوصاً لانه كان حاكماً تعينه سطوته على بغيته فاستولى على
جميع تلك العقارات واعطى بعضاً منها لاقاربه و بعضاً لابنه الامير اسمعيل
وفي سنة ١١٨٦ توفي الامير محمد ابن الامير بشير ابن الامير محمد ابن الامير
غصن وهو شاب ثم توفي الامير قاسم ابن الامير منصور ابن الامير حيذر
في سنة ١١٧٢ ثم توفي في سنة ١١٩٥ الامير فخر الدين ابن الامير حيذر
ابن الامير سليمان وله الامير عباس والامير يونس من زوجه السيدة سعود
الشهابية وفي سنة ١١٩٧ توفي اخوه الامير حسين ابن الامير حيذر بتولا
وفي سنة ١٢٠٥ توفي الامير على ابن الامير بشير ابن الامير محمد ابن
الامير حيذر وعمره خمسون سنة وله الامير بشير وكان شجاعاً كريماً فصيحاً
وفي السنة نفسها توفي اخوه الامير افندي بن الامير بشير وعمره خمس
واربعون سنة وولد الامير يوسف والامير قاسم فتوفي ابنه الامير يوسف في
١٢٠٩ وفي هذه السنة نفسها توفي قبل وفاته الامير اسعد والامير احمد
ابنا الامير عباس في ريعان الشباب بمرض الطاعون

وفي سنة ١٢١٠ توفي الامير بشير ابن الامير محمد ابن الامير حيذر
وعمره نحو ماية سنة وفي سنة ١٢١٦ توفي الامير حمود ابن الامير يونس
بن فخر الدين بن حيذر شاباً وذلك في قرية كفر قاهل من كورة طرابلس
وكان نجيباً ذكياً وفي سنة ١٢٢٤ توفي الامير عباس ابن الامير فخر الدين
بن حيذر بن سليمان بن فخر الدين بن يحيى بن مذحج وعمره ثماني وخمسون
سنة ودفن في الشويفات وله اربعة اولاد منصور وحيذر واحمد وامين
وكان طويلاً ابيض حسن الخلق والخُلق عاقلاً فطناً فصيحاً حضر وقائع
الجزار سنة ١٢٠٦ وبدت فيها شجاعته واتحد مع الامير بشير عمر حين قدم

والياً سنة ١٧٩٧ ولما دهمت عساكر الجزار الشويفات في سنة ١٨٠٠ وذلك لتولية ابنا الامير يوسف الشهابي النقاهم الامير عباس واخوه الامير يونس مع الامير حسن عمر الشهابي وكانوا نحو عشرة آلاف مقاتل فهزمهم الامراء وتولت الامر بعد وفاة زوجها الاميرة حبوس وذلك لذكائها وصغر اولادها واشتهرت بسداد الراي في السياسة والاغاثة للناس ولكنها كانت شديدة مع ذلك على من لم يكن من حزبها وكانت تغلظ له المعاملة وفي سنة ١٢٣٧ (١٨٢٠) توفي الامير يونس بن فخر الدين اخو الامير عباس وله من العمر ستون سنة وقد ولد حسناً وكان شجاعاً يحب مطالعة التواريخ وفي سنة ١٨٢١ مسيحية حضر الامير احمد اخو منصور وحيدر وامين وهم ولد الامير عباس وقعة المزة مع الامير بشير عمر الشهابي فامتاز بالشجاعة ولما عاد الامير بشير من مصر والياً جعله على المقاطعة وكان ذلك في سنة ١٨٢٢ مسيحية فانتقلت والدته بولديها الى بشامون وصادرها الامير المذكور بمال لها فتوفيت في تلك الاثناء وفي سنة ١٢٣٩ (١٨٢٣) توفي الامير منصور ابن الامير عباس بن فخر الدين بداء الجذام وله سليم وكان طويل القامة ابيض اللون عريض الصدر شديد البأس فارساً مغواراً ماهراً باطلاق الرصاص والمثاقفة واشتهر الامير امين والامير احمد في عدة مواقع جرت مع العرب شهرة عظيمة وكان الامير حيدر باللجاة فاراً من وجه عسكر وزير دمشق وفي سنة ١٢٤٩ (١٨٣٣) توفي الامير قاسم بن افندي بن بشير بن محمد بن حيدر بن سليمان بن فخر الدين وعمره سبع وار بعون سنة وله محمد وفي سنة ١٨٤٠ ولي الامير امين بامر من عباس باشا على الغرب الاسفل والساحل وكان للامير احمد وللامير امين في حروب

النصارى والمدافعة عن الشويفات في عدة وقائع فعال مشهورة وفي سنة ١٢٥٤ توفي الامير علي بن الامير بشير بن علي بن بشير بن محمد بن حيدر بن سليمان بن فخر الدين بتولاً ايضاً وانقطعت بوفاتها سلالة الامير بشير المعروف بابي علي وبعد سنة من وفاة الامير خليل توفي والدهما الامير بشير المكنى بابي علي وكانت وفاته في سنة ١٢٥١ (١٨٤٢) وفي هذه السنة نفسها قبض على الامير احمد وارسل الى الاستانة واتهم الامير امين بالمالئة على عمر باشا المعروف بالمجري فذهب الى الاستانة لتبرئة ساحته وتخليص اخيه وعاد في سنة ١٨٤٣ مسيحية وفي سنة ١٢٦٤ (١٨٤٧) توفي الامير احمد ابن الامير عباس بن فخر الدين في الغدير من ارض الشويفات بالداء المعروف بالريح الاصفر ودفن في مقام الامير عمرو الاوزاعي وله خليل وكان طويلاً اسمر مهيباً باسلاً حزوماً رؤوفاً محباً للسلامة سريع الرضى عالي الهمة مقداماً خاض بحر السياسة والاحكام منذ صباه واقتحم الاخطار منذ نعومة اظفاره • وفي سنة ١٢٦٩ (١٨٥٢) توفي الامير حسن ابن الامير يوسف بن فخر الدين بن حيدر في الشويفات فجأة ودفن في القبة وعمره اربع وخمسون سنة وله اربعة اولاد سعيد ومسعود وحمود ومحمود • وفي سنة ١٢٧٥ توفي الامير امين ابن الامير عباس بن فخر الدين بن حيدر وله محمد ومصطفى وفي سنة ١٢٧٩ توفي الامير محمد ابن الامير قاسم بن افندي بن بشير بن محمد منفياً في مدينة بلغراد قاعدة بلاد الصرب مع من نفي من سراة جبل لبنان على اثر الحوادث المعروفة بحوادث سنة ستين وله من العمر خمس وخمسون سنة وكان كريماً جداً ذا بسالة ومروءة وقد تزوج بابنة الامير حيدر بن عباس فلم يعقب ولداً

وفي سنة ١٢٨٥ توفي الامير محمد ابن الامير امين بن عباس بن فخر الدين في الاستانة العلية بتولاً وله من العمر احدى وثلاثون سنة · وفي سنة ١٢٨٨ توفي الامير فريد بن ملحم بن حيدر في الرابعة عشرة من سنه وفي سنة ١٢٩٢ توفي الامير حيدر بن عباس بن فخر الدين في بيروت وعمره خمس وثمانون سنة وفي سنة ١٢٩٤ توفي الامير سعيد بن حسن بن يونس بن فخر الدين في بيروت وله افندي وعمره ثماني وخمسون سنة وفي سنة١٢٩٦ توفي الامير ملحم بن حيدر بن عباس وعمره احدى وستين سنة وله مجيد ورشيد وفي سنة ١٣٠١ توفي ولده الامير رشيد بداء عصبي في عين عنوب وهو بتول وعمره ثماني وثلاثون سنة وفي سنة ١٣٠٥ توفي الامير حمود بن حسن ابن يونس بن فخر الدين في الشويفات وله من العمر ثماني وخمسون سنة وله اربعة نسيب وشكيب وحسن واحمد عادل · وكان عاقلاً كريماً جسوراً ذا همة ومروءة ومعرفة قرأ العربية على المرحوم الشيخ الامام محيي الدين بن عمر اليافي وتعلم التركية وكان يحسن الانشا ويقرض الشعر وفي ١٣٠٧ توفي الامير هاني بن عباس بن سليم بن منصور في عين عنوب في الثانية عشرة من عمره

(اما الذين اشتهروا في المتأخرين من امراء آل ارسلان فهم)

السيدة حبوس ابنة الامير بشير بن محمد بن حيدر بن سليمان بن فخر الدين بن يحيي بن مذحج بن جمال الدين احمد الذي شهد وقعة مرج دابق بين السلطان سليم وقانصوه الغوري ولدت في الشويفات من قرى لبنان سنة ١١٨٢ وكانت بمنزلة سامية من سداد الراي وشدة الذكاء وصفاء

الادراك وعلو الهمة وكرم اليد والنفس تزوجت بالامير عباس بن فخر الدين وكانت تجالس الرجال وتسطو عليهم بفصاحتها فتقودهم بافكارهـا وكانت شديدة النصرة لمن لجأ اليها فتعينه على قضاء حاجاته ولا تضن بالنفقة عليه اذا مست الحاجة الى بذلها واما من خالفها في المشرب وتحيز لضدها فكانت تبالغ في الانتقام منه حتى تفقده كل حق له بما كان لها من الكلمة النافذة عند الحكام وفي سنة ١٢٠٨ ولأَّها الامير بشير مقاطعـة الغرب فسلكت في الاعمال سلوكاً يدل على ذكائها وحذقها فلما دخل الامير بشير واخوه الامير حسين والشيخ بشير جانبلاط سجن احمد باشا الجزار بعكا امدت الامير بشيراً بالمال وسخت بالنفقة على اهل بيته وبذلت ما في وسعها لاستمالة الناس اليه ثم عندما ولى عبد الله باشا على الجبل الامير حسناً والامير سلمان من بني شهاب بعد ان اخذ منهما ميثاق ان يزيـدا له في الضريبة على الجبل رحلت هي مع الامير بشير والشيخ بشير الى حوران وكانت تحدث معهما في احوال البلاد وحاربت فيما يقال العرب لتعديهم على دروز حوران واستظهرت عليهم ولما رجع الامير بشير الى ولايته اعادها الى منصبها ولكنها في سنة ١٢٣٧ شاقت الامير بشيراً اذ سار الى مصر ليشفع في امر عبد الله باشا الذي اعتقل ثم عاد ظافراً برغوبه واتحدت مع الشيخ بشير في مقاومة الامير فصادر الامير الشيخ على امواله وعمل على قهره حتى تحققت له امانيه بالغلبة عليه سنة ١٢٤٠ فسارت هي عند ذاك الى بشامون فاوعز الامير بشير المذكور الى الامير بشير قاسم ان يصادرها على اموالها فشدد هذا عليها فلم تلبث ان ماتت بدسيسة وكان عمرها ثماني وخمسون سنة ودفنت ببشامون ولها الامير منصور

والامير احمد والامير حيدر والامير امين كما تقدم ذكر ذلك

الامير احمد ولد سنة ١٢١٣ في بشامون ولكنه نشأ في الشويفات وكان بصيراً بالامور شجاعاً وديعاً صبوراً طويل القامة اسمر مهيباً وكان لما ظفر الامير بشير بالشيخ بشير من احزاب الشيخ ففر مع اخويه الامير حيدر والامير امين الى حوران حيث مكث سنة ثم رجع فصودر على مال اداه ولبث مضطرب البال حتى انه اضطر ان يفر ذات ليلة الى طرابلس لائذاً بواليها علي باشا الاسعد المرعبي استناداً الى ما بينهما من الصداقة من قبل وقد صحبه الى بر الاناضول عندما فصل عن طرابلس ثم رجع الى عكا ولاذ بعبد الله باشا فاجرى هذا عليه وظيفة كانت تدفع اليه في كل شهر وجعله في قرية من اعمال صفد فبقي في القرية حتى جلت العساكر المصرية عن سورية وكان ذلك سنة ١٢٤٧ فرد الى الجبل حاكماً ولما قدم ابراهيم باشا بدت من الامير احمد بسالة عظيمة ولما انتصر ابراهيم باشا عاد الامير الى قونيه ثم سار منها الى الاستانة لانتصار العساكر المصرية في قونية ايضاً وفاز بالمثول لدى الصدر الاعظم فاثنى الصدر عليه وشكر له همته وبلاءه الحسن في الحرب وجعل له راتباً قدره الفاغرش في كل شهر ثم صحب العساكر المصرية ثم رجع الى بيته بعد تغيبه عنه مدة لا تقص عن سبع عشرة سنة ثم لما كان ما كان من امر الحادثة الاولى في الجبل وذلك في سنة ١٢٥٧ اعتقله عمر باشا المجري في جملة من اعتقل وسجن في بيروت فثارت الناس بعمر باشا فعزل ثم فصل الجبل الى شطرين بطريق الشام وذلك في ايام ولاية اسعد باشا سنة ١٢٥٩ فنصبه اسعد باشا في منصب قائمقام على الدروز وهو اول قائمقام عليهم ولبث في ذلك المنصب حتى جرت حوادث

١٢٦٠ فحضر شكيب افندي منفذاً من لدن الدولة العلية لاطفاء ثائرة الثورة بخلعه وجعل اخاه الامير اميناً مكانه وكان ذلك سنة ١٢٦١ فاتى بيروت واستوطنها حتى غشيها الوباء الاصفر سنة ١٢٦٤ فاتى باهله الغدير حيث توفي بالوباء نفسه وكان عمره احدى وخمسين سنة فدفن في مقام الامام الاوزاعي وكان ابنه الامير خليل طفلاً فاسف القوم عليه واحتفلوا بجنازته ورثته الشعراء وقال فيه شاعر العصر الشيخ ناصيف اليازجي تاريخاً حفر على ضريحه وهو

لقد ناحت ربى لبنان حزناً   على من كان في يده الزمامُ
امير من بني رسلان كانت   تذل له الجبابرة العظامُ
كريم قد توارى في ضريحٍ   تحف بـه الملائكة الكرامُ
فصادف ارخوه مقر مجدٍ   تجاور فيـه احمد والامامُ

سنة ١٢٦٤

الامير امين هو ابن الامير عباس بن فخر الدين بن حيدر بن سليمان بن يحيى بن مذحج بن جمال الدين احمد ولد بالشويفات ١٢٢٤ وتوفي ابوه وعمره سنتان فاعتنت به امه السيدة حبوس اكثر من اخوته بما رات فيه من مخايل النجابة وكان الاصغر بين اخوته ولما توفيت امـه رحل مع اخويه الامير حيدر والامير احمد الى عكار فراراً من الامير بشير ولجأ معهما الى علي باشا الاسعد ثم اتوا الشيخ بشير جانبلاط في راشيـا وعادوا معه الى مواطنهم ثم صحبوه الى حوران ثم الى عكار ثم عادوا الى الجبل وكان ذلك سنة ١٢٤١ وفي سنة ١٢٤٢ شهد المواقع الثلاث التي وقعت بين الامير بشير والدروز بالمختارة فلما فاز الامير بشير فر الامير امين الى حوران

وفي سنة ١٢٤٣ اتى دمشق لملاقاة علي باشا الاسعد وقد اوشك ان يقع في يد اعدائه لو لم يبدِ من الشجاعة ما مكنه من النجاة ثم صحب علي باشا الى بر الاناضول فجعله مهرداراً وقربه اليه كثيراً وعول عليه في اموره ثم قدم الامير امين دمشق مع اخويه وشهدوا ما وقع بين العرب والشمرى من المواقع وقد بلغت ثلاثاً وثلاثين موقعة في شهرٍ واحد فاشتهر الامير ببسالته فأحبه الشمرى وجعله قائداً على مائة وفي سنة ١٢٤٧ تولى المحافظة على جبة فرعون وطريق الحاج وفي سنة ١٢٤٨ رجع الى وطنه وانضم الى العساكر المصرية في محاربة عبد الله باشا وقد حضر حصار عكا ولما فتحت رجع الى وطنه وفي سنة ١٢٤٩ صحب الامير بشيراً الى دمشق لفتحها ثم عاد الى الجبل وفي سنة ١٢٥١ سار معه الى صفد لمحاربة اهلها فاشتهرت هناك بسالته وارتفع بذلك قدره وفي سنة ١٢٥٦ ارسله الامير بشير الى صيدا ثم اتى مع العسكر المصري الى بيروت وانضم الى عباس باشا الذي جاء لمحاربة اللبنانيين ولبث معه حتى انتهت الحرب فأعجبتهُ بسالته وامر الامير بشير ان يوليه مقاطعة الارسلانيين فولاه الغرب الاسفل والساحل ثم جاء بيروت ودخل في طاعة قائد العسكر العثماني عزت باشا فوجهه القائد مع زكريا باشا الى يافا ولما كانت سنة ١٢٥٧ امره مصطفى باشا سرعسكر الدولة حين قدم لبنان لتمهيد احواله ان يصحب عمر باشا المجري الى بيت الدين واوعز الى عمر باشا ان يعول عليه ولكن الامير لم يلبث ان عاد الى الشويفات وفي سنة ١٢٥٨ جعله السرعسكر قائداً لسبعمائة جندي ثم أُتهم بعد رجوع السرعسكر الى الاستانة انه زين للدروز محاربة عمر باشا فقصد الاستانة بطريق

بغداد وسطا عليه العرب في الطريق مرارًا ووقعت له معهم واقعات كثيرة ذاق فيها الوانًا من الاهوال فوصل بغداد في احد عشر رجلاً ممن يركن اليهم فاكرم والي المدينة نجيب باشا وفادته وسأله ان يكون رئيسًا للجند فأبى واستأذنه في المسير الى الاستانة فاذن له وسلحه بكتب الى بنيه يوصيهم به ولما كانت السنة التالية سنة ١٢٥٩ رجع الامير الى موطنه ومعه كتب مؤذنة بالرضى عنه وفي سنة ١٢٦١ ولاه شكيب افندي قائمقامية الدروز في القسم الجنوبي من لبنان وذلك بعد اخيه الامير احمد فلبث في منصبه حتى توفاه الله وفي سنة ١٢٦٦ احسن اليه برتبة اصطبل عامره مع نيشان مرصع وسنة ١٢٧٠ ذهب الى الاستانة حيث اقام نصف سنة ثم عاد وقد صفا له الكأس وراق العيش فتنافست في مدحه الشعراء ومن احسن ما قيل فيه من المديح منظومات الشيخ ناصيف اليازجي فيه التي طبعت في ديوان الشيخ (نفحة الريحان) وكان الامير كثير البر بالشيخ وبغيره من الشعراء الذين مدحوه وفي الايام الاخيرة من سنة ١٢٧٤ اصيب بذات الرئة فاتي بعائلته الى مقام الامام الاوزاعي رغبة في تبديل الهواء فتوفي ليلة عيد الفطر سنة ١٢٧٥ وكان عمره خمسين سنة ونيفًا ودفن هناك واما مدة ولايته فكانت ثلاث عشرة سنة وكان شجاعًا مهيبًا حليمًا كريمًا فصيحًا شديد الذكاء يحب العلم واهل العلم ويبالغ في اكرامهم ويكثر لهم الحباء ولذلك كثر فيه مدحهم • الامير حيدر اخو الامير امين ولد سنة ١٢١١ بالشويات ونشا بها وكان كلفًا بطلب العلم قرأ علم الفلك والاصطرلاب وبرع في المنطق والفقه والصرف والنحو وكان ورعًا في الدين حسن السريرة سخيًا في المعيشة ولما قبض على الشيخ بشير وكان

الامير من حزبه التمس هذا الامر من الامير بشير الشهابي بالعود الى وطنه وذلك سنة ١٢٤١ فسمح له ولكن على شرط ان يؤدي اربعين الف غرش فباع قسماً من املاكه ودفع اليه ثمنها واذ بلغ الامير بشيراً انه امدَّ اولاً الشيخ بشير بالمال صادره على عشرين الف غرش فأيقن اذ ذلك ان لا تصفو له المعيشة في لبنان ففر مع اخويه الامير امين والامير احمد وصحبهما اينما كانا فناله ما نالهما ثم عاد الامير بشير فأمر ان ترد اليه املاكه ومتعه بالراحة والامان فرجع واقام بالشويفات ولما كانت سنة ١٢٥٩ استقدمه اليه اسعد باشا وقرأ عليه بعض الفنون وكان يحترمه كثيراً وفي سنة ١٢٨١ جعله داود باشا وهو رأس المتصرفين للبنان مديراً للغرب الاقصى وفي سنة ١٢٨٤ احسن اليه بالوسام المجيدي من الدرجة الرابعة ولما عزل ابنه الامير ملحم عن قائمقامية الشوف اتى بعياله بيروت واستوطنها حتى توفي فيها سنة ١٢٩٣ عن اثنتين وثمانين سنة فنقل الى الشويفات ودفن فيها بما يليق به من التجلة والاكرام ولم يعقب من الولد الا الامير ملحماً وكان يحب العلم واهل العلم ويرتاح الى المحاضرة والمناظرة وقضى ايامه الاخيرة بالرفاهية والراحة وكان حلو الحديث لطيف العشرة حسن الطية كثير الصدقات وكان له شعر رقيق . الامير ملحم ابن الامير حيدر ولد بالشويفات سنة ١٢٣٦ ونشأ فيها وطلب العلم فكان له المام بالفرائض والنحو والحساب وغير ذلك من العلوم واما الفقه فاخذ منه نصيباً كبيراً ونظم فيه ارجوزة حسنة ضمنها احكام السلَم ونظم رقيق الاشعار ولما كانت حادثة الجبل الاخيرة المعروفة بحادثة سنة ستين لم يكن له فيها يد الا في مساعدة المصابين ووقاية اهل وطنه ولا سيما النصارى منهم فاحبه

الناس وازدادت ثقتهم به ولما قدم المغفور له فواد باشا الى هذه الديار منفذاً من لدن الدولة العلية لاطفاء نيران الثورة استحضره في جملة من استحضر الى بيروت فسجن اربعة اشهر ولكن النصارى جهروا بالمحاماة عنه فخلي سبيله وردت اليه املاكه ولما قدم المغفور له داود باشا متصرفاً على لبنان نصبه مديراً على ناحية الشوف بعد ان وثق من شهادة القوم فيه انه حسن التصرف كفوء لذلك فقام باعباء منصبه خير قيام واحبه المتصرف وقربه اليه وعول عليه ثم احسن اليه برتبة اصطبل عامره مع وسام مجيدي من الدرجة الرابعة مكافأة له على صدق خدمته وكان ذلك سنة ١٢٨٠ فازدادت بذلك رغبته في تحسين ادارة الاحكام فوجهت اليه الرتبة الثانية المتمائزة مع الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة سنة ١٢٨٤ ولما قدم المغفور له فرانقو باشا متصرفاً على لبنان خلفاً لداود باشا اقره في منصبه وفي سنة ١٢٧٦ احسن اليه بالرتبة الاولى من الصنف الثاني ولما ولي المغفور له رستم باشا متصرفية الجبل عزله عن قائمقامية الشوف وجعل الامير مصطفى ابن الامير امين في منصبه وكان ذلك سنة ١٢٨٩ وكانت مدته في خدمة الحكومة اثنتا عشرة سنة واتى بعياله الى بيروت ثم توفي بالشويفات ودفن بها وكان ذلك عام ١٢٩٦

الامير محمد هو ابن الامير امين ولد بالشويفات سنة ١٢٤٤ وطلب العلم مشغوفاً به فاعتنى ابوه بامر تعليمه وتثقيفه للاحكام منذ نعومة اظفاره بما راى فيه من الاستعداد فقرأ العربية واتقن معرفة اللغة التركية ثم درس الفرنسية فاجادفيها ونال شيئاً من فن تصوير اليد وتصوير الشمس ونظم في صبائه اشعاراً لطيفة ولما ادرك الخامسة عشرة من عمره تولى ادارة الغرب

الاقصى تحت سيطرة ابيه وفي سنة ١٢٦٨ اعطي رتبة قبوجي باشي وفي سنة ١٢٧٤ عهد اليه ان يكون وكيلاً للقائمقامية لاعتلال ابيه ولما توفي ابوه في السنة التالية صار هو في المنصب اصيلاً واحسن اليه برتبة اصطبل عامره و بعد ان وقعت الفتنة الاخيرة في لبنان بين الدروز والنصارى اتى بعياله بيروت واستوطنها وانقطع للمطالعة والتاليف ولما كانت سنة ١٢٨٥ انشأ الجمعية العلمية السورية ببيروت ثم وجهت اليه في هذه السنة نفسها الرتبة الاولى وجعل عضواً لمجلس شورى الدولة فسار الى الاستانة ونال بواسطة اصدقائه اعتبار رجال الدولة العلية وسفراء الدول له فصار بذلك نـافذ الكلمة مرعي الجانب ولكنه اصيب هناك بمرض في قلبه توفي بـه وكانت وفاته في رمضان سنة ١٢٨٥ وعمره احدى وثلاثون سنة و بضعة اشهر ودفن في تربة السلطان ايوب وكان بعيد المدارك حكيماً متوقد الذهن حازماً في اعماله بارعاً في العلوم وله من التآليف اختبار الاخبار في احوال التاريخ وتشحيذ الاذهان في المنطق والكلمة في الصرف والنحو وحقائق النعمة في طول الحكمة والمسامرة في المناظرة وبديع الالباب في التصريف والاعراب وتعديل الافكار في تقويم الاشعار وتوجيه الطلاب في علم الاداب وسر الافكار في النحو . والاجل في الاعراب ورواية فرح بن سرور والتحفة الرشدية في اللغة التركية وتماثيل الاحوال في مبادي الاعمال وعظمة وسقوط العرب ولكن المنية ادركته قبل استيفاء الاخرين من تاليفه وهما من احسن ما كتب في التاريخ والاداب ولم يطبع من هذه التآليف الا التحفة الرشدية

الامراء اللمعيون

ذكرنا فيما تقدم التنوخيين ثم الارسلانيين منهم وها نحن الان مثبتون ذكر اللمعيين عملاً بانتساق المطلوب في التواريخ وذلك لان هولاء الامراء من قبيلة اشتهرت بين القبائل التنوخية التي جاءت من انحاء حلب كما تقدم تفصيل ذلك في موضعه وهذه القبيلة هي قبيلة بني فوارس قدم هولاء في سنة ٨٢١ بعد المسيح من انحاء حلب الى لبنان فجاؤوا المتن ونصبوا فيها خيامهم ثم توطنوا ذلك المكان واستعمروا الارض ونموا فصاروا خلقاً كثيراً ثم علا شأنهم وعظم جاههم فانضم اليهم اعوان كثيرون ووقعت مهابتهم في قلوب مجاوريهم فاتخذوا لانفسهم لقب مقدمين وفي اواسط القرن السادس عشر استوطن احد هؤلاء المقدمين المكنى بابي اللمع قرية كفرسلوان و بنى على تل فيها داراً حسنة وولد له ولدان علم الدين وقايدبيه فعلم الدين ولد حسيناً وحسين ولد محمداً ومحمد ولد مراداً وفارساً فصار قايد بيه ومراد وفارس رؤساء اسر كبيرة كل منهم ريس اسرته . ثم ذهب مراد الى المتين فاستوطنها وبنى فيها قلعة وبنى اولاده قلعتين في قرنايل وفالوغا واتى قايد بيه صليما وبنى فيها قلعة وبنى اولاده قلعة برمانا واما فارس فاتى الى زوق الخراب اولاً ثم الى بسكنتا وتوطنها واما ابو اللمع فوقعت بينه و بين مقدمي الشبابية بني الصواف عدواة افضت الى تغلبه عليهم حتى انقرضوا وفي سنه ١٦٥٢ توفي فدفن في المتين ثم توفي بعده ابنه المقدم علم الدين فدفن هناك وفي سنة ١٦٥٦ ولى والي طرابلس محمد اغا الطباخ المقدم فارساً على جبة بشري وفي سنة ١٦٥٩ جعل قبلان باشا المقدم فارس مراد على عكار

وفي سنة ١٧١١ قدم الامير حيذر الشهابي من انحاء نيحا بقضا الشوف يريد ان يقاتل محمود باشا ابا هرموش الدرزي الذي تولى مكانه فنزل الامير على المقدم حسين من سلالة المقدم علم الدين اللمعي في راس المتن فوفد عليه احد احفاد المقدم مراد والمقدم عبدالله اللمعيان في جمهور غفير من رجالهما وسائر احزاب القيسيين فشاورهم الامير في الامر فراى المقدم مراد الانصراف من وجه عساكر الوزراء الى كسروان لان محمود باشا كان قد احتشد عسكره بعين دارة ووافاه وزير دمشق بعسكره الى قب الياس ووزير صيدا بعسكره الى ضواحي بيروت فانكر الباقون هذا الراي ووطنوا نفوسهم على النهوض الى عين دارة فدهموها ليلاً فدخلها المقدم عبدالله والمقدم حسين اولاً فظفر المقدم حسين بابن الصواف صاحب المتن اليمني عدوه فقتله وقتل ثلثة من امراء اليمنية وانتصرت القيسية على اليمنية انتصاراً عظيماً وقبضوا على محمود باشا واتفق بعد انتهاء القتال ان دخل رجل على المقدم حسين وخاطبه جريا على العادة بلقبه لقب المقدم فغضب حسين عليه غضباً شديداً ويده الى سيفه وهو يقول أأقتل ثلاثة امراء ويقال لي مقدم وفي ذلك الحين اطلق الامير حيذر على المقدمين اللمعيين لقب امير وتزوج منهم وازوجهم فتزوج بنت الامير حسين فولدله منها الامير بشير الملقب بالسمين وازوج بنته من الامير عساف ابن الامير حسين واقطعه قاطع بيت شباب وبكفيا ثم تزوج من ام الامير مراد واقطعه نصف المتن وبسكنتا فولد له منها الامير عمر جد الامير بشير الكبير الوالي الذي سيجيء تفصيل حياته فيما بعد عند ذكر الامراء الشهابيين وازوج بنته من الامير عبدالله واحبه كثيراً بما شهد منه يوم وقعة عين دارة من البسالة وشدة البأس

ان الدروز قد احرقوا في الحروب التي انتشبت بينهم وبين النصارى سنة ١٨٢٥ غالب القلاع التي بناها الامراء اللمعيون ولما تمكنت العداوة بين الطائفتين طلب بعض النصارى من الامراء اللمعيين ان يتحدوا معهم لمحاربة الدروز حرباً شديدة وكان الامير موسى حينئذٍ رأس اللمعيين فاجابهم هذا الامير انني لا اشترك في حرب تفضي الى خراب البلاد وليس من داعٍ يدعو اليها الا الاختلاف في المذهب وهذا ليس من حدود البشر ان يتصدوا له فالح القوم عليه ان يتحد معهم وعرضوا عليه ان يستلم القيادة فيهم فأبى إباءةً شديدة ولم يذعن لهم في شيء فسخطوا عليه سخطاً شديداً وخرجوا من مجلسه وهم يقذفون عليه الشتم والسباب وملأوا داره تهديداً ووعيداً مقسمين ان ينتقموا منه فاوجس الامير خيفة وذهب في جماعةٍ من رجاله الى قرنايل حيث كان الباشا العثماني واطلع هذا الباشا على دخيلة الامر وسأله ان يمده بعدد من الجنود ليصد هجوم الثائرين فاجاب الباشا سؤله وجهزه بعدد من جيشهِ فسار بهم ولكن لم يبغ بهم ضواحي قرية المتين حتى رأى بعينه الدخان متصاعداً من قلعتـه ودوره لان المنتقمين كانوا قد اضرموا فيها النار واركنوا الى الفرار . ثم مال النصارى بعد ذلك الى الامير حيدر من سلالة المقدم قايد بيه اللمعي وقد تنصر هذا الامير وهو في الثانية عشرة من عمره وتلقى في مدارس الرهبان المارونيين العلوم اللاهوتية والادبية واحبه الناس كثيراً لانهم زعموا انه ينتقم لهم من الدروز ولكن الامير لم يكن ميالاً للحروب وسفك الدماء فجاء بكفيا وبنى فيها قلعةً وداراً عظيمة وكان جواداً كريماً محباً للسلام كارهاً للفتن والدسائس فاكتسب ثقة عددٍ كبير من الناس به ولكن البعض من

المولعين بسفك الدماء لم يرضوا عنه فوشوا به الى الامير بشير عمر الشهابي الوالي الملقب بالكبير ولم يكفوا عن السعاية فيه لديه حتى اوغروا صدره عليه ولما حدثت الفتنة المعروفة بفتنة سنة ١٨٤٠ اعتقد الامير بشير ان الامير حيدر كان البادىء بها والمسبب لها فارسل ليستقدمه اليه بكتاب لطيف مملوء من عبارات المجاملة والملاطفة فلما قرأ الامير حيدر تلك الرسالة سار للحال في عدد من اعوانه الى بيت الدين لمقابلة الامير بشير فلما بلغها أمر به فقيدوه بيديه ورجليه ثم نفاه في الحال في جملة غيره من المنفيين الى مصر ولما دنا المنفيون من صيدا امر بهم الضابط المصري فوقفوا بين يديه وجعلوا على شاطىء البحر صفاً واحداً ثم امر الضابط جنوده فجعلوا بنادقهم الى اكتافهم مصوبة افواهها الى رؤوس المنفيين وصدورهم فاثر هذا المنظر المخيف في الامير حيدر اثراً كبيراً وذلك فوق ما عانى في الطريق من المشاق والعذاب وآلام القيود · ثم سار الضابط وجنده بالاسرى الى مصر ومنها الى سنار ولبثوا اكثر من شهرين ينتقلون ارتحالاً على ضفاف النيل وقاسى الامير حيدر من المهانة وضرب السياط واثقال القيود والآلام ما لا يوصف وسطت عليه اخيراً حمى خبيثة كادت تذهب بحياته واذ بلغ الحكومة الانكليزية في تلك الايام ما حل بالامير سعت جهدها لاخلاء سبيله وارجاعه الى دياره فكان لها ذلك وعاد الامير

وفي اوائل سنة ١٨٤٢ استقدم اسعد باشا الامير حيدر اليه وولاّه على نصارى لبنان من نهر ابراهيم الى غاية الاعمال الجنوبية ودعاه قائم

مقام النصارى وجعل على بلاد جبيل وما يليها ويتبعها من القرى والانحاء واليًا مسلمًا وجعل الامير احمد عباس الارسلاني قائم مقام على الدروز ثم وقع اختلاف بسبب المختلطين من النصارى بالدروز ومن الدروز بالنصارى في كل من القائمقاميتين فرفع الوزير امر ذلك الى الدولة فامرت بقسمة البلاد فجعلت سكة دمشق فاصلة بينهما بحيث كل قائمقام منهما يدير امر من اشتملت قائمقاميته عليهم من دروز ونصارى واما دير القمر فانفذ اليها حاكمًا من الدولة ودعي مسلمًا ولكن ذلك لم يسكن الخواطر الثائرة ولا سيما من النصارى الذين لم ينفكوا عن الاستعداد ليثأروا من الدروز عما نالهم منهم فجعلوا على كل قرية رأسًا وفي بعض الاماكن اكثر من رأس وسموا هولاء الروؤس شيوخ شباب وجعلوا يشترون الاسلحة والذخائر لما متربصين باخوانهم شر الوقيعة فكثرت اسباب القتل والسلب

ولما كانت سنه ١٨٤٤ ضمت بلاد جبيل الى قائمقامية الامير حيذر ثم التمس نصارى هذه القائمقامية من الدولة العلية ان تأمر باجراء المساحة على البلاد وذلك لان بعض الولاة من آل شهاب كانوا قد بدلوا في الاموال المضروبة على العقارات فحولوا بعضًا منها عن عقار الى عقار فاجابت الدولة العلية التماسهم وامرت باجراء المساحة فاجتمع رجال الديوانين ووكلاء البلاد في بيروت وانتخبوا مقومين وكتبة ونظارًا وعينوا لكل منهم راتبًا عشرين غرشًا عن كل يوم توخذ من القرى على ان تكون فرضًا مما عليها من الاموال الاميرية وقسم عمال المساحة هولاء الى ست فيئات كل فيئة ثمانية عمال

ووجهوهم الى البلاد لاجراء المساحة فاستوفوا ذلك الاجراء في مدة ثلاثة اشهر ولكن المساحة كانت فاسدة ولما بلغ المساحون جبة بشرة طلع عليهم اهلها وطردوهم فارسل الامير يسترضي هولاء القوم حتى امتثلوا لامره في مسألة المساحة فرجع اليهم المساحون ومسحوا ارضهم ولما تحقق لدى اهل المعرفة ان الدفاتر التي دونت فيها المساحة مختلة نبذوها · وفي تلك السنة نفسها اتفق بعض الامراء من الشهابيين ومن اللمعيين مع بعض الشيوخ من شيوخ الدروز على ان يستخلصوا البقاع من والي دمشق فجهزوا رجالاً وسيروهم الى قب الياس فلما بلغ ذلك الوزير وجه عليهم قائداً في مائتي فارس وكان القائد يقال له السيناوي وربما كان السيدناوي فالتقاه اللبنانيون بير الياس وجرت هناك موقعة شديدة هزم بها السيناوي ففر الى دمشق وقتل من عسكره سبعة عشر فارساً فغضب الوزير وجهز سبعماية فارس وجعل عليها قائداً يدعى بوزو الكردي فارسل الامراء الشهابيون الامير اسمعيل علي واللمعيون ارسلوا اربعة منهم وسار كذلك الشيخ خطار العماد وبعض من الشيوخ فاجتمعوا في قب الياس ولكنهم لم يتفقوا على مقاتلة ذلك القائد بل اكتفوا ان استحصل كل منهم على غلات من غربي البقاع ومن اكثر السهل اخذوها عنوةً ثم عادوا الى مواطنهم · ولما كانت سنة ١٨٤٥ اخذت الفتن ان تجري مجراها بين الدروز والنصارى ووقع السلب والقتل وقطع الطريق وكان اذ ذاك قد عزل اسعد باشا وجعل وجيهي باشا في مكانه فكان كلما رفعت اليه شكوى من الدروز على النصارى ارسل عسكراً لمعاقبة المعتدين والاقتصاص منهم فجعل في قرية عبيه ماية جندي وبكفرشيما ماية وبالحدث خمسين ولما عقد النصارى عزمهم

على اضرام نيران الحرب انفذ التلاحقة الى الامير ملحم رسولاً يصدفه عن الحرب فابى فلما كان اخر نيسان لقي بعض النصارى من اهل المعلقة شرذمة من الدروز عند الناعمة يخفرون ذخيرة لابناء قومهم فقاتلهم النصارى وهزموهم واستصرخ كل من الفريقين اصحابه فبلغ الصوت المعلقـة و بلغ دروز الغربين وظل النصارى في اثرهم حتى بلغوا ضواحي عرمون وقتل من الدروز ثمانية رجال فالتقتهم دروز الغربين هنالك فحميت نار القتال فانهزم النصارى الى الناعمة وقتل الامير اسعد حمود وثلثة نفر فدخلت الدروز دير الناعمة ونهبوا ما به فانحدر اليهم فريق من نصارى عبيه وهزموهم واستخلصوا منهم ما نهبوا وقتلوا منهم رجلين فانكفأت الدروز الى عرمون ولما بلغ اهل الساحل صوت البارود هب بعض النصارى منهم الى اعانة ابناء مذهبهم و بينما هم في الطريق اذا قايد في شرذمة من الجند النظامي والامير بشير احمد اللمعي والامير امين ارسلان ادركوهم فصدوهم عن المسير عنوةً وقبض القائد على ستة عشر رجلاً منهم فانتزع سلاحهم من ايديهم وعاد بهم الى بيروت فجعلوا في السجن ففشي لذلك الرعب في النصارى من اهل الساحل وفي ذلك اليوم نفسه بعث رئيس الجند الذي في عبيه خمسين نفراً الى عين كسور في طلب الامير عبد الله قاسم ومن معه من النصارى ليمسكهم عنده في عبيه عن مقاتلة الدروز ثم ان عشرين رجلاً خرجوا في اول اذار من دير القمر يريدون اصلاء الحرب على الدروز وجعلوا يلقون الهياج في قلوب النصارى فانضم اليهم جماعة من الجرد واضطرمت نيران الحرب بينهم وبين الدروز في معصريتا فانهزمت الدروز الى بتاتر فاحرق النصارى بعض معصريتا ثم تجمعت الدروز فارتدت

على النصارى فهزمتها واحرقت دير سير وشوريت وقفت اثر النصارى حتى رشميا فلجأ بعضهم الى الحصار في القرية وولى الباقون منهزمين الى دير القمر فاحرقت الدروز بعض بيوت من رشميا وكانت جملة القتلى ثلثة عشر رجلاً من النصارى واربعة عشر رجلاً من الدروز واما اهل المناصف والشحار من الدروز فلما نمي اليهم ذلك خفوا لمساعدة اصحابهم فوصلوا كفرقطرا ولما اتصل واقع الحال بقائد العسكر في دير القمر سير من عسكره فرقتين لمنع الحرب واذ كان المنهزمون قد بلغوا كفرقطرا التقوا عندها بتلك النجدة لاعدائهم الدروز فشبت نار الحرب بين الفريقين فقتل من النصارى سبعة رجال وكان اذ ذلك قد وصلت احدى فرقتي القائد المذكور فقبض على خمسة وخمسين رجلاً من المنهزمين ونزعت منهم سلاحهم عنوةً وجرحت بعضهم بالحراب ثم عادت بهم الى دير القمر فزجهم القائد في السجن ونزع منهم سلاحهم ودفعهم الى الدروز جزاء لهم بما القوه من الهياج بين اهل البلاد طلباً للمحاربة الا انه في اليوم الثاني خلى سبيلهم ويومئذٍ سار النصارى من اهل الساحل الاعلى الى الغرب الاعلى يريدون مقاتلة الدروز من اهله فادركهم القائد الذي كان بكفرشيما عند جمهور وصدهم عن بغيتهم فعند ذلك كتب الدروز الى الشيخ نصيف ابي نكد بحوران يخبرونه بواقع الحال من طلوع النصارى عليهم وسألوه ان ينجدهم بالرجال وكتبوا مثل ذلك الى الشيخ خطار العماد وفي اليوم الثاني اجتمعت دروز المتن وسطوا على النصارى بحمانا والشبانيه وراس الحرف وبعض انحاء المتن وهزموهم ثم احرقوا مساكنهم وقتلوا بعضاً منهم واحرقوا دير الكحلونيه بعد ان قتلوا ثلاثة من رهبانه ونهبوا ما بالدير من الاشياء ويومئذٍ

سار الامير قيس ملحم لمحاربة دروز الغرب الاعلى في ماية وخمسين رجلاً من بعبدا وبعض من اهل الجرد وكان معه اخوه الامير حيدر ولما بلغ الامير سلمان ذلك سار لمعونته في ماية رجل من اهل الحدث وكان معه ولده الامير قاسم والامير فارس سعد واذ احس اهل كفرشيما بانطلاق الرجال للمحاربة تفلت منهم البعض خفية عن القائد وساروا لمقاتلة دروز عين عنوب وتوجه كذلك لمحاربتهم الامير احمد سلمان في جماعة من قومه فلما بلغ الامير قيس خان الكحالة وجه الجرديين الى عين الرمانة ليلهوبهم دروز عاليه ثم طلع بمن معه جبل الكحالة فالتقاه الشيخ محمود تلحوق واخوه الشيخ ناصيف في اهل عاليه من الدروز والنصارى فاضطرمت بينهما نار الحرب فولى الدروز منهزمين وكان الامير قيس في مقدمة الهاجمين عليهم فلعبت براسه النخوة فاوغل في الهجوم عليهم حتى اصبح فريداً وعندئذٍ لم الدروز شعثهم متجمعين واما الامير سلمان فبلغ وادي شحرور واستنهض اهلها فلم يجيبوه بل اركنوا الى الفرار بعيالهم ومن تفلت من اهل كفرشيما قد التقوا بدروز عين عنوب عند بسابا فاقتتلوا هنالك والامير احمد سلمان بلغ محلة جمهور واهل الساحل اللويزة واما دروز عاليه فلما رأوا الامير قيساً منقطعاً عن قومه هجموا عليهم وهزموهم وقفوا اثرهم حتى خان الكحالة واما الجرديون فوقفوا في وجه الدروز عند عين الرمانة وقاتلوهم قتالاً شديداً ولبثت الحرب مستعرة نارها والغلبة مرة لهولاء ومرة لهولاء حتى فشل النصارى وانهزموا الى بيروت فنهبت الدروز الوادي وبعبدا والحارة واحرقوا بعض بيوت من القرية بعبدا فمنع الشيخ حسين تلحوق الناس عن الحريق اما الامير قيس ففر بفارسين من جماعته الى عاريا فالحازميه ثم عاد الى الحدث

وسار في نفر منها الى بعبدا ولم يستقر بها حتى اقبل قائد الهوارة بجماعته ليكف الدروز فلما احس الدروز به انقلبوا الى الغربين واما الهوارة فسلكوا سبيل النهب والسلب ٠ اما القتلى من النصارى فكانوا الامير قاسم علي واربعة عشر رجلاً واما من الدروز فخمسة رجال واما نصارى اقليم جزين فاتوا الشوف حيث وافاهم ابو سمرا البكاسيني في جماعة من نصارى غربي البقاع والامير حسن اسعد من انحاء صيدا في جماعة من النصارى وقاتلوا دروز الشوف فهزموهم وفرّ بعضهم الى بيت الدين يستغيثون بداود باشا فاغاثهم وصحبهم بعسكر وكانت النصارى قد احرقت من قرى الشوف باثر ومرستا ومعاصر المختار وجباع والخربه وحارة الجنادلة وعارية و بعذران ونيحا و بينما كانوا بعين ماطور وقد احرقوا بعضها اذا بالعسكر العثماني يتبعه الشيخ سعيد جنبلاط ورجاله فلما رآهم النصارى ولوا من وجوههم فامسك قائد العسكر اربعين رجلاً من النصارى ونزع منهم سلاحهم وارسلهم ليسجنوا بدير القمر فانصرف كل الى مكانه واما الدروز فحنقوا مما اتاه النصارى في الشوف و بعثوا الى الامير احمد ارسلان يخبرونه بما جرى لهم و يسألونه ان يستغيث بالوزير في بيروت وفي اثناء ذلك اتى مايتا رجل من اهل زحلة الى حمى كفرسلوان ففرّ الدروز من اهلها ثم انضم الى الزحليين بعض نصارى المتن فانقسموا فرقتين فرقة منهم سارت الى فالوغا بعد ان احرقت حارة المقدم الدرزي في حمانا ففرّ الدروز من اهل فالوغا الى القلعة فنهبها النصارى واحرقوها وساروا في اثرهم الى القلعة ففروا منها الى بتخنيه فتبعوهم بعد ان احرقوا القلعة ففروا من هذه ايضاً فاحرقها النصارى واما الفرقة الثانية فنهبت كفرسلوان واحرقتها و بينما كان النصارى

مشتغلين بالنهب والسلب لمّ الدروز شعثهم وهجموا عليهم وهزموهم وتجمعت الدروز في قرنايل وارسلوا يستغيثون بالدولة العلية فوطن الوزير في بيروت نفسه عندئذٍ على النهوض الى المتن لاطفاء نار الحرب وكتب الى ارباب المناصب ان يوافوه الى خان الحصين للمداولة في اتخاذ التدابير اللازمة لنيل تلك البغية · واما دروز الشويفات وضواحيها فقصدوا حارة حريك وانضم اليهم المتاولة هنالك ثم هجموا على نصارى هاته القرية وانتشبت بين الفريقين نيران القتال وكان غالب نصارى الساحل الاعلى مجتمعين عند الشياح الاعلى خاملين فثارت الحماسة والنخوة في راس فارس منهم من اهل بعبدا فاندفع في نفر من جماعته على الدروز فالتقته فوارسهم فحمل على كبير منهم فجندله فتفرقوا ولكن اصيب هذا الفارس برصاص فعاد الى قومه فلما رأوه راجعاً انهزموا وولى كل الى محله فقتل يومئذٍ من الدروز اربعة رجال ومن النصارى ثلثة وكان المتاولة يحرقون اكواخ دود الحرير اما الوزير فوجه شرذمة من عسكره الى حارة حريك وسار بمعظم العسكر الى خان الحصين واما الامير موسى نصر اللمعي واخوه الامير سلمان فبرحا داريهما في المتين الى قرنايل واعتصبا مع الدروز فنهبت النصارى داريهما واحرقتهما اما الوزير فتقدم الى ارض المديرج وارسل ثلاثمائة رجل من عسكره الى قرنايل ليكونوا عند الدروز من اهلها فيمنعوا هجوم النصارى عليها وارسل ايضاً فريقاً من عسكره الى عين داره والى قب الياس يصد النصارى عن المحاربة ثم ان الشيخ حمود ابا نكد سير جماعة من الدروز ليلاً الى عبيه لمحاربة الامراء والنصارى فيها فدخلوها وكمنوا عند اخوانهم الدروز من اهلها وقد اجمع رأيهم على انهم يأخذونهم بالمكيدة وذلك بان يقتلوا واحداً منهم في

ظاهر القرية فيخرج النصارى اليه فتقع القرية اذ ذلك في يدهم وكمن الشيخ المشار اليه في كفرمتى فلم تنفذ المكيدة في النصارى ولما يئس الدروز من اخراجهم الى ظاهر القرية اندفعوا عليهم باطلاق الرصاص من كل صوب نخف النصارى الى اخذ سلاحهم من دور الامراء لان قائد العسكر كان قد منع عنهم السلاح ولما رأوا ان المفاجئين لهم كثيرون وانهم قد دهموهم من جميع الانحاء آثروا الاحتشاد في دور الامراء والتحرز فيها وكان عددهم لا يزيد عن اثنين وستين رجلاً وعدد الدروز زهاء ثلاثة آلاف ومعهم نزر من النصارى واطبقوا على الامراء والنصارى من كل صوب فثبت هؤلاء في موقف الدفاع يطلقون الرصاص بنخوة شديدة حتى ردوهم بعد ان اصابوا برصاصهم بعضاً منهم فاضطر الدروز ان ينقلبوا الى ما وراء الجدران والاشجار متحرزين ثم جعلوا يحرقون بيوت الموارنة في القرية ومعهم جماعة من النصارى ثم ان اهل معلقة الدامور قدموا الى عبيه ومعهم اربعون رجلاً من الموارنة العبيهيين كانوا في المعلقة فلما بلغوا دقون قصد الاربعون بعورتا فاحرقوها بعد ان بددوا شمل من كان بها من الدروز ثم اتوا دقون فالتقاهم فريق من الدروز فاشتعلت نيران الحرب بين الفريقين فانهزم النصارى بعد ان كان قد قتل منهم ثمانية رجال فمنهم من ذهب الى صيدا ومنهم من ذهب الى بيروت واما الحرب في عبيه فلبثت اثنتي عشرة ساعة ثم ورد على الدروز من ابناءهم بان نصارى المتن قد كسروا الدروز الى قرب عاليه وفي اثناء ذلك وصلت رسل من لدن الوزير وداود باشا فسكنت الحرب اما عدد القتلى فكان ثمانية رجال من النصارى وثمانية وعشرين من الدروز وقد

نهبت الدروز دير الكبوجية واحرقوه وقتلوا واحداً من الاباء الفرنسيين كان مقيماً به واحرقوا جثته وقتلوا معه شماسه وتلميذه وقسيساً مارونياً كان قد لجأ الى ذلك الدير

وبينما كان الدروز في عبيه مقيمين على حصر الامراء والموارنة اتى قائد عسكر من دير القمر فامر باطراح الحرب فسأله الامراء ان يكف الدروز عن الحصار فكفهم وارسل ليستحضر لديه الامير اسعد والامير عبد الله موعزاً اليهما بانهما ان لم يمثلا لديه عاون الدروز عليهما فخرج الاميران اليه مسلمين فاخذ اسلحة جماعتهما

وبعد يومين من ذلك ارسل القائد الامراء وجماعتهم الى صيداء مخفورين بنفر من عسكره وما خرجوا من القرية حتى التقوا بالجنرال روز الانكليزي قادماً اليهم من بيروت يتبعه بعض الشيوخ من الدروز فسألهم ان يسيروا معه الى بيروت فساروا وبعد ذلك ببضعة ايام انحدر الامير موسى اللمعي من قرنايل الى العربانية في جماعة من الدروز واحرق بعض البيوت من هاته القرية الا ان اهلها من النصارى ثبتوا في موقف الدفاع حتى اتتهم نجدة من نصارى بعبدات فاشتدت اذ ذلك الحرب بين الفريقين فانهزمت الدروز الى صليما حيث تجمعوا وعادوا الى المحاربة فانهزموا ايضاً ولجأوا الى قرنايل ليحتموا بها فلما رآهم النصارى المجتمعون حول هاته القرية من اهل العرقوب وكسروان هجموا على القرية هجمة عنيفة ففر الدروز منها وقد قتل منهم عدد ليس بقليل وتعقبهم النصارى حتى العبادية واحرقوا مساكنهم في صليما والراس وارصون وقرنايل ولما ايقن الدروز ان قوة النصارى في المتن كبيرة ذهبوا الى المختارة فقصد بهم الشيخ سعيد

جانبلاط قرية سغبين وحارب النصارى هنالك فانهزموا الى الى زحلة بعد ان قتل منهم ثمانية رجال واما الدروز فلم يقتل منهم الاربعة فاحرقت الدروز قرية سغبين وعادوا الى المختارة ثم ذهب بهم الشيخ سعيد المشار اليه الى بكاسين وجزين حيث جرت لهم عدة مواقع مع النصارى وهنالك انتصروا فيها فهزموهم ونهبوا مساكنهم واحرقوها وقتل من النصارى الامير حسن اسعد وثلثون رجلاً من اصحابه فلجأت النصارى الى الجبال فتبعتهم الدروز وقتلوا منهم ماية رجل واما هم فلم يقتل منهم الاّ ثلثون رجلاً وبددوا شملهم واحقروا كنائسهم

واما الشيخ ناصيف ابو نكد فاتى في الفي مقاتل من اهل حوران الى بانياس لينجد بهم اصحابه من الدروز ولما بلغ خان حاصبيا لقيه هنالك الامير سعد الدين الشهابي والي حاصبيا ومعه ولده الامير احمد وفي تلك الليلة اتى جانب من رجال الشيخ حاصبيا ففرت النصارى يقصدون دمشق وكانوا تسعماية رجل وعليهم الامير بشير علي من امرائهم فدخل الدروز البلدة ونهبوها وتعقب الشيخ ناصيف الامير بشير علي وبينما كان الشيخ في الطريق قدم ثمانون فارساً من الاكراد لمعونته فاضطرمت نيران الحرب بينهم وبين النصارى فانهزم الاكراد فبلغ ذلك الشيخ فزحف بعسكره على النصارى فانهزموا الى قرية القرعون فحوصروا هناك ولما نفد زادهم وذخيرتهم عند المساء اركنوا الى الفرار فتبعهم العسكر وقتل منهم مايتين وخمسة وثلاثين رجلاً واما العسكر فلم يقتل منه الاّ ثمانية رجال وذهب الشيخ برجاله الى البقاع ولم يجرأ ان يدخل جبل لبنان لخوفه من القاء القبض عليه

ثم ان اهل دير القمر لما احسوا ان الدروز عازمون على مفاجاة القرية المعروفة بالدية من قرى اقليم الخروب وسكانها البستانيون اقربا آل البستانيين في دير القمر التمسوا من داود باشا ان يأذن لهم اما بأن يذهبوا فيدافعوا عنهم واما ان يوجه الى القرية عسكرًا يقيها فاتى نفر من عسكر تلك القرية وباتوا فيها وفي صبيحة اليوم التالي تركوها وما خرجوا منها حتى احاطت الدروز بهم من كل صوب وعدد اهلها البستانيين لا يتجاوز الثمانين مقاتل ولكنهم شديدو الباس رابطو الجاش مشهورون بالاصابة بالرصاص حتى ان الواحد منهم يستطيع ان يضع رصاصه موضع ما يريد فهوجموا وهم في القرية فخرجوا الى ظاهرها ولم يكن بينهم وبين المحيطين بهم الا اقل من مرمى الرصاص. فاضطرمت النيران بين الفريقين اضطرامًا شديدًا ولكنهم لقلة عددهم اضطروا اخيرًا ان يخرجوا الى مكان خارج القرية لا يبعد عنهم خمس دقائق مكتنف بالصخور ليتحصنوا فيه وقد ادرك الدروز واحدًا منهم في وسط القرية تأخر عن رفاقه الخارجين منها فقتلوه ولم يقتلوا في تلك الوقعة من اهل القرية غير هذا الرجل ثم اعيد القتال باشد مما كان في الوقعة الاولى ولبث حتى الغروب وهذه الفيئة اليسيرة ثابتة في وجوه ميئات ومن الغريب انه كان في هذه الفيئة شيخ من مشايخ بني نكد الدرزيين يقال له الشيخ نجم كان قد خرج عن ذوي قرباه قبل انتشاب الحرب وذلك لعداوة وقعت له معهم فاتى الى تلك القرية واقام بين اهلها فلما كان ما كان بقي معهم يقاتل قتالًا شديدًا ولما خرجوا الى ظاهر القرية خرج معهم ايضًا وكان دائمًا يحرك النخوة ويستنهض الهمم وكانوا حرصين عليه حرصهم على واحد منهم يحذرونه دائمًا مواقع الاصابة ويقذفون

نيرانهم دفاعاً عنه وقد اصيب برصاصة في غير المقاتل جرحه جرحاً بليغاً ولما فرغت الذخيرة اضطروا ان يخرجوا من معقلهم ولم يستطيعوا ان يعودوا الى القرية لانها كانت قد اضرمت النيران فيها وبالجملة فانهم قاتلوا قتالاً كبيراً على فيئة قليلة مثلهم ان تقاتل قتالاً مثله حتى ان الذين كانوا يهاجمونهم اعترفوا لهم بشدة البأس وثبات الجأش في مواقف القتال ثم ان النصارى الذين كانوا في دير القمر من غير اهلها التمسوا من داود باشا ان يخفرهم بعسكر يبلغهم صيدا فصحبهم بنفر ولما كانوا ما وراء نهر الحمام بالقرب من قرية يقال لها عانوت من اقليم الخروب نكص عنهم الخفراء فدهمهم اهل هذه القرية من المسلمين وقتلوا منهم اربعة وثلاثين رجلاً ولم ينجُ منهم الا اثنان احدهما فر الى صيدا والثاني رجع الى دير القمر ·
وانحدرت فيئة من النصارى المجتمعين في كفرسلوان الى المتن فأحرقوا بيتين للدروز فلما وقعت عين الوزير على الدخان غضب وأمر من لديه من الهوارة باطلاق المدافع كفاً للقتال واما النصارى المجتمعون في الراس فعند ما قرع اذانهم صوت البارود سار الامراء ولد الامير شديد بجماعة منهم لنجدة اولئك وخرج بعض من النصارى الذين كانوا في الراس لمقاتلة الدروز الزاحفين من العبادية الى نهر الراس فانتشبت الحرب بين الفريقين فانهزمت النصارى وتبعتهم الدروز الى بعبدات فاحرقوا مساكن النصارى فيها ثم رجعوا الى العبادية واتى الشيخ خطار العماد العرقوب فاشتد الدروز ازرها به وفرَّ من بقي في مقاطعته من النصارى الى المتن وزحلة

واما الوزير فجمع بعضاً من وجوه الدروز والنصارى وامرهم بالتصالح

فامتثلوا امره ثم استكتبهم عهداً بالقاء الفتن ففعلوا وانصرف المقاتلون من الفريقين كلٌّ في سبيله واستقدم الوزير الشيخ ناصيف النكدي اليه لاداء الطاعة فمثل الشيخ بين يديه وطيب الوزير نفسه فعاد الى محله وجعل الوزير عسكراً يحجز بين النصارى والدروز ثم عاد الى بيروت

ثم ان خليل باشا عند ما بلغ الاستانة اقنع الصدر الاعظم بان الفتن في لبنان انما هي ناشئة عن وجود الامير بشير المعروف بالكبير في الاستانة ففي الحال امر بنفيه الى زعفران بول

وفي اول تشرين الاول من تلك السنة وهي سنة ١٨٤٥ قدم من الاستانة شكيب افندي مأموراً بتنظيم احوال لبنان وحل في بيروت فطلب من قناصل الدول ان ينذروا التابعين لهم من الافرنج وابناء العرب بان يخرجوا من الجبل والا فلا يسأل عما يلحق بهم من الضرر من العسكر ففعلوا وخرج المنذرون . وفي اثناء ذلك قدم السرعسكر نميق باشا من دمشق الى زحلة في اربعة آلاف جندي نظامي ثم اتى ببعض العسكر الى حمانا وكتب الى شكيب افندي ان يوافيه الى المنصورية فالتقيا هنالك وتذاكرا في الامر ثم رجعا كل الى مكانه اما الوزير شكيب افندي فاستقدم اليه ببيروت وجوه لبنان ليتحقق قضية الشيخ حمود الذي كان قد قبض عليه بامر من الدولة العلية وجعل في سجن بيروت لقتله احد الآباء الاجانب فشهد شهود من الدروز ببراءة الشيخ من تهمة القتل فاطلق سبيله فارسل القنصل الافرنسي يخبر السفير بذلك ثم سار نميق باشا بفريق من عسكره الى بيت الدين واتاها شكيب افندي ومعه الامير حيدر اللمعي والامير احمد الارسلاني وبعض من ارباب المناصب وامرت كل مقاطعة

ان تنتخب وكيلاً عنها وتوجهه الى بيت الدين فاجتمع فيها بعض وكلاء واما الشيخ خطار العماد والشيخ ناصيف النكدي فقد اوجسا خيفة من الالحاح في استقدامهما الى بيت الدين فاختبئا والشيخ سعيد جنبلاط اعتذر بعدم تمكنه من الحضور ولجأ اخوه الشيخ نعمان الى الجنرال روز الانكليزي محتمياً عنده اما شكيب افندي فاعتقل ارباب المناصب ببيت الدين وانتزع منهم سلاحهم وأبعد عنهم خدمتهم وارسل الى المختارة يستحضر الشيخ سعيداً قسراً فاختبأ الشيخ في الشوف فنهب العسكر داره ثم أمر شكيب افندي بوجوه دير القمر ان يحضروا اليه ويدفعوا اليه اسلحة بلدتهم ففعلوا وامر الامير حيدر والامير احمد الواليين ان يرسلا فيجمعا الاسلحة من اهل البلاد ففعلا وسار ايضاً لذلك جماعة من العسكر فسلكوا سبيل التضييق والتعنيف واتوا بعض الشيء من السلب والنهب فكتب القناصل في ذلك الى السفارات اما الامير ملحم حيدر واولاده فغشيهم الخوف فاتى الامير قيس الى بيروت سراً وتبعه والده والامير اسعد قعدان وولده الامير افندي ولامير عبدالله قاسم فسير القنصل الفرنسي الامير قيساً الى الاسكندرية ثم بقية الامراء الى هنالك ايضاً وحلوا في دار القنصل الجنرال بها وقد اختبأ غالب ارباب المناصب من النصارى ووجوههم وحدث ان ابرهيم باشا بينما كان بزوق ميكائيل يجمع الاسلحة ضرب واحداً من ابناء المدور وسجنه لانه قال انه من ابناء الحماية الافرنسية فلما نمي ذلك الى قنصل فرنسا ببيروت وجه الى جونيه سفينة افرنسية كانت يومئذٍ في مياه بيروت وامرها ان تأتيه بابن المدور عنوة فسارت السفينة واخرجت عسكرها الى سهل جونيه فلما رأى ابرهيم باشا ذلك اضطرب باله وفر عسكره الى جبل بكركي

فأتى بابن المدور الى بيروت وقد التمس الشيخ نعمان جنبلاط من الجنرال روز ان يرسله الى الاسكندرية فارسله وسار نميق باشا بعسكره الى العاقورة ومعه الامير بشير احمد اللمعي وفي اثناء ذلك قدم احد رجال الدولة العلية من الاستانة مأموراً بأن ينهى نميق باشا عن التثقيل على الناس فارسل نميق باشا ورد ما كان قد نهبه العسكر من غزير واخذ الاسلحة من العاقورة ثم سار الى تنورين يريد الذهاب الى جبة بشري فلقيه اهل الجبة الى حد تنورين وراموا دفعه بالقوة فوقعت له معهم مناوشة ارتدوا فيها منهزمين الى الحدث ثم عندما احسوا باقترابه منهم فروا الى بشري فشفع فيهم البطريرك يوسف الخازن لدى الباشا على انهم يدفعون اسلحتهم الى الباشا في الحدث بدون ان يدخل العسكر سائر المقاطعة فقبل نميق باشا بذلك ولما فرغ من عمله جمع الاسلحة سار بعسكره الى طرابلس ثم الى بيروت وقد ورد يومئذ على نميق باشا امر من الاستانة بان يقبض على الشيخ حمود المتقدم ذكره و يبعث به الى الاستانة فانفذ الامر و بعد ذلك انتشر الامان وظهر المختبئون من مخابئهم وعادت الاعمال الى مجاريها

ثم امر شكيب افندي باداء القسط الاول من قيمة المسلوب من النصارى فاستحضر لديه وكلاءهم فوزع عليهم وقد بلغ الفي كيس اي الف الف غرش ثم استحضر لديه جميع وكلاء النصارى من جميع المحلات المختلطة سكانها من نصارى ودروز فنصب لكل مقاطعة وكيلاً الا المتن فانه جعل لها وكيلين درزيين لانها في ولاية النصارى وجعل راتب الوكيل النصراني مايتي غرش في كل شهر واناط به امور نصارى مقاطعته عند صاحب المقاطعة الدرزي واناط امر الاحكام بصاحب المقاطعة الدرزي على ان

يكون ما يجريه منها يعلمه الوكيل وكذلك جعل شان وكيل الدروز في المتن · وفي تلك الايام ظهر الشيخ سعيد جانبلاط بعد ان كان متنكراً ومثل لدى شكيب افندي بعد ان مهد له الجنرال روز السبيل فطيب شكيب افندي نفسه وسلمه زمام مقاطعته ثم اقال الامير احمد الارسلاني من ولاية مقاطعته وجعل عليها اخاه الامير اميناً بدلاً منه ثم قسم البلاد بين الامير حيذر اللمعي والامير امين الارسلاني وجعل طريق دمشق حداً فاصلاً بينهما وضمّ الى الامير امين نصف ساحل بيروت فلم يقبل الامير حيذر بذلك لان السكان كانوا من النصارى وكانوا قد خصوا بوالي البلاد منذ خمس وسبعين سنة فغضب شكيب افندي وامر اهل الساحل ان يكونوا خاضعين لولاية الامير امين فاجتمع غالبهم والتمسوا منه ان ينضموا الى ولاية الامير حيذر فلم يقبل ملتمسهم فاعترضته القناصل في ذلك فعاد وقسم الساحل على حسب رايهم فجعل للامير حيذر الساحل الشرقي وللامير امين الساحل الغربي وجعل طريق دير القمر حداً فاصلاً بينهما وجعل لكل منهما ديواناً من اثنى عشر رجلاً من كل طائفة اثنان وراتب كل واحد من اهل الديوان خمسمائة غرش في كل شهر ثم وقع خلاف بين الاميرين الواليين على الشياح ووادي شحرور الفوقية فادعى كل منهما ان هاتين القريتين من ولايته ولم يتفقا على ذلك حتى جعل وزير الدولة يده على القريتين وضمها الى ولاية بيروت

وفي سنة ١٨٤٧ امر كامل باشا الذي خلف وجيهي باشا ان يجتمع ارباب مناصب البلاد واعيانها في بيروت لترتيب الاموال الاميرية فاجتمعوا وكان من رأي الامراء الشهابيين ومن رأي العماديين والنكديين

والوجوه ان تقاس مساحة البلاد وخالفهم الباقون فكتب الوزير يعرض واقع الحال على الحضرة السلطانية وفي تلك السنة اقبل كامل باشا وولي في مكانه مصطفى باشا الارناووطي فاستحضر وكلاء النصارى الى بيروت وامر وكيله ان يجري عليهم مبلغ القسط الثاني من قيمة المسلوب وقدره الفا كيس اي الف الف غرش فرأى روساء الوكلاء ان تعدل قوائم الاسلاب المصدق عليها في ديوان اسعد باشا فعدلت بشيء من الزيادة والنقصان تعديلاً لا يخلو من الغش ثم اخذ كل وكيل ما اصاب وكالته ودفعها الى اربابها وقد قدم في تلك السنة نفسها الى لبنان اثنان مندوبين من دولة فرنسا للبحث عن احوال اهله فجابا القرى قرية قرية وبعد استيفاء البحث والتنقيب رجعا الى بلادهما

وفي السنة التالية دفع القسط الثالث من قيمة المسلوب وقدره كالقسطين الاولين وبوشر اجراء المساحة ولم يتم امره

وفي سنة ١٨٤٩ امر السلطان عبد المجيد ان يعد الذكور بلبنان فبلغ عدد الذكور من النصارى ٨٧٧٢٧ ومن الدروز ١٢٠٢٣ ومن الاسلام والمتاولة ٦٧٤٤

وفي سنة ١٨٥٤ توفي الامير حيذر اسمعيل في صربا من كسروان مفلوجاً بدون عقب وله من العمر سبع وستون سنة ودفن في كنيسة اليسوعية ببكفيا وقد احتفل بمأتمه احتفالاً عظيماً وكان ربعاً حنطي اللون كريماً فصيحاً ورعاً وديعاً سريع الانقياد وقد جعل الوزير في مكانه ابن اخيه الامير بشير عساف وكيلاً حتى يجي الامر من الاستانة بتعيين

الامير بشير احمد الذي التمس الوزير الولاية له ثم صدر الامر فولي الامير بشير

الامراء المعنيون

انا راعينا في تاريخ امراء لبنان من حيث التقديم والتاخير في ذكرهم واثبات اخبارهم ما يراعيه كل مؤرخ في ترتيب الازمنة من ذكر الاقدم في البلاد من اصحابها ثم القديم ثم الذي بعده تدريجاً على التوالي وعليه فاننا مثبتون الآن بحسب الاتساق تاريخ الامراء المعنيين الايوبيين

ان هولاء الامراء ينتسبون الى الامير معن من العرب الايوبيين من ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان نبغ من بني ربيعة رجل اسمه ايوب كان فارساً مغواراً سلاّباً مات وله احد عشر ذكراً وكلهم شجعان فلما استفحل امرهم حسدهم جميع بني ربيعة وحملوهم على الرحيل فاتوا جزيرة الفرات ونزلوا بها فنموا نمواً كبيراً واتخذوا نسبة الايوبية نسبةً الى ايوب ورحل احدهم من تلك الجزيرة الى الديار الحلبية وتوفي بها عن ولد اسمه معن

فمعن هذا ارسله الامير غازي امير الترك في سنة ١١١٩ (ب٠م) لمحاربة الافرنج في انطاكية فانهزم من وجه الملك بلدوين الفرنسي وعساكره في جملة المنهزمين ولجأ الى طغتكين في الديار الحلبية وفي سنة ١١٢٠ ب٠م امره طغتكين ان يمضي بعشيرته الى البقاع ثم الى لبنان المشرف على الساحل لينزل به ويتخذه حصناً ليرصد منه الغارة على الافرنج الذين بالساحل فرحل الامير معن بعشيرته الى الشوف وقد كان قفراً فنزل بصحراء بعقلين

ووادد آل تنوخ امراء الغرب وكبيرهم يومئذ الامير بحتر فتحالف الاميران على الافرنج وآثر الامير معن سكن الاقبية على المضارب فارسل اليه الامير بحتر اناساً بنوا لهُ ولاصحابه اقبية يسكنونها ثم كثرت المباني واتسع العمران فانضم الى الامير معن خلق كثير لجأُوا اليه من جميع البلاد التي استولى الافرنج عليها من حوران ودمشق وحلب ومن الاماكن المجاورة للبنان ومن اطرافه وعاش الامير معن هناك ثلاثين سنة وتوفي سنة ١١٤٩ وخلفه ولده الامير يونس وفي الايام الاخيرة من ايام الامير يونس كان قدوم الامراء الشهابيين الى وادي التيم حيث اكتسحوا الافرنج وحلوا محلهم وفي سنة ١١٧٥ ب م بعث الامير يونس الى الامير منقذ الشهابي يدعوه اليه بعد ان كانا قد تحالفا على المودة والاخاء فقدم اليه هو وولده الامير محمد فلقيهما الامير يونس الى نبع الباروك حيث مكثوا ثلاثة ايام ثم اتى بهما بعقلين وحدث ذات يوم ان الامير محمداً بينما كان في دار الامير يونس لاحت منه التفاتة فوقعت عينه على طيبة بنت الامير يونس وهي باحدى النوافذ فاستلب لبه بحسنها البديع وجمالها الباهي فوقعت حبة الحب في قلبه ولكنه كتم امره حتى خرج ذات يوم مع ابيه والامير يونس الى ضواحي القرية ترويحاً للنفوس وجلسوا الى منهل ماء من حوله ازهار فقال الامير منقذ ان المياه هذه لعذبة وقال ابنه محمد والارض لطيبة فقال الامير يونس وانت طيب يا محمد فقال الامير محمد الطيبون للطيبات مشيراً بالآية الى مرامه بان يعقد له على طيبة ابنة الامير يونس ولكن الامير يونس لم يدرك مغزاه ولما جلسوا الى الطعام اخذ الامير يونس لقمة وناولها الى الامير محمد فقال الامير محمد ان كانت طيبة اخذتها ثم تناولها من يده فاكلها ولم

ينكشف هذه المرة ايضاً مقصده للامير يونس وبعد الطعام جعل الامير يونس يجاذبه اطراف الحديث والامير محمد يحوم دائماً بكلامه حول مقصده لعله ينكشف شيء منه فلما يئس محمد وخشي ان يكون يونس قد علم وتجاهل طوى كشحاً على امره واعتذر اليه عما اذا كان قد فرط منه اليه شيء من القول لم يعجبه فاجابه قائلاً طب نفساً فانك قد احسنت في كل ما اتيت ولكن كيف تطيب نفسه ولم يفز بالوعد بطيبة فلم يلبث ان عاد يبتغي وسيلة لابلاغ مرامه فسال الامير يونساً كيف تفسر قوله تعالى الطيبات للطيبين فانفتح اذ ذلك على الامير يونس باب فهم المراد فتبسم وقال ازوجناك يا محمد فتم امر الخطبة بالرمز ثم سال الامير يونس الامير محمداً أ له اخت فاجاب ابوه نعم وهي اصغر منه واسمها سعاد وقد ازوجتها من ولدك الامير يوسف فصرح الامير يوسف بالقبول وتم العقدان في ذلك المجلس ولما آب الامير منقذ وولده محمد الى حاصبيا زفت الاميرتان في وقت واحد

ولما كانت سنة ١٢٣٨ استنجد الامير عامر الشهابي الامير عبدالله بن سيف الدين بن يوسف بن يونس المعني على ابن عم الكونت اور الافرنجي الذي بقي ان يثأر من الشهابيين لابن عمه فنجده وزحف الاميران برجالهما الى مرج الخيام حيث التقى الفريقان وشبت بينهما نار الحرب فانهزمت الافرنج في اليوم الرابع من شبوبها ثم توفي الامير عبد الله وله الامير علي وجرت بعد ذلك امور للامراء المعنيين يتعذر علينا سردها مرتبة لان المعلومات التي وقفنا عليها في هذا الشان غير منسوقة ومجمل ما علمناه من (اخبار الاعيان) وهو الكتاب الذي اخذنا عنه اكثر من غيره

لاستيعابه من تفاصيل احوال امراء لبنان ما لم يستوعبه غيره من المورخين
هو انه في الربع الاخير من القرن الرابع عشر توفي الامير يوسف المعني
اخو الامير عثمان ابني الامير ملحم ابن الامير احمد ابن الامير عثمان ابن
الامير سعد الدين ابن الامير محمد ابن الامير بشير ابن الامير علي فتولى الامارة
بعده ابن اخيه الامير فخر الدين ابن الامير عثمان وقد قال صاحب (اخبار
الاعيان) عنه انه اشهر الامراء المعنيين وان اشرقت شمس الامارة المعنية به
وغابت شمس الامارة التنوخية وهو قول احرى به ان يكون عن حفيده الامير
فخر الدين الثاني ابن الامير قرقماس كما سيتبين ذلك . وغاية ما ذكر لنا المورخ
من فعال الامير فخر الدين ابن الامير عثمان هو انه في ايام الملك قانصوه الغوري
وقد شبت بين هذا الملك وبين ساكن الجنان السلطان سليم نيران القتال
في مرج دابق وكان الامير فخر الدين قد استقدمه الغزالى نايب قانصوه على
دمشق لنجدة الملك فرّ الامير مع الغزالى نفسه عند ما اشتد القتال خاذلي
الملك متحيزين للسلطان سليم ولما دخل السلطان دمشق دخل عليه
الامير فاكرمه وفوض اليه جميع امور الشام وجعله في اسمى مرتبة بين
اصحاب المراتب وكان ذلك في سنة ١٥١٥ وفي سنة ١٥٤٤ توفي الامير
فخر الدين وخلفه ابنه الامير قرقماس وهذا توفي في مغارة عند جزين اذ
لجأ اليها فراراً من وجه ابرهيم باشا والي مصر الذي امره السلطان مراد
ان يبطش بآل سيفا وامراء لبنان لسلبهم اموال الخزانة السلطانية عند جون
عكار وكان للامير قرقماس ابنان صغيران فخر الدين و يونس فخبأهما الحاج
كيوان الماروني الديراني عند ابني سركيس الخازن ابرهيم و رباح وكانت

امها اخت الامير سيف الدين التنوخي معها ولما سكنت الاحوال في لبنان دعا الامير سيف الدين التنوخي الامير فخر الدين واخاه الامير يونس اليه وضمهما الى عياله حتى بلغا اشدهما فدفع اليهما زمام ولايتهما على الشوف واندفع الامير فخر الدين الى ميدان الحروب منذ اول ولايته فحارب يوسف باشا والي طرابلس سنة ١٥٩٨ عند نهر الكلب وكسره وحارب به في سنة ١٥٠٦ ايضاً عند جونيه وكسره وشهد مواقع اخرى كان النصر في غالبها الى جانبه وما انهزم الا عندما ظاهر نصوح باشا في حرب اضطرمت نيرانها عند مدينة كلس وفي سنة ١٦٠٧ عاون علي باشا جانبلاط في مواقع كثيرة وكانت الغلبة فيها كلها على يده ولما كان علي باشا قد خرج من طاعة السلطان احمد وارسل السلطان الصدر الاعظم مراد باشا في فيالق من الجنود فقهرته ابدى الصدر غيظه من الامير لما كان قد سبق له من المشايعة لعلي باشا فاضطر الامير ان يسترضي الصدر فارسل اليه ابنه الامير علي وبعث اليه معه بثلثماية الف غرش فانعم الباشا على الامير الصغير بسنجقية صيدا وبيروت وغزير ولم يكن عمره حينئذٍ متجاوزاً التاسعة من السنين ولما توفي مراد باشا في سنة ١٦١١ وارتقى الى منصب الصدارة نصوح باشا سعى اعداء الامير فيه لدى الصدر الجديد وشرع احمد باشا حافظ دمشق في اثارة الفتن وكان الامير قد اتسعت سطوته وامتدت مهابته وبلغ ببطشه الاماكن القاصية مثل حوران وعجلون وغيرهما فبعث اصحاب الحافظ بدمشق يشكون للسلطان وهو يومئذٍ السلطان سليم من اتساع سطوة الامير وتعاظم امره الى حد انه حاصر دمشق وكانوا مدفوعين الى تلك الشكوى من الحافظ نفسه فحلت

الشكوى لدى السلطان محل القبول فارسل من اسلامبول جيشاً كبيراً ومعه عدة من الكبراء من اصحاب الباشا وذلك للفتك ببني معن وقطع دابرهم وجعل البعث كله في امر الحافظ ولما علم بذلك الامير كتب الى الحافظ يسترضيه بالمال فلم ينل بالكتابة بغيته ولم يزل الحافظ يضيق عليه ويبعث عليه البعوث حتى دفعه الى الفرار والالتجاء الى العرب ولكن الحافظ سدّ في وجهه جميع المسالك فآل به الامر ان سافر الى بلاد ايطاليا عملاً براي الحاج كيوان وذلك بعدان فوض امر الولاية الى اخيه الامير يونس واوعز اليه ان ينتقل من بعقلين الى دير القمر ويتخذ الدير مقرّاً له واما الحافظ فبقي عاملاً على التضييق على رجال الامير ومحاربتهم في كل مكان ومحاصرة من كان منهم في قلعة شقيف ارنون وقلعة بانياس وبعث بعثاً على الامير يونس اخي الامير فخر الدين فاضطر الامير يونس ان يسترضيه بمبلغ من النقود قدره مائة الف غرش ليكفه عن المحاربة والمحاصرة ولكنه لم يلبث ان عاد الى ما كان عليه لانه لم يستكمل قبض المبلغ المشروط فجرت بينه وبين المعنيين محاربات ادّت الى فشل المعنيين بعد ان كاد يكون النصر في جانبهم فاضطر الامير يونس ان ينضم الى الامير علي ابن اخيه وهو محاصر في قلعة بانياس فغشي الحافظ دير القمر واكثر فيها من النهب والسلب واحرق مساكن بني معن ووجه احد اعوانه الشيخ مظفر الدين الى عبيه فاحرقها وقتل جماعة من اهلها واقتاد الامير ناصر الدين التنوخي منها اسيراً الى دير القمر حيث كان الحافظ فاكرم الحافظ هذا الامير وولاه على الشوف وما خرج الحافظ من لبنان عائداً الى دمشق الا بعد ان اجرى عدة مواقع واحرق ونهب وقتل كثيراً ولما بلغ الامير يونس خبر

خروج الحافظ من لبنان عاد الى دير القمر واستقر بها ولما كانت سنة ١٦١٤ عزل احمد باشا الحافظ عن دمشق وخلفه جركس باشا وقدم من اسلامبول والٍ على صيدا وصفد وبيروت وغزير وعلى جميع ما كان من الاماكن داخلاً في منطقة ولاية الامير فخر الدين واستقر ذلك الوالي في صفد وكان مدبره مصطفى مدبر الامير فخر الدين وفي تلك السنة نفسها بنيت حارة الناعمه باذن الامير ناصر الدين التنوخي وفي السنة التالية اتى الامير فخر الدين من الديار الافرنجية يتنشد اخبار بلاده ويستطلع احوالها فلم يأذن له ربان السفينة بالخروج منها الى البر فعاد الى ديار الافرنج وقد كان تسنى له ان عرف شيئاً من احوال بلاده ممن لقوه من ابنائها على ظهر السفينة الذين كان في جملتهم اخوه الامير يونس واما الامير يونس فدفع زمام الولاية الى الامير علي ابن اخيه وفي سنة ١٦١٦ هدم الامير علي حصني ارنون وشيرون وقد اتسعت الولاية في ايام الامير علي وساد حزب القيسيين وحارب هذا الامير يوسف باشا سيفا لعصيانه امر السلطان بالتخلي عن ولاية كسروان وبيروت والرجوع عن مساعدة الشيخ مظفر وابن الامير محمد جمال الدين وبني الصواف المقدمين وقهره وقهر اعوانه ونزع ما كان في يدهم من ازمة الولاية فجعل عمه الامير يونس على مقاطعة الشوف وبلاد بشاره ومقاطعة كسروان والامير منذراً التنوخي على بيروت والامير ناصر الدين التنوخي على مقاطعة الغرب والجرد ومقدمي كفرسلوان اللمعيين على المتن والامير علياً الشهابي على مرج عيون والحولانية وحسيناً اليازجي على بلاد صفد وبلاد الشقيف وابقى على ولاية صيدا طوبل حسين بكباشي ثم اجرى بعض التغيير في امر الولاية بسبب التأخر عن دفع المطلوب من الاموال

واما الامير فخر الدين فكانت مدة غيابه عن موطنه بالديار الافرنجية خمس سنين تقريباً ولما انقضت هذه المدة خرج من البحر الى عكا عائداً من الديار الافرنجية بعد ان بلغهُ رضا الدولة عنه وكتب الى ابنه الامير علي يبشرهُ بقدومه فاتاه ابنه الامير علي واخوه الامير يونس · ثم جعل الامراء والمشايخ والوجوه والاعيان يفدون على الامير ويتحفونهُ بالهدايا فتقبلها كلها الاَّ هدية بني سيفاً فانه لم يتقبلها لانه كان في صدره حزازات منهم من ايام الحافظ ولما جمع الامير فخر الدين الاموال عن مدة غيابه ومهد الامر والاحوال عاد يلتمس سبيلاً على بني سيفاً للبطش بهم ففي سنة ١٦١٨ كتب الى والي طرابلس عمر باشا الكشبجي يشكو من اعمال يوسف باشا سيفاً فاجابه ان شئت ان تحاربه اكن لك ظهيراً عليه واضمن لك غضب الدولة عليك فجهز الامير جيشاً وكتب الى مدبره الشيخ ابي نادر الخازن ان يرسل رجالاً يرابطون عند قنطرة نهر ابرهيم ويمسكون العبور على الذاهبين الى الانحاء الشمالية لئلا يدري يوسف باشا بما سيناله ثم نهض الامير برجاله من بيروت الى نهر ابرهيم ووافاه اعوانهُ برجالهم الى الاماكن التي كان قد عينها لهم ولبث هو سائراً حتى وصل الى قرية تولا ذاهباً اليها من قلعة بخعون في الضنية ولما احس يوسف باشا بقدومه فرَّ هارباً ولجأ الى قلعة الحصن وانضم اليه امراء بني سيفا وبنو الصواف مقدمو المتن فبطش بهم الامير فخر الدين قبل ان يستكمل ثوار جنوده الثورة عليه فاضطرهم الى التحصن في القلعة بعد ان قتل منهم عدداً كبيراً ثم قدم سائر عسكر الامير من بلاد عكار واحاطوا بالقلعة من كل الجوانب وضيقوا الحصار على اهلها حتى اضطر يوسف باشا ان يرسل ابنته الاميرة

اليه لتشفع فيه عنده فعفا الامير من اجل ابنته عن بني سيفا على
ان يؤدي اليه يوسف باشا مايتي الف غرش ويكتب ميثاقاً بالتخلي عن
املاك بني عساف من انطلياس الى بيروت ورجع الامير بعض
العسكر الى عكار ونقل الامير حجارة سراي عكار الى دير القمر وما زال
الامير يضيق على يوسف باشا حتى استحصل منه على مبالغ وافرة
ارسلها الى الدولة محسوبة مما عليه لها فورد على الامير جواب من الدولة
يدل على رضاها عنه وارتياحها الى عمله وولى الامير الشيخ ابا نادر على
بلاد جبيل والمقدم يوسف الشاعر على بلاد البترون ثم ردّ الامير الى
يوسف باشا حفيده الامير محمد بن حسين باشا ووالدته بنت علي باشا
جانبلاط اللذين كان الامير قد اعتقلهما ايام زحفه لمحاربة يوسف باشا
واتسع نطاق سطوة الامير وعلا شأن نفوذه حتى كان يلجأ اليه كل من
اصابه حيف او حيف من ارباب الوجاهة من الاماكن الدانية والقاصية
من مثل الانحاء الحورانية وكان يقضي لهم حاجاتهم واذا اتفق ان احداً
عصي اوامره عزز له الاوامر بالقوة فانقاد ذلك العاصي ذليلاً صاغراً قبل
ان تدنو قوة الامير منه . واعاد الامير الشيخ مظفراً بعد ان شمله بعفوه
والياً على الجرد كما كان . وولد للامير ثلاثة من دون الامير علي وهم
الامير منصور والامير حسين والامير حسن وزوج بعضاً من بناته من
امراء من بني سيفا ومن بني الحرفوش وجرت له حروب شتى اعظمها الحرب
التي جرت له مع وزير دمشق مصطفى باشا انتصر فيها الامير انتصاراً
عظيماً واسر الوزير وابقاه عنده اياما مبالغاً في اكرامه ولما عاد الوزير الى
دمشق عاهد الامير علي المحبة والصفاء وبالجملة فان الامير فخر الدين لم

يلحقه الانكسار في مواقعه الاَّ في بعض ما جرى له منها مع الامراء بني طرباي في انحاء صفد فانه لم يفز هناك بمرغوبه من النصر

وما زال الامير فخر الدين يزداد نفوذًا وسطوة ومن الدولة تقربًا حتى انعم عليه بجميع الولايات من حدود حلب الى حدود القدس وفرض عليه ان يدفع للدولة في كل سنة عنها مايتي الف ذهب وكان ذلك في سنة ١٦٢٤ فجعل الامير يطوف بالبلاد ويمهد لنفسه سبيل الحكم ويشيد الحصون ويرمم القلاع التي كان قد دمرها ايام كان يحاصر اعداءه فيها وقرر لنفسه امر جباية الجزية على المسيحيين في المدن وتعقب العرب الذين كانوا يسطون على اطراف البلاد واقصاهم عنها بسيف قوته وشديد بطشه وجمع اموالاً غزيرة فاعتز بنفسه وزين له ان ينهج نهج السلاطين فبنى دارًا للحيوانات ولبث سالكاً على ذلك المنوال تسع سنين فبدت الريبة من مسلكه ذلك واتفق ان الكجك احمد باشا الحافظ وقد كان بينه وبين الامير سابقة حقد وضغينة وسار بسبب ذلك الى اسلامبول وانخرط في سلك رجال الدولة وجعل يترقى في المراتب حتى بلغ مرتبة الوزارة انتهز الفرصة واوغر صدر الدولة على الامير وغرس في نفسها اعتقاد وجوب البطش به فاشتد ذلك الاعتقاد ولا سيما بعد ان بلغها ان الامير بنى قلعة عند حلب واخرى عند انطاكية فجهزت بعثًا كبيرًا وجعلت قائده الكجك وسيرته الى الديار السورية لمحاربة الامير والفتك في المعنيين فلما كانت سنة ١٦٣٣ قاد الكجك احمد باشا العساكر العثمانية واخذ يحشد الجنود من حدود بلاد الروم الى حدود مصر وفي السنة التالية سنة ١٦٣٤ قام بالعساكر الى خان سعسع

واما الامير فشرع في تفريق عساكره عوضاً عن ان يجمعها ولذلك ادركه الفشل في وقت قريب وما بلغه خبر قتل ابنه الامير علي في احدى المواقع حتى وهن عزمه وخذله غالب جنوده ففرَّ الى قلعة شقيف نيرون بالقرب من نيحا ومعه عياله ومدبره الشيخ ابو نادر الخازن واخو مدبره ابو صافي وفرَّ الامير يونس اخو الامير فخر الدين بابنيه الامير ملحم والامير حمدان الى بلاد بشاره واختبأ في برج هناك يقال له دوبية والكجك احمد باشا اخذ يوادع اهل البلاد ويعدهم بتولية واحد من ابناء الامير فخر الدين بدلاً من ابيه حتى دفع له المبلغ الذي اقتضاه من النقود وقدم اليه الامير حسن احد ابناء الامير وتحقق انفضاض عساكر الامير فامر عندئذٍ بالامير حسن ان يقتل فقتل وزحف الى القلعة التي كان فيها الامير فخر الدين ورجاله ولبث محيطاً بها بعسكره يحاول اخذها حتى تسنى للامير ذات ليلة انه فرَّ هو وابناءه الثلثة ومدبره الشيخ ابو نادر ونفر من رجاله متدليين بالحبال ولجأوا الى مغارة جزين وعند الصباح استولى الكجك على القلعة ثم زحف الى مغارة جزين على غير علم منه ان الامير فخر الدين فيها وبينما كان احد رجال الامير خارجاً من المغارة ليتجسس الاحوال امسك وقيد الى الكجك فاعترف بان الامير في المغارة فجدد الكجك الحصار عليها وشدده حتى اضطر الامير ان يخرج منها برجاله وسلم نفسه بعد ان سأل الامان من الكجك فاعتقلوا ثم استحضر الامير يونس وابناه الامير ملحم والامير حمدان فاطلق الكجك الامير ملحماً منهم وسجن اباه واخاه حمدان وامر بتعذيبهما حتى ماتا في السجن وسار الكجك الى دمشق بعساكره ومعه الامير فخر الدين وابناؤه الثلثة الامير منصور والامير حيدر

والامير بلك واما الشيخ ابونادر الخازن فخلى سبيله ثم ارسل الامير وابناءه الثلثة الى اسلامبول ثم ان خليل باشا احد كبار رجال الدولة لما عاد من حلب الى اسلامبول اخذ معه الامير حسيناً احد ابنا الامير فخر الدين وعاد الكجك فارسل وقتل عدة من الامراء بحاصبيا وراشيا وبعث يأمر الامراء بني طرباي ان يسلموا الامير ملحماً ابن الامير يونس الذي كان قد لجأ اليهم فسلموه وبينما هو في الطريق انتهز الفرصة وفرّ ممن كانوا يقتادونه الى الكجك وعاد فتولى الولاية وعزز شأنه فيها وجرت له مواقع مع امراء من اليمنيين كان النصر الى جانبه في غالبها غير ان ذلك كان باعثاً على ان الكجك شكا للسلطان ان ما اجراه الامير ملحم انما كان بدسيسة الامير فخر الدين فغضب السلطان وامر بقتل الامير فخر الدين وابنائه الاّ الامير حسيناً منهم فانهُ بقي حياً وترقى في خدمة الدولة الى ان صار قبوجي باشا وكان عمر الامير فخر الدين اثنتين وخمسين سنة واما الامير ملحم فتوفي مريضاً في سنة ١٦٥٨ ودفن في مدافن المعنيين بصيدا وله الامير احمد والامير قرقماس وهذان الاميران لم يستقم امرهما في الولاية لان احمد باشا الكبرلي اراد الفتك بهما فبقيا مدة متغلغلين في الانحاء الشمالية من الجبل مع بعض الامراء الشهابيين فراراً من وجه الكبرلي وولى الكبرلي في تلك المدة الشيخ سرحال العماد شيخ الباروك جبل الشوف والامير محمداً والامير منصوراً ابني الامير علي اليمني الغرب والجرد والمتن ومحمد آغا كسروان وعلي باشا الدفتردار صيدا وجعله من وزرائه ولما كانت سنة ١٦٦٢ عزل علي باشا من صيدا وتولى مكانه محمد باشا فخزع الامير ابن قرقماس واحمد بان كتب لهما ميثاق امان ثم غدر بهما عندما برزا الى مدبره بالقرب من قرية مزبود

من اقليم الخروب فقتل الامير قرقماس وفر الامير احمد وبه جرح بليغ ورجع فاختبأ سنتين فدفع محمد باشا زمام الولاية الى الامير محمد علي اليمني والشيخ ابي علوان من قيسية الباروك ولما عزل محمد باشاظهر الامير احمد وانضم اليه ابناء الحزب القيسيين فعظم شانه وحارب اليمنية وكسرهم واستبد بالولاية ثم وشي فيه الى الدولة فبعثت عليه بعثاً للفتك به ففرّ الامير واختبأ عند الامير نجم الشهابي ثم عاد الى الولاية واسترضيت الدولة عنه فاستقام له الامر كما كان ولبث والياً حتى توفي في الخامس عشر من ايلول سنة ١٦٩٧ وكان قد مات ابن له صغيرٌ من قبله فانقطعت بوفاة الامير السلالة المعنية

الامرآء بنو العساف التركمان

هولآء الامرآء من التركمان من بقايا غزاة سالفين كانوا في ايام الملك محمد الناصر بالكورة من ديار لبنان فامرهم هذا الملك في سنة ١٣٠٧ ان ينزلوا الساحل من حد انطلياس الى مغارة الاسد ليقوا البلاد من سطو الافرنج عليها من تلك الانحاء كما كان التنوخيون المعاصرون لهم عاملين على وقايتها من سطو هولاء من الانحآء الجنوبية وكانت مواطن التركمانيين الازواق زوق العامرية وزوق الخراب وزوق مصبح وزوق ميكايل ولأمرآئهم آثار عمران في عين طورا وعين شقيف وفي عهد الامير يلبغا الاتابكي وذلك سنة ١٣٤٥ مسيحية اتى التركمانيون بيروت بامر الاتابكي واستوطنوها تعزيزاً لاسباب المحافظة على هذا الثغر من غزوات الافرنج ولما كانت سنة ١٥١٥ وقعت واقعة بين ساكن الجنان السلطان

سليم العثماني والملك قانصوه الغوري بمرج دابق عند حلب فتحيز عساف من التركمان الى السلطان سليم فكان جزاءه منه ان أقرَّه على كسروان وبلاد جبيل واليه انتسب الامراء العسافيون من سلالته فجعل هذا الامير مصيفه بعين شقيف ومشتاه بعين طورا وجعل اصحابه بالازواق ثم انتقل الى غزير واتخذها موطناً له اقام به حتى مات سنة ١٥١٨ ودفن هناك وله الامير حسن والامير حسين والامير قبقاي فخلفه في الامارة الامير حسن فوقعت الفتنة بين الاخوة بسبب الامارة وادّت بهم الى ان احدهم الامير قبقاي قتل اخويه واستحيى ابن احدهما الامير منصوراً ابن الامير حسن وتولى الامارة على كسروان وسجن ابني حبيش يوسف واخاه ثم نفاهما الى مصر وذلك لانهما كانا خادمين عند اخويه بعد ان صادرهما بمالهما ولم يطل به عهد الامارة فمات بغزير سنة ١٥٢٣ بلا عقب وتولى الامارة بعده الامير منصور فاسترد الحبيشيين لخدمته ومهد امر الولاية فاتسع له نطاقها حتى بلغت من نهر الكلب الى حماه وكان ينصب عليها من العمال من يشاء ويقتل من يناوئه في امرها ففي سنة ١٥٧٩ وشي فيه الى الدولة العثمانية فنصب السلطان يومئذٍ وزيراً بطرابلس خضداً من شوكة الامير واذلالاً له فكان الوزير المنصوب يوسف باشا سيفا الكردي وفي سنة ١٥٨٠ توفي الامير منصور وخلفه ابنه الامير محمد وهو اخر امير من بني العساف لبثت امارته مدة عشر سنين اذ قتل في سنة ١٥٩٠ وهو سائر الى عكار لمقاتلة يوسف باشا سيفا قتله الكامنون من رجال الباشا بين البترون والمسيلحة فانقرضت بقتله سلالة العسافيين وانتقلت الامارة الى بني سيفا الاكراد

بنو سيفا الاكراد

هولاء الامراء استقرت لهم الامارة في مبداء الامر على عكار بمساعدة الامير منصور العساف وتعزيز الامير قرقماس المعني والي الشوف لمساعدة الامير لهم وذلك بين سنة ١٥٢٨ وسنة ١٥٧٩ وفي هذه السنة الاخيرة رقي احدهم الامير يوسف الى رتبة وزير وجعل واليًا على طرابلس كما تقدم ذكر هذا في الفصل السابق ولما كانت سنة ١٥٨٤ اصدر السلطان مراد امرًا بالقاء القبض على يوسف باشا سيفا بسبب ماجرى من نهب اموال الخزانة الاميرية عند جون عكار وكان المسير لانفاذ ذلك الامر جعفر باشا فجمع العساكر وزحف بها الى عكار ففر يوسف باشا من وجه الزاحفين فاحرق جعفر باشا بلادُ عكار ولما كانت سنة ١٥٩٠ حدث ما تقدم ذكره من قتل الكامنين من رجال يوسف باشا للامير محمد وفي سنة ١٥٩٣ تزوج يوسف باشا زوج الامير محمد الذي قتله واستبد بجميع امواله وقتل ابناء حبيش سليمان ومنصورًا ومهنا وانتقلت ولاية العسافيين اليه وفي سنة ١٥٩٥ وقعت بينه و بين الامير فخر الدين قرقماس المعني عند نهر الكلب موقعة بسبب ولاية كسروان فانهزم الباشا شر هزيمة وفي سنة ١٦٠٢ جرى بينه و بين الامراء بني الحرفوش وانصارهم قتال ادى الى محاصرة الباشا لقلعة بعلبك التي تحصن فيها اعداءه فتمكن من القلعة بعد حصره لها خمسين يومًا ثم جرى لهذا الباشا حروب شتى مع علي باشا جانبلاط والي حلب وكذلك مع الامير فخر الدين المعني وقدضايقه الامير كثيرًا كما بينا ذلك في تاريخ المعنيين ولما كانت سنة ١٦١٥ نزع جركس باشا والي دمشق

ولاية كسروان و بيروت من يد يوسف باشا وامره ألا يظاهر احداً على الامير يونس المعني فلم يمتثل الامر بل تصدى لقتال المعنيين مستنجداً بالامير شلهوب الحرفوش وامراء راس نحاش الاكراد فانهزم من الناعمة الى الشويفات وقتل من رجاله عدد كبير ثم استولى الامير يونس على بلاد كسروان وفرّ الامير حسين بن يوسف باشا بعيال اخيه حسن باشا من غزير الى عكار ثم قتل حسن باشا في سنة ١٦١٦ قتله قره قوش والي حلب بالاحتيال عليه و بالجملة فان يوسف باشا كانت مدة ولايته في اضطراب شديد قضاها في الحروب والقتال ولا سيما مع الامير فخر الدين المعني بعد عودته من بلاد الافرنج وكان الامير منصوراً عليه في غالب الوقعات و يده فوق يده في كل شي وما رأى الباشا سبيلاً الى استمالة الامير الا ان يزوج بعضاً من بنيه من بنات الامير فكان ذلك ولكن ما لبثت الحال في قلق بينهما حتى توفي الباشا سنة ١٦٢٤ وهو اول باشا على طرابلس توفي وله سبعة ابناء حسين وحسن وعمر وقاسم ومحمود وعساف وكانت ولايته خمساً وار بعين سنة وتولى الامارة بعده ابنه الامير قاسم الا ان هذا الامير لم يكن له شأن يذكر ولما قدم الكجك احمد لمحاربة الامير فخر الدين المعني انضم اليه الامراء بنو سيفا على الامير فولاهم الكجك على ايالة طرابلس ثم انتقلت الولاية على طرابلس من احدهم الامير قاسم الى الامير علي ابن الامير محمد ابن اخت الامير قاسم وذلك باختيار الوجوه والاعيان فحدثت فتنة بين الامير علي والامراء ذوي قرابته ولا سيما الامير عساف وفي سنة ١٦٣٥ تولى مصطفى باشا نيشانجي الامر على ايالة طرابلس فجعل على بلاد جبيل والبترون والضنية الامير علياً وعهد بولاية عكار والحصن

وصافيتا الى ذوي قرابة الامير علي واذ اتفق ان سار مصطفى باشا لمحاربة شاه العجم وعهد بالمحافظة على امر الضبط والربط في البلاد الى الامير عساف مدة غيابه اوغر ذلك صدر الامير علي فحدث بينه وبين ابن عمه الامير عساف محاربة ظفر بالنصر فيها الامير عساف ثم جرت بينهما مصالحة ولكن لم يطل امرها اذ عادا الى المقاتلة وكان الغالب الامير عساف ولما تولى شاهين باشا الامر على طرابلس من بعد احمد باشا الذي خلف مصطفى باشا كاتاجاج وشي اليه في الامير عساف فوادعه حتى تمكن منه فامر به فخنق معلقاً على باب قلعة الحصن وتعقب اتباعه فقتلهم وما نجا منهم الا عدد يسير وما زال بهم حتى بدد شملهم ومحا ذكرهم

شهاب

لقب لبيت من البيوتات الكريمة في جبل لبنان يتصل نسبهم الشريف بنسب الرسول محمد (صلعم) من بني قريش وذلك اخذاً عن سجل وجد محفوظاً في صيدا من الثغور السورية وقد اثبت فيه من هذا النسب الشريف من مالك الملقب بشهاب من سلالة مره بن كعب بن لوي بن غالب بن فهد الى الامير منصور ملحم البقري بشهادة احمد البزري مفتي صيدا وشهادة السيد علي بن السيد حسين جلال الدين نقيب السادة الاشراف بالمدينة المذكورة وشهادة محمد سعيد البزري نائب الشرع الشريف بها

اما اللقب شهاب فيقال انه لقب به مالك من الشهباء وهي قرية استوطنها من قرى حوران بامر من عمر بن الخطاب سنة ٦٣٦ ب٠ م كما

سيتبين ذلك ويقال ايضاً انه لقب بذلك تبركاً باحد اجداده لان امه خرجت من نسل شهاب بن عبد الله بن الحرث بن زهرة القرشي من رهط آمنة ام الرسول (صلعم) وهذا اقرب للصحة فيما يظن لانهُ لو كان ماخوذاً من الشهباء لكان ذلك من باب النسبة ومعلوم ان كلمة شهاب ليست في شيء منها

ان آل هذا البيت من العرب المستعربة من ذرية اسمعيل قدموا من الحجاز وذلك ان النبيّ محمداً (صلعم) لما هاجر في سنة ٦٢٢ ب ٠ م كان الحرث في جملة الذين امنوا به ومن صحبه وقد شهد معه وقعة حنين وبها اكرمهُ بماية من الابل ولما كانت سنة ٦٢٤ شهد معه ايضاً يوم بدر وقد آمن بالرسول ايضاً مالك بن الحرث وفي سنة ٦٣٣ وجه ابو بكر الصديق ابا عبيدة الجراح لمحاربة النصارى بدمشق وفتحها وجعل الحرث بن هشام اميراً على بني مخزوم تحت لواء ابي عبيدة فقهروا النصارى في اجنادين واليرموك ومرج الصفر وفي سنة ٦٣٥ ب م قتل الحرث في فتح دمشق وكان شجاعاً وشاعراً مجيداً وفي السنة التالية ٦٣٦ ب م اقر عمر بن الخطاب مالكاً بن الحرث اميراً بحوران لنجدة العساكر التي تجيء من صوب الحجاز فاتخذ له الشهباء احدى قرى حوران موطناً لهُ ولعشيرته وقام هنالك بالمرصاد للنصارى من بني غسان ومنع عليهم حوران بعد ان جرت لهُ معهم مواقع عديدة ثم توفي الامير مالك في سنة ٦٦٦ ب م وولي الامارة بعده البكر من ولده الامير سعد وخلف الامير سعداً ولدهُ الامير قاسم وفي سنة ٧٣٧ جهز قاسم اخاه وقاحاً بثلاثة الاف فارس ليحاربوا مع مسيلة بن عبد الملك الروم بالقسطنطينية وخلف الامير قاسماً ولدهُ شهاب

وفي سنة ٧٨٠ ب م وجه شهاب اخاه سليمان مع الرشيد بن المهدي
لقتال الروم عند خليج القسطنطينية ثم توفي شهاب فخلفه ولده محمد وتوفي
محمد فخلفه ولده قيس وتوفي قيس فخلفه ولده عامر الملقب بالاذرعي
نسبة الى قرية يقال لها اذرعات المعروفة اليوم باذرع استوطنها بعد
ان دحر العساكر التي جهزها احمد بن طولون صاحب الشام لقتال من
سمع بقدومهم من عرب الحجاز الى حوران ثم توفي عامر فخلفهُ ولدهُ
سعيد وفي سنة ٨٩٥ ب م قاتل الامير سعيد القرامطة وهم يبغون الاستيلاء
على حوران فدحرهم ومنعها عليهم وتوفي سعيد سنة ٩٣٣ وتولى الامارة
بعده الامير خالد وهو البكر في اولاده وتوفي خالد سنة ٩٥٩ ب م
فخلفه ولده الامير مسعود ثم توفي هذا في سنة ٩٨٧ ب م وتولى الامارة
بعده ولده عمرو وتوفي عمر في سنة ١٠١٠ ب م فخلفه ولده الامير مسعود
وفي سنة ١٠٤١ ب م توفي مسعود وتبوأ الامارة ولده محسن وتوفي محسن
في سنة ١٠٧١ فكانت الامارة لولده بشير وتوفي بشير في سنة ١١٠٥ ب م
وقام على الامارة بعده ولده الحسن وتوفي هذا في سنة ١١٢٧ ب م وصار
بعدهُ ولده مسعود اميرًا ثم توفي مسعود في سنة ١١٥٤ ب م وتقلد الامارة
بعده ولده عمرو ثم توفي عمرو في سنة ١١٧٢ وخلفه ولده منقذ وحدث
في ايام هذا الامير ان وقعت نفرة بين نور الدين زنكي ملك الشام
وصلاح الدين يوسف الايوبي ملك مصر فمال الامير منقذ والامراء
ذوو قرباه الى صلاح الدين ولما اضرم صلاح الدين حربًا على الافرنج
اعانوه كثيرًا عليهم وكان يوليهم طليعة جيوشه ولما تصافى نور الدين
وصلاح الدين ورجع هذا الى الديار المصرية وقعت النفرة بينها مر

اخري اوجس الامير منقذ من نور الدين خيفة فجمع لديه الامراء ابناء اعمامه
ووجوه عشيرته والعقلاء فيها وشاورهم في الرحيل من حوران فوافقوه فانتزحوا
الى الجسر اليعقوبي يبغون الذهاب الى الديار المصرية وكانوا عشرة امراء
الامير منقذ وولده الامير نجم والامير فاتك والامير حيذر والامير عباس
واخويه الامير علي والامير غالب وبني عمه الامير سعد والامير جابر
والامير حمزة وبلغت عشائرهم خمسة عشر الفاً ولما علم نور الدين انهم راحلون
ارسل يلاطفهم ومنحهم المنح واهدى اليهم الهدايا وسالهم البقاء في مواطنهم
آمنين فأبوا فعاد وعرض عليهم المقام بدمشق فاعتذروا انهم الفوا سكنى
البادية لا الحواضر فاباح لهم السكن حيثما شاؤا فنزلوا بيداء الظهر الاحمر من
الكنيسة الى الجديدة عند وادي التيم وكان وادي التيم اصبح في قبضة الافرنج
الذين استوطنوا حاصبيا وجعلوها منيعة بالحصون وادوات الحرب والعساكر
وكان قائد الافرنج الكونت اوز فلما بلغه نزول اولئك الامراء بقومهم عند
وادي التيم جمع لديه خمسين الف مقاتل وسال ذفاتر الافرنجي صاحب قلعة
الشقيف ان يمده بعث من عنده فجهز له بعثاً خمسة عشر الف مقاتل فزحف
الكونت اوز بعساكره يبغي قتال الشهابيين ولما التقى الفريقان لعبت النخوة
براس الامير منقذ فاستل حسامه واغار على الاعداء فتبعه قومه فغوروهم وقتلوا
منهم عدداً كبيراً ثلاثة الاف رجل واما هم فلم يقتل منهم الا ثلثمائة فارس
وارسلوا الى نور الدين يبشرونه بذلك الفوز العظيم ولما اصبح صباح اليوم
التالي وقف الفريقان موقف القتال فانبرى واحد من قادة الافرنج وصاح
باعدائه الي بانجمكم فبرز له الامير نجم ابن الامير منقذ فاستويا في المكافحة
ثم لاحت للامير نجم لايحة فاستل خنجر الافرنجي وطعنه به طعنة كانت هي

فانهزمت الافرنج الى الحولانية وفرّ الكونت في خمساية رجل الى حاصبيا
واسر الشهابيون خمساية من الافرنج وارسلوهم الى نور الدين فاثنى عليهم
واعجب بشجاعتهم ثم افتتح الشهابيون حاصبيا بحد السيف وقتلوا الكونت
واصحابه و بعث الامير منقذ برؤوسهم الى نور الدين فسرّ نور الدين
بذلك وجعله اميرًا على البلاد التي فتحها واما ذفاتر صاحب قلعة الشقيف
فلما علم بانكسار قومه بعث الى الامير منقذ يرتاد الصلح وكان يومئذٍ
الامير يونس المعني اميرًا على الشوف فهنأ الامير منقذًا بانتصارهِ وجرت
بينهما مودة ومصاهرة فتزوج محمد بن منقذ بطيبة بنت يونس وابن يونس
بنت منقذ و يومئذٍ تحالف البيتان على المودة والاخاء وجرت بينهما عقود
الزواج وفي سنة ١١٩٣ ب م توفي الامير منقذ فخلفه ولده الامير نجم
وتوفي هذا في سنة ١٢٢٥ فتولى الامارة بعده ولده الامير عامر وجرت
لهذا الامير مواقع مع ابن عم الكونت اور في سنة ١٢٤٠ نجده فيها الامير
سيف الدين المعني وافضت الى استيلاء الامير عامر على الديار القريبة من
وادي التيم وخصه صلاح الدين باقطاعات من البقاع وفي سنة ١٢٥٨
ب م توفي الامير عامر وتولى الامارة بعده ولده الامير قرقماز فقتل ثلاثة
من الامراء ابناء عمهِ الامير سلمان والامير محمدًا والامير جابرًا لانهم
تآمروا على قتله واستحضر بين يديه بقية الامراء وقطع على مرأى منهم
عشرة رؤوس من اصحاب الامراء الذين قتلهم فوقع الرعب في قلوبهم ثم
حذّرهم الاغترار وفي سنة ١٢٨١ ب م نجد الملك المنصور قلاون الالفي
ملك مصر على جيوش المغول عندما كانت زاحفة الى الشام فانهزمت
المغول فأكرم الامير وفي سنة ١٢٨٧ ب م توفي هذا الامير وكان شجاعًا

هماماً حكيماً صبوراً مستبداً عنيداً ولكن عادلاً فخلفه ولده الامير سعد وكانت المغول قد استفحل امرهم وبلغوا وادي التيم فارسل الامير سعد نساءهُ الى جبل الشوف من لبنان مع ولده الامير علي وجمع اخوته وابناء عمه وغلمانه وفرسانه يريد ان يرحل بهم فاحدقت بهم المغول قبل الرحيل ونكلت بهم تنكيلاً فلما انسدت في وجه الامير سعد المسالك وايقن انه على شفا حفرةٍ من الهلاك صاح بقومه فهجموا دفعةً واحدةً واخترقوا صفوف المغول ونفذوا الى صحرا كامد بالبقاع والتتر من خلفهم حتى عبروا نهر الغزيّز ودجا الليل فارتد التتر عنهم ومضى الامير بقومه الى بطحاء نهر الصفا حيث كانت مضارب نسائهم وبعد خمسة اشهر من ذلك رجع الامير سعد بقومه وكذلك اقرباءه الامراء الى بلادهم وكانوا جميعاً نحواً من خمسماية فكانت بلادهم خالية خاوية فنزل الامير سعد بهم بظاهر حاصبيا ثم شرع في ترميم مساكن هذه البلدة واما بقية قرى وادي التيم فبقيت في حالتها من الخراب مدة خمس سنين وفي سنة ١٣٢١ ب م توفي الامير سعد مطعوناً فخلفه في الامارة ابنه حسين وفي سنة ١٣٤٩ اغرى الملك عماد الدين الالفي المحاربة بين مقدمي البقاع جمعة الحرباني النابلسي ومحمد بن صبح وبين الامير حسين وذلك لنفرة وقعت في قلب الملك من هذا الامير فقهر الامير اعداءه ورجع الى حاصبيا ظافراً بعد ان احرق البقاع ثم توفي الامير حسين في سنة ١٣٤٩ ب م وخلفه ولده ابو بكر وتوفي في سنة ١٣٨٠ ب م وخلفه ابنه محمد ولما غشي تيمورلنك بجيوشه بلاد الشام انتزح سكان وادي التيم ديارهم الى لبنان فنزل الامير محمد بعياله الشوف من هذا الجبل ثم رجع مع المنتزحين الى اماكنهم بعد ان رجع تيمور عن

الشام ولم يطأْ ارض وادي التيم وفي سنة ١٤٠٦ ب م توفي الامير محمد فتولى الامارة من بعده ابنه الامير قاسم وفي سنة ١٤١٣ اشهد هذا الامير ورجاله . وقعــة جرت للملك داود الجركسي مع الافرنج عند نهر الدامور فابلى مع الملك بلاء حسناً فاكرمه الملك وفي سنة ١٤٤٢ ب م توفي هذا الامير فخلفه ابنه احمد ومات هذا في سنة ١٤٧٥ ب . م وخلفه ابنه علي وانتزع من علي عمه الامير بكر بن قاسم الامارة وتولاها بنفسه بعد ان قبض على علي وسجنه ولكن لم يلبث الامير علي ان خلع باب السجن فالفى خيلاً مسرجة وعندها سيف فركب جواداً منها وتقلد السيف وجعل على وجهه لثاماً من طرف عمامته حتى اذا ما خرج من القرية ارخى العنان لجواده ووجهته البقاع واذ نمي ذلك الى الامير بكر بث وراءه العيون فلم تقع عليه عين واما علي فما بلغ سفح الجبل حتى سقط جواده من تحتهِ ميتاً فاذا برجل وامامه مهرة تحمل زبيباً فقال الامير للرجل اما المهرة ولك حلية هذا الميت بدلاً منها واما الموت قال ذلك وسيفه مسلول بيمينهِ فاختار الرجل الحلي ودفع المهرة الى الامير فركبها وسار حتى بلغ بعقلين عند الصباح ونزل ضيفاً على خاله الامير يونس المعني فاكرمه فلبث عنده سنة واحدة كان في اثنائها ذوو قرباه ورجال حزبه يراسلونهُ و يسالونهُ الرجوع اليهم فاجاب سؤْلهم ورجع و بينما كان في الطريق لقيه مائة فارس من حزبه وساروا يحفون به واما الامير بكر فلما احس بقدومهِ استنهض سائر الامراء عليه فصانعوه بالوعد انهم يتبعونه فلما خرج الى لقائه ليفتك به بلغ بطحاء الشميسه ولم يرَ من حولهِ الا غلمانهُ واما الامراء فاخلفوا الوعد لما اوغرت به صدورهم من الكراهية له والحقد عليه فاصطدم هنالك الاميران

فطعنه الامير علي برمحه طعنة في صدره اختطفت روحه وقتل ثلاثين رجلاً من جماعته وسار الى حاصبيا فتولاها وفي سنة ١٥٠٣ ب٠ م توفي الامير علي وخلفه ابنه الامير منصور وقد شهد هذا الامير حرباً شبت في سنة ١٥١٥ اب م بين السلطان سليم والملك احمد قانصوه الغوري الجركسي ملك الشام ومصر وكان في الظاهر متحيزاً مع الملك ولكن في الباطن تواطأ مع الغزالي نايب الملك في الشام وخيربك نايبهُ في مصر ان يفروا عند السانحة الى عساكر السلطان لينضموا معها على الملك فادرك الغوري خيانة نايبه فجعلهما في طليعة الجيش يبغي بذلك استهدافهما للهلكة واما هما ففرّا الى عساكر السلطان ومعهما الامير منصور وفريق من ارباب المناصب السامية في لبنان فقتل الغوري وكان الفوز للسلطان سليم وفي سنة ١٥٣٥ ب م توفي الامير منصور وخلفه ابنهُ الامير ملحم وفي سنة ١٥٦٤ ب م توفي الامير ملحم وتولى الامارة بعده ابنه الامير منصور البقري وقد جاءته هذه النسبة نسبة البقري من امه كانت بنت الشيخ محمد البقري الدمياطي وفي سنة ١٥٩٧ توفي منصور وتولى الامارة بعده علي احد ولديه علي واحمد ثم وقع خلاف بين الاخوين بسبب بنت علي طلبها احمد لابنه من ابيها فامتنع اذ كان قد وعد الامير علي فخر الدين المعني ان يزوجها منه فاغاظ ذلك احمد فانتقل باصحابه الى راشيا وجعل يتربص باخيه شر الوقيعة وكذلك بالمعنيين حتى كانت سنة ١٦١٢ اذ خرج احمد باشا الحافظ على المعنيين يريد محاربتهم فكان الامير احمد بمنزلة مدبر لهُ ولما رجع الباشا من لبنان الى دمشق ساله الامير احمد الولاية على حاصبيا والمدد بعسكر لمحاربة اخيه علي فكان له ذلك وانتشبت بينهما الحرب عند حاصبيا

فانهزم الامير احمد وقتل من رجاله ماية ولم يقتل من رجال اخيه غير ثلاثين ثم عاد الامير علي الى حاصبيا الا انه لم يمكث هنالك لخوفه من الحافظ فتغيب بجماعته الى عرمتا من جبل الريحان ثم عاد الى حاصبيا ثم ضم الى ولايته مرج عيون والحولانية فاصبحتا من وادي التيم واما الامير احمد فما زال على عزمه فسار من راشيا الى دمشق وسأل واليها جركس باشا ولاية وادي التيم فمنحه ذلك وصحبه بعسكر فلما بلغ اخاه علياً ذلك فر الى مجدل شمس وسير عياله الى راشيا ثم استرد علي ولاية حاصبيا بمال دفعه الى جركس باشا واشترط الباشا عليه ان يبقى اخوه احمد على ما كان عليه في راشيا وفي سنة ١٦٢٠ استعان الامير فخر الدين المعني وكان من منذ سنتين قد قدم من ديار الافرنج بالامير علي على آل سيفا فانتصر عليٌّ في المواقع ثم حدث له بعد ذلك ان خرج مرة مع ابنيه طلباً للصيد في ضواحي قرية شويا فطلع عليه اخوه احمد من راشيا فاقتتلوا جميعاً ولما بلغ امر الاخوين الامير فخر الدين المعني سار من بيروت نحو البقاع ونزل بقرية مشغرا واستقدم الاميرين اليه فاصلح بينهما وقسم وادي التيم بينهما مناصفة ولما كانت سنة ١٦٢٣ اعان محمد واخوه قاسم ابنا الامير علي وعمهما الامير احمد وابناه الامير حسين والامير فارس الامير فخر الدين المعني في محاربته مصطفى باشا والي دمشق عند وادي المجدل فهزموا عسكر دمشق واسروا الباشا وثلاثة وثلاثين رجلاً من عسكره . ورجعوا الى وادي التيم فرحين بما نالوه من النصر الكبير وفي سنة ١٦٢٦ توفي الامير علي منصور وتولى بعده ولده الامير قاسم ثم توفي الامير احمد منصور اخو الامير علي في سنة ١٦٢٩ ولهُ حسين وفارس فخلفه حسين وفي سنة ١٦٣٣

حدثت محاربة بين عساكر الشام وبين الامير علي بن الامير فخر الدين المعني فانتصر له الاميران قاسم وحسين الشهابيان فانهزمت عساكر الشام وقتل الامير علي ثم تزوج الامير حسين بنت الامير ملحم المعني واعانه مع الامير قاسم في محاربة جرت بينه وبين العساكر التي سيرها بشير باشا والي الشام بقيادة الامير علي علم الدين اليمني لقتال الامير ملحم المذكور فانهزمت العساكر وفي سنة ١٦٥٢ توفي الامير قاسم علي وخلفه منصور احد ولديه منصور وناصيف وسنة ١٦٥٩ توفي الامير حسين وله علي وبشير فتولى علي وفي سنة ١٦٦٠ فرّ الامير قاسم منصور والامير علي حسين بعيالهما الى قمهز في جبل كسروان ومعهما ست مئة رجل ونزلا على المشايخ بني حمادة من حزب القيسية وذلك هرباً من احمد باشا الكبرلي والي الشام ابن محمد باشا الكبرلي الصدر الاعظم لان هذا الوالي زحف بعساكره لمحاربتهما لما نمي الى السلطان من امر اغرائهما الدمشقيين على مقاومة الوالي السلف مرتضى باشا من الدخول لدمشق فاتى احمد باشا وادي التيم وهدم مساكن الشهابيين في حاصبيا وراشيا واحرقها بعد ان نهبها وقطع ما لهم من الاشجار في وادي التيم ومرج عيون والبقاع ثم جعل يقفو اثر الاميرين وهما يفران من وجهه حتى اضطرا اخيراً ان يختبئا في الجبل الاعلى عند حلب ولما كانت سنة ١٦٦٧ كتب الامير احمد المعني الى الاميرين الشهابيين يبشرهما بالانتصار على اليمنية ويستقدمهما من الجبل الاعلى الى الشوف فقدما وذهب الامير منصور الى حاصبيا واقام بها والامير علي الى راشيا واقام بها وفي سنة ١٦٧١ سير الامير علي عمه الامير فارساً الملقب بالكبير الى البقاع ليفتك ببني حيمور لانهُ كان لهم يد في قطع

اشجار الشهابيين في البقاع وكانوا في طليعة عسكر الكبرلي عند وادي التيم فابتغتهم وهزمهم الى دمشق فاستعانوا بوالي هذه المدينة فامدهم بالمقاتلين فكرّوا على الامير فارس وكسروه ودخلوا راشيا واحرقوا دار الامير فارس ودار الامير علي وفي سنة ١٦٧٤ توفي الامير منصور قاسم وخلفهُ ابنه الامير موسى فتزوج هذا الامير بنت الامير احمد المعني وفي سنة ١٦٨٠ حدثت موقعة بين الامير فارس الكبير وكان قد تولى بلاد بعلبك و بين الامير عمر الحرفوش وجماعته من بني حمادة المتاولة فقتل الامير فارس وخمسون رجلاً من جماعته فاتصل ذلك بالامير موسى فزحف برجاله من حاصبيا ووافاه الامير علي نجم من راشيا يريدان ان يثأرا بالامير فارس فلما احس بهما الامير عمر الحرفوش خف من بعلبك الى الشوف يسأل الامير احمد المعني ان يتوسط في الامر ويجري المصالحة بينه وبين الشهابيين ففعل وكان من شروط الصلح ان بني حرفوش يؤدون الى بني شهاب خمسة الاف غرش في كل سنة واثنين من جياد الخيل وذلك دية الامير الذي قتل ولما كانت سنة ١٦٨٢ توفي الامير علي نجم في راشيا واذ لم يكن لهُ الا ولد صغير خلفه اخوه الامير بشير وفي هذه السنة نفسها ولد للامير موسى الامير حيدر وهو جد الامراء الشهابيين في لبنان ولما كانت سنة ١٦٩٦ توفي الامير احمد المعني بدير القمر فانقطعت به سلالة بني معن وانتقلت الولاية على لبنان الى الامراء الشهابيين وذلك ان كبار القوم في لبنان اتفقوا على تولية الامير بشير ابن الامير حسين الشهابي امير راشيا من زوجه اخت الامير احمد المعني المتوفى في السنة التي ذكرت والامير بشير هذا هو اول بشير من آل شهاب ممن تولوا لبنان

وقد تولى الجبل من بعده بشير الثاني الذي فاق جميع الامراء شهرة ثم بشير الثالث كما سياتي بيان ذلك فيما بعد قلنا ان كبار القوم اتفقوا على بشير حسين فتولى الجبل وكان الوالي على صيدا يومئذ مصطفى باشا فدفع الى يد الامير بشير بناء على التماس كبراء لبنان زمام جميع الانحاء التي كانت في يد الامراء المعنيين على ان يقوم الامير بشير باداء الضريبة المعينة مع الباقي مما سلف منها ثم رفع امر ذلك بعريضة الى السلطان واتفق حينئذ ان عزل والي صيدا مصطفى باشا وجعل مكانه ارسلان باشا المطرجي فورد امر السلطان قاضياً بالولاية للامير حيذر الشهابي بعد الامراء المعنيين لانه احق بذلك من غيره لكونه ابن بنت الامير احمد المعني وكان ذلك بسعي الامير حسين ابن الامير فخر الدين المعني الباقي من سلالة المعنيين محجوراً عليه في اسلامبول فابلغ ارسلان باشا امر السلطان الى الامير بشير فسأل الامير من الباشا ان يلتمس لهُ من السلطان ان يكون والياً بالنيابة عن الامير حيذر لان عمر حيذر لا يتجاوز الاثنتي عشرة سنة فاجيب ملتمسه على ان يكون ذلك حتى يبلغ حيذر اشده فيتولى الجبل واذ ذاك فر الامراء اليمنيون الى دمشق لانهم تظاهروا بعدم قبول ولاية الامير بشير ولما كانت سنة ١٧٠٠ خرج صاحب بلاد بشارة من شيوخ المتاولة عن طاعة ارسلان باشا فاثار الباشا الامير بشيراً عليه واباح له الاستيلاء على صفد وانحاء جبل عامل وبلاد بشارة واقليمي الشحار والتفاح وبلاد الشقيف فزحف الامير على الشيخ بثمانية الاف مقاتل من القيسيين وامسكه وامسك اخاً له ومدبراً لهما بعد ان فتك برجالهم فتكاً ذريعاً ثم ارسل الثلثة الى الباشا فقتل الباشا المدبر وسجن الاخوين وجعل ولاية

الامير من صفد الى جسر المعاملتين وفي سنة ١٧٠٦ توفي الامير بشير وقيل توفي مسموماً بسم دسه لهُ الامير حيذر في بعض الحلوى فاجتمع كبراء اللبنانيين وساروا الى حاصبيا ليولوا الامير حيذر ابن الامير موسى عليهم وكان عمر هذا الامير حينئذٍ احدى وعشرين سنة وكان لهُ ولدان الامير ملحم والامير احمد فاتى الامير دير القمر ونهج في الولاية على طريقة اسلافه ولما تولى صيداء بشير باشا بدلاً من اخيه ارسلان باشا فصل عن ولاية الجبل الانحاء التي كان اخوه قد ضمها اليها على عهد الامير بشير ثم التمس الامير حيذر من بشير باشا الولاية على بلاد بشارة فمنحه اياها وفي سنة ١٧٠٧ حدثت بين الامير والمتاولة عند قرية النبطية وهو سائر الى بلاد بشارة للاستيلاء عليها موقعة ابلى الامير ورجاله فيها بلاء حسناً وقتل كثيراً من قومهم وجعل الامير على بلاد بشاره محمود ابي هرموش الدرزي نائباً عنه ورجع الى دير القمر غير ان محموداً هذا تغيظ عليه الامير وفرَّ الى صيدا ملتجئاً الى واليها بشير باشا فحماه واستحصل لهُ على لقب باشا وجعل الامير يوسف ارسلان بدلاً من الامير حيذر على الولاية ووجههُ مع محمود باشا ابي هرموش لطرد الامير حيذر ففرَّ الامير حيذر بجماعته الى الهرمل واختبأ في مغار فاطمة هناك عند سفح الجبل ولبث هنالك نحواً من سنة وكان ذلك سنة ١٧١٠ وفي السنة التالية قدم من الهرمل الى المتن ونزل عند المقدم حسين اللمعي فاجتمع اليه الاعيان من القيسية في الشوف وغيرها من اللمعيين والعماديين والخازنيين واما محمود باشا فاستعان بوالي دمشق ووالي صيدا فامداه بالعساكر فاضطرمت نيران الحرب بين محمود باشا والامير في عين دارة ففتك رجال الامير في اعدائهم

فتكاً ذريعاً وسدوا عليهم جميع المسالك وسار الامير الى الباروك ومعه
اربعة من الامراء آل علم الدين اليمنية مأسورين الامير يوسف والامير
علي والامير منصور والامير احمد فقطع اعناقهم بعد ان كان قد قتل
الباقون من الامراء ذوي قرباهم في الموقعة فانقطعت بهم سلالة آل علم
الدين ثم امر بتر لسان محمود باشا وابهاميه وتجاوز عن الاجهاز عليه احتراماً
للدولة وصيانة لعادة البلاد ثم سارَ الى دير القمر وتربع في دست الولاية
واباح الزواج بينه و بين اللمعيين فتزوج بنت الامير حسين اللمعي وازوج
بنته من الامير عساف ابن الامير حسين واقطعه قاطع بيت شباب و بكفيا
ثم تزوج من ام الامير مراد واقطعه نصف المتن و بسكنتا فولد له منها
الامير عمر جد الامير بشير الكبير المشهور وازوج اخته من الامير عبدالله
واحبه بما رأى منه من شدة الباس في وقعة عين دارة ونزع بعض
الاقطاعات من ايدي اصحابها وسلمها الى اهل احلافه من القيسيين وفي
سنة ١٧٢٣ استقدم الامير حيذر اليه الامير احمد منصور من حاصبيا
وامر بقتله اغتيالاً فقتل وهو نائم في دار الامير حيذر من ولدي حيذر
نفسه ملحم واحمد وسعى في قتل الامير احمد ابن عم الامير نجم امير حاصبيا
على يد الامير نجم نفسه فنجا الامير سيد احمد من المكيدة فاراً الى دمشق
وفي سنة ١٧٢٩ دفع الامير حيذر زمام الولاية الى يدولده الامير ملحم وكان
كفوءاً لها ولما كانت سنة ١٧٣٢ توفي الامير حيذر بدير القمر وله من
الولد تسعة الامير ملحم والامير احمد والامير منصور والامير يونس والامير
علي والامير حسين والامير معن والامير بشير والامير عمر وهم من ازواج
عدة ففي ايام حيذر ارتفع شان القيسية واندرس ذكر اليمنية ولما تولى الامير

ملحم التمس من اسعد باشا العظم ان يتجاوز لهُ عن ولاية بلاد بشارة وذلك لغرض في نفسه وهو الانتقام من اصحاب هذه البلاد بني علي الصغير فولاه اياها فبطش بهم واهلك من جماعتهم عدداً كبيراً واعتقل مقدمهم نصار ورجع به الى لبنان ثم افتداه اخوته بمال دفعوه الى الامير فرضي عنه وعنهم واعادهم عمالاً على البلاد من لدنه وقد عظمت شوكة الامير وطفق جماعته يعتدون في البقاع فحنق والي دمشق سليمان باشا العظم على الامير ونوى الوقيعة في جماعته فاعتذر الامير لديه عنهم واسترضاه بوعد ان يدفع اليه خمسين الف غرش وجعل اخاهُ الامير حسين رهناً عند الباشا حتى يؤدي المبلغ فقبل الباشا ورجع بعسكره الى دمشق ولما توفي اخو الامير ملحم الامير عمر ولهُ قاسم ضم الامير قاسماً الى عياله وتولى تربيته بنفسه حتى نما وشب فجعله مدبراً لشؤون عظيمة

وفي سنة ١٧٤٣ شاقَّ اصحاب جبل عامل المتاولة والي صيدا سعد الدين باشا العظم واعتدوا على جزء من ولاية الامير اقليم التفاح فنهض الامير اليهم وقد اوعز اليه من الباشا ان قاتلهم فقاتلهم وهزمهم شر هزيمة واسر اربعة من شيوخهم ولم يخلِ سبيلهم الا بفدية ستة آلاف غرش تدفع اليه وفرسين من جياد الخيل في كل سنة · وفي سنة ١٧٤٨ حدثت موقعة بين الامير وبين اسعد باشا العظم عند برّ الياس فانهزم الباشا وظلَّ الامير في اثره حتى الجديدة فقتل من العسكر الدمشقي خلقاً كثيراً ثم رجع الى البقاع فاحرق قراها بعد ان نهب وسلب كثيراً ثم عاد الى مقره منصوراً ثم ارسل الى بلاد بعلبك عسكراً لنهبها وخلع عاملها الامير حيدر الحرفوش لانه تظاهر للباشا في تلك الموقعة وجعل مكانهُ اخا حيدر هذا

الامير حسين الحرفوش لانه تظاهر لهُ وحدث ذلك كله واسعد باشا متغيب بالحج فلما رجع استشاط غيظاً وهمَّ بحشد المقاتلين للوقيعة في الامير غير انه لم يلبث ان ضرب عنقه بامر من السلطان وتولى مكانه اخوه سعد الدين باشا ٠ ولما كان الامير قد رزح تحت اعباء نفقات كبيرة بسبب تلك الحوادث عجز عن اداء المال المضروب على بلاده الى والي صيدا عثمان باشا الذي خلف سعد الدين باشا فهمَّ الباشا بمقاتلته اذ ارسل فاحرق اقليم التفاح وقطع شجر الزيتون عند نهر صيدا وحضر الامير بعسكره الى مزبود من اقليم الخروب ووافى الباشا من دمشق واليها ليتعاونا على مقاتلة الامير الا انه عاد عثمان فكفل المال المطلوب من الامير وافترقا متصالحين وفي سنة ١٧٤٩ ضمت بيروت الى ولاية الامير فتوطنها الامراء الشهابيون وبقيت الولاية عليها في يدهم الى عهد الجزّار ٠ ثم حدث في السنة التالية ان المتاولة سطوا على اقليم جزين وقتلوا اثنين من جماعة الشيخ علي جنبلاط فكبر ذلك على الامير وزحف اليهم برجاله فالتقى ببني منكر منهم بجباع الحلاوة فقتل ثلثمائة رجل منهم واتبع بعسكره الفارين منهم فاهلكهم وتناول بالوقيعة بقية تلك الديار ثم عاد ووقعت فتنة بين جماعة الامير وجماعة سليمان باشا والي دمشق ادَّت الى النفرة بين الامير والباشا فاشتد غيظ الباشا وحنقه وشرع في حشد الجنود لمقاتلة الامير فتوسط الصلح بينهما مصطفى باشا القوّاس والي صيدا على ان الامير يدفع الى سليمان باشا خمسة وسبعين الف غرش ٠ وحدث في سنة ١٧٥١ ان سخط الامير ملحم على بني نكد فالقى الفتنة بين كبيرين منهم الشيخ خطار والشيخ كليب فتعاديا باشد ما كانا عليه من ذي قبل فاخرجهما الامير من البلاد فسارا

الى حاصيا فاحرق الامير منازلهما بدير القمر ثم عاد فرضي عنهما بشفاعة شفيعٍ لديه · وفي سنة ١٧٥٤ بلي الامير بضعفٍ في جسمه فطمع فيه الطامعون من اهل البلاد فاتفقوا مع اخويه الامير احمد والامير منصور على خلعه فاضطر الامير ملحم اخيراً ان يتخلى لاخويه عن الامارة لاستظهارهما عليه فتوليا اما هو فنزل بعيالهِ الى بيروت وتوطنها وعكف على درس الفقه وعاشر العلماء · وفي تلك السنة تنصَّر الامير علي حيذر ومن ابناء الامير ملحم الامير قاسم و الامير سيد احمد والامير حيذر ثم تنصر غالب الامراء الشهابيين ثم الامراء اللمعيون

وفي سنة ١٧٥٥ تشاق الاميران احمد ومنصور مع ابن اخيهما الامير قاسم واذ كان الامير ملحم واجداً على اخويه وفي صدره منهما حزازات اغرى ابن اخيه الامير قاسماً على الذهاب الى اسلامبول واستحصال الولاية على جبل الشوف والولاية على بلاد جبيل على ان تكون الاولى للامير ملحم والثانية للامير قاسم اقطاعين لهما ولابنائهما من بعدهما فسار الامير قاسم الى اسلامبول ونزل الامير على مصطفى باشا القواس الذي كان قد استقدم من صيدا وجعل وزيراً للدفترية فاكرمه الوزير وسعى الى قضاء حاجته عملاً بكتاب شفاعة رفعه اليه الامير من عمه الامير ملحم الذي كان الباشا يوده ولكن لم يلبث الباشا ان عزل عن منصبه بسبب تغيير في المناصب على اثر وفاة السلطان عثمان وتبوأ السلطان مصطفى مكانه في الخلافة ومع ذلك فقد ذهب مصطفى باشا بالامير الى علي باشا الحكيم قيم الدفترية فترحب به علي باشا وابقاه عنده مدة ثم وجهه بكتاب منه الى والي دمشق عبدالله الشيخي ليبقي الامير عنده حتى تقضى له حاجته فكان

ذلك واقام الامير بدمشق تجري عليه الوظايف من يد الباشا واليها وحدث في سنة ١٧٥٩ ان توفي علي باشا ثم عزل عبدالله الشيخي كل ذلك والامير قاسم لم تكن تقضى حاجته فضاق صدره واشتد ياسه وقنوطه فخرج من الشام واتى فالوغا ونزل ضيفاً على الامير شديد مراد اللمعي ولبث عنده حولاً وفي سنة ١٧٦١ توفي الامير ملحم في بيروت ودفن في جامع الامير منذر التنوخي وكان له ستة من الولد محمد و يوسف وقاسم وسيد احمد وافندي وحيدر وفي ايامه حدثت الفتنة المشهورة بذات الحزبين اليزبكي والجانبلاطي فاصحاب الحزب اليزبكي بنو عماد وجماعتهم واصحاب الحزب الجانبلاطي بنو جانبلاط واحلافهم و كتب الاميران احمد ومنصور الى ابن اخيهما الامير قاسم يريدان مصالحته فعاهدهما على المصافاة والمسالمة واقبل عليهما من فالوغا الى دير القمر ثم نزل الى حدث بيروت وتوطنها فورد عليه من اسلامبول براءة في الامارة وذلك بسعي مصطفى باشا اذ اعيد الى العاصمة وتولى الصدارة فكتب الامير في ذلك الى عميه وارسل اليهما البراءة متجاوزاً لهما عن الامارة على ان يدفعا اليه نفقة الرسول الآتي بالبراءة من العاصمة سبعة الاف غرش فامتنعا وكتبا اليه بما يشف عن امتناعهما فعزم اذ ذلك على اقرار نفسه في الولاية واستعان بوالي صيدا نعمان باشا بعد ان اطلعه على البراءة فاعانه وعززهُ بعسكر من عنده فزحف الامير قاسم بالعسكر الى بيروت واستولى عليها ففرَّ عماه منها هاربين الى الجبل حيث جمعا الوجوه والاعيان فكتب هولاء كتاباً الى الوالي يلتمسون منه عزل الامير قاسم واعادة الامير احمد واخيه الامير منصور الى الولاية بمبلغ قدره خمسون الف غرش يدفع اليه في جانب التماسهم فارسل وعزل

الامير قاسماً واعاد الولاية الى الاميرين فمضى الامير قاسم عند ما بلغه امر العزل الى البقاع ولكن توسط في الصلح بينه وبين عميه احمد ومنصور عمه الامير علي والشيخ عبد السلام العماد واتى الامير قاسم عين دارة التي كانت من اقطاعه وعقد الصلح هناك فاقام بها حولاً ٠ وفي سنة ١٧٦٢ ازوجه عمه الامير منصور من ابنته فولد له منها الامير حسن والامير بشير الملقب بالكبير وهو تاج فخر الامراء الشهابيين بلبنان ثم انتقل الامير قاسم من عين دارة الى بشامون حيث مكث اربع سنين ثم مضى الى بيروت فلبث بها اياماً وانتقل منها الى غزير فمكث سنتين ثم توفي هنالك اما الاميران احمد ومنصور وقد مال احدهما احمد الى اليزبكية وعميدها الشيخ عبد السلام عماد والاخر منصور الى الجانبلاطية وعميدها الشيخ علي جانبلاط فحدثت بينهما فتنة افضت الى استبداد الامير منصور بالولاية من دون اخيه وانحرف عن الامير احمد رجال حزبه ومنهم الشيخ عبد السلام العماد والشيخ شاهين تلحوق اتيا دير القمر خافضي جناح الطاعة للامير منصور واما الامير يوسف وقد كان متحيزاً الى عمه الامير احمد فلجاء بنفسه وباخوته الى الشيخ علي جانبلاط بالمختارة ومن ثم سار الى راشيا ومعه الشيخ كليب والشيخ خطار من بني نكد وهما كانا مشايعين للامير احمد ونزل ضيفاً على الامير منصور سيد احمد فجعل عمه الامير منصور والي لبنان يده على امواله واموال اخوته وخرب مساكن الشيخين اللذين صحباه وقطع اشجارهما ثم شفع بعض في الامير يوسف لدى عمه واسترضوه عنه فرضي ولكن لم يرفع يده عن امواله واموال اخوته فبقيت في صدر الامير يوسف حزازات وجعل مدبر هذا الامير الشيخ سعد الخوري

يدس الدسائس الى كبراء البلاد يبغي اصلاح امر الامير واستمالة النفوس اليه وقد اثرت دسائس المدبر في الشيخ علي جنبلاط خصوصاً بعد ان سأل الامير منصور ان يتجاوز عن اموال اولاد اخيه الامير يوسف واخوته لهم وابى ان يجيب سؤاله فارسل الشيخ واستقدم الشيخ كليب نكد اليه وتواثقا على الانتصار للامير يوسف والمشايعة له واستخدما شيخ عقل الدروز لانفاذ رغبتهما فجعل شيخ العقل يطوف بقومه ويواثقهم سرا على مشايعة الامير يوسف وفي الظاهر يوهم الناس انه ينظر في امر المعابد المعروفة بالخلوات · ولما تمهد للامير يوسف السبيل قصد الشام فدخل على واليها عثمان باشا الكرجي فاكرمه عثمان باشا وسلمه بكتاب الى ولده محمد باشا والي طرابلس حتى يوليه بلاد جبيل وبينما هو في الطريق وافاه الشيخ كليب والشيخ خطار من بني نكد وما بلغ انحاء جبيل حتى اجتمع عليه غالب مشايخ البلاد ولما كان والي طرابلس باللاذقية وفد الامير عليه هنالك ومعه الشيخان كليب وخطار فدفع الامير اليه كتاب ابيه عثمان باشا الكرجي فولاه انحاء جبيل والبترون فاستقر في جبيل على الولاية وكان ذلك سنة ١٧٦٣ وكان عمره حينئذٍ لا يتجاوز السادسة عشرة فعظم امر الامير يوسف واشتد عضده بكثرة اعوانه وغناء حزبه واستظهر على المشايخ الحمادية ولاة تلك الانحاء في محاربات وقعت له معهم وكان الشيخ علي جنبلاط والشيخ كليب يمدانه سرًّا بالرجال من اهل الشوف والمناصف ولما كانت سنة ١٧٦٤ استعان والي الشام عثمان باشا بالامير يوسف على اخذ قلعة سانور فلم يتم ذلك لان اصحاب القلعة فيما قيل من حزب القيسيين والامير قيسي فتلكأ الامير عن المحاربة ولما اوجس الامير منصور خيفة من

الامير يوسف بما رأى من تفاقم شانه وتعاظم امره تأكد صدق ما كان يحذره من الشيخ عبد السلام العماد وقد حضه هذا الشيخ على الانتقام من الشيخ علي جانبلاط لكونه كان له اليد الطولى في تعزيز مقام الامير يوسف فاتى الامير منصور الى دير القمر يريد الوقيعة في الشيخ علي ودعا اليه اخاه الامير عليّاً وابن اخيه الامير قاسماً وكاشفهما في الامر فوافقاه عليه ولكن الشيخ عليّاً دري بالمكيدة فارسل الى الامير يونس حيذر يزين لهُ الولاية ويثيرهُ على الامير منصور اخيه وارسل اليه مبلغاً من النقود لينفق في هذا السبيل واستقدمه الى الشوف ليوافيه برجاله ويعينوه فقبل الامير بذلك وقدم من دير القمر الى مزرعة الشوف حيث وفد عليه الشيخ علي واصحابه متظاهرين انهم لا يريدون والياً عليهم الا اياه فاضطرب الامير منصور باله واتفق يومئذٍ ان عزل محمد باشا عن ولاية صيدا فانخلع قلب الامير لان المعزول كان ملاذاً له فعمد الى ملافاة الامور بتلطيفها فخبت نار الفتنة ورضي الامير عن الشيخ وجرت المصالحة بين الامير منصور وبين اخيه الامير يونس ثم رجع الامير منصور الى بيروت وفي صدره ما فيه من الحزازات على اخيه ولبث الامير يونس خائفاً يترقب حتى كتب الى الامير يوسف يستوثقه على التناصر فكتب اليه الامير يوسف ان يحضر اليه ليشاطره الولاية فشاطره على الولاية كما وعده ولكن لم يطل الحال على هذا المنوال لان الحاصل من الولاية لا يفي بالنفقة · وسنة ١٧٦٥ ولد للامير قاسم عمر الامير حسن وفي سنة ١٧٦٦ جرت موقعة بين الامير يوسف وبين عسكر طرابلس في اميون بسبب الحمادية الذين لاذوا بوالي طرابلس من الامير يوسف فكانت الغلبة للامير · وفي سنة ١٧٦٨

ولد للامير قاسم ولده الامير بشير ثم توفي الامير قاسم بعد بضعة شهور عنه وعن اخيه حسن واما الامير يوسف فما زال يتسع اقتداره وتقوى شوكته حتى انخلع قلب عمه الامير منصور جزعاً منه فاراد ان يتنازل له من تلقاء نفسه عن الولاية وكتب اليه في ذلك قائلاً له انه اصبح جسمه ضعيفاً عن القيام باعباء الولاية فاجابه الامير يوسف ان ابق زمام الولاية في يدك وانا اعينك على قضاء امورها فحسب الامير منصور هذا الجواب من قبيل الخدعة واستقدم اليه امير حاصبيا الامير اسمعيل وسيره الى دير القمر حتى يقنع الامير يوسف بقبول الولاية ففعل ثم تنازل الامير منصور لابن اخيه على مشهد من جمهور غفير من امراء البلاد واعيانها ثم كتب كتاباً الى عثمان باشا والي دمشق حتى يكتب الى ابنه درويش باشا والي صيدا فيقر درويش باشا الامير يوسف على الولاية واخذ الامير منصور عهداً على الامير يوسف بان يؤدي عنه الى الدولة بقية من المال المطلوب منه وقدرها خمسة وثلاثون الف غرش فسر عثمان باشا بذلك لانه كان يحب الامير يوسف وبادر بطيبة نفس الى قضا الحاجة فلما كانت سنة ١٧٧٠ وردت على الامير يوسف خلعة من درويش باشا ايذاناً باقراره على الولاية فاستقل الامير يوسف بالولاية على لبنان باكمله من ضواحي طرابلس الى ضواحي صيدا واما الامير منصور فاقام في بيروت حتى توفي وفي هذه السنة نفسها وفد على الامير رجل من البشناق يسمى احمد الجزار كان قد فر من وجه علي بك والي مصر فاكرم الامير وفادته وابقاه عنده في دير القمر اياماً ثم ارسله الى بيروت واجرى عليه وظيفة من كركها فلبث الجزار في المدينة اياماً ثم سار الى دمشق ودخل في خدمة

والياً عثمان باشا وحدث في تلك الايام ان اهل جبل عامل من المتاولة
خرجوا عن طاعة والي صيدا درويش باشا وجعلوا يعيثون في قرى مرج
عيون والحولانية ونافروا الامير يوسف لاخذه الولاية من عمه الامير منصوروهم
يميلون الى هذا الامير وكان اشدهم نفرة وهياجاً بنو علي الصغير وهم بنو الاسعد
الان و بنو صعب فامتلأ قلب الامير يوسف غيظاً وحنقاً عندما علم تحكك مشاقيه
باهل الانحاء الداخلة في ظل حمايته من ولاية خاله الامير اسمعيل امير حاصبيا
فحشد لذلك الرجال من لبنان و بعث الى خاله ان يوافيه برجاله الى جبل عامل
ليصلي المتاولة ناراً حامية ثم نهض برجاله من دير القمر وكانوا زهاء عشرين
الفاً بين فرسان ومشاة وضربت خيامهم عند جسر صيدا وكانت رجال
الشيخ علي جانبلاط هنالك محافظة على صيدا من المقاتلين اللبنانيين اما
الامير يوسف فزحف بعسكره في اليوم التالي الى قرية جباع الحلاوة وكان
يحرق جميع القرى من اقليم التفاح حتى بلغ قرية جباع هذه فالفى بني
منكر من اهلها قد انتزحوها وولوا هاربين الى الصغيرية والصعبية مشايعة
لهولاء مع انهم كانوا قبل ذلك من اشياع الامير واما المتاولة فخافوا واستعانوا
بصاحب عكا الشيخ ظاهر العمر الزيداني فقدم اليهم بجماعته واما الشيخ
علي جانبلاط عندما دري ان الامير كان محمولاً على تلك المحاربة من
الشيخ عبدالسلام عماد كيداً فيه اي في الشيخ علي جانبلاط لانه كان يحب
بني منكر فقد اوغر صدره وارسل الى العسكر اللبناني يسرّ الى اهل حزبه
منه ان اخرجوا من ساحة الحرب عند ما تلمع شرارتها وارجعوا على اعقابكم
الى دياركم واوصاهم بذلك وحضهم عليه كثيراً وقد كان ذلك فان الامير
بعد ان بات ليلتين بقرية جباع واتى فيها ما أتاه من تخريب ونهب وتقطيع

اشجار ذهب الى صحراء نبع المأذنة حيث وفد عليه رسول خاله الامير
اسمعيل بكتاب ينبيء بقدومه في رجاله ثم وفدت عليه رسل المتاولة من
اهل عامل بكتاب من الشيخ ظاهر العمر صاحب عكا يسألهُ فيه الصلح
على مال يقوم المتاولة بادائه اليه وانه هو الكفيل بذلك ثم يسالهُ فيه ان
يتربص في مكانه حتى هو يوافيه اليهِ ويشافههُ بذلك فابى الامير الا ان
يركب متن العناد ونهض بقومه يريد المحاربة غير منتظر قدوم خاله برجاله
فاحرق قرية كفر رمان وظل سائرا حتى بلغ ضواحي النبطية فالتقت
عندها طلائع الفريقين اللبنانيين والمتاولة وقد تحقق هولاء ان الحرب
لا بد منها فانضمَّ بعضهم الى بعض فبلغوا اربعة آلاف مقاتل وانضم اليه
الشيخ ظاهر برجاله حانقاً على الامير لخزلانه منه في امر الصلح فما اصطدمت
الصفوف في المعترك حتى تفلتت من صفوف اللبنانيين رجال الشيخ علي
جانبلاط وولوا مدبرين عملاً بما اوعز اليهم زعيمهم الشيخ فادرك الباقين من
الصفوف التي كانوا فيها الفشل فطمع بهم اعدائهم وكسروهم وقتلوا منهم
نحو الف وخمسماية رجل وما برح المكسورون ناكصين على الاعقاب حتى
وصل الامير اسمعيل برجاله الى موقف المحاربة وقابل الاعداء ببأس شديد
وعزم وطيد وقلب قد من حديد وظل يقاتلهم حتى لواهم فولوا ثم مضى
هو والشيخ كليب الى حاصبيا واما الامير يوسف ورجاله فعادوا الى لبنان
مدحورين ودرويش باشا والي صيدا غشيه الخوف من ذلك ففر الى دمشق
وجعل كل الناس يلومون الامير و يعيبون عليه ما أتاهُ وفوض المتاولة امرهم
الى الشيخ ظاهر ونفدت به عزيمتهم وعندما بلغ هذا الشيخ ان درويش
باشا خرج من صيدا هرباً سولت لهُ نفسهُ ان يستمر في سبيل العصيان

مغتراً بالولاية على المدن والقرى فانفذ الى صيدا واحداً من حاشيته يقال له الدنكزلي وحفه بجماعة من غلمانه ليكون نائباً عنه في الولاية عليها فاستولى عليها الدنكزلي واخذ المتاولة يعتدون على اهل اقليم جزين واهل اقليم الخروب من الاقاليم الداخلة في ولاية الامير يوسف فارسل الامير الشيخ كليب نكد الى اقليم الخروب ليدفع اعدائهم فالتقى الشيخ بجماعة منهم في احدى قرى هذا الاقاليم علمان مرة ونال الانتصار عليهم ولبثت العداوة بين الامير وظاهر العمر وجماعاته من المتاولة حتى امر السلطان الامير ان يزحف برجاله على الشيخ ظاهر في صيدا و يقاتله ويخرجه منها وتجاوز له عن ضريبة بلاده عن سنة وذلك بواسطة والي دمشق عثمان باشا ولما توفي عثمان هذا قعد الامير عن محاربة الشيخ وضعفت همته عن قتاله حتى اتى عثمان باشا المصري دمشق والياً عليها فكتب عثمان باشا الى الامير يستنهضه لقتال الشيخ واحزابه و بعث الى والي القدس خليل باشا الوالي ان يعاون الامير فيوافيه الى القتال وكان مع هذا الوالي الجزار ووالي مدينة كركوت والف من الفرسان مجهزين بالمؤونات والذخائر والسلاح فخرج الامير بقومه من دير القمر الى عين السوق عند السمقانية حيث اقبل عليه خليل باشا برجاله فتألف بذلك جيش كبير بالغ عشرين الفاً زحف الى صيدا ونزل بظاهرها ثم حاصرها سبعة ايام ولما كان اليوم الثامن وقد هم الدنكزلي بالتسليم اذا بسفن مسكوبية حربية ظهرت في البحر لدى المدينة مرسلة من عكا ارسلها ظاهر العمر لمعونة الدنكزلي وذلك لما كان بين ظاهر والدولة المسكوبية من الاتحاد فاطلقت السفن مدافعها على المحاصرين فارتدوا الى المحلة المعروفة بالحارة عند سفح

الجبل ثم ورد على الامير كتاب من الشيخ ظاهر يقول لهُ فيه ارتد بقومك الى قنطرة نهر صيدا فاراسلك هناك في الصلح والا آتيك بعسكري ومعي علي بك المصري ومن ورائه جماعة من الغفر فاجابه الامير مغلظاً له الجواب فنهض الشيخ برجاله وكانوا عشرة الاف مقاتل وجرى الاقتتال بين الفريقين عند سهل الصباغ شرقي صيدا فكانت الغلبة للشيخ ثم اوعز الشيخ الى السفن ان تسير الى بيروت لمحاصرتها فلما اقبلت السفن على المدينة فرَّ منها الامراء الشهابيون هاربين فاطلقت السفن المدافع على المدينة وخربت بعضاً من مبانيها ثم خرجت العساكر من السفن اليها ونهبت المدينة ولم تلبث ان عادت الى البحر خوفاً من المباغتة ولما اتصل امر ذلك بالامير نزل بعسكره الى الحدث وكتب الى عثمان باشا يستعين به وجرت المداولة في الصلح بين الامير وبين عمه الامير منصور فتصالحا فكتب الامير منصور الى ظاهر العمر يلتمس منه ان تقلع السفن عن بيروت فكان له ذلك بعد ان دفع الى امير السفن سنبيكو خمسة وعشرين الف غرش ثم قدم مدبر والي دمشق عثمان باشا بعسكر كبير الى بيروت ومعه الجزار فدفع الامير منصور رجلاً مغربياً الى قتل الجزار فاطلق المغربي وهو في مكمنه بظاهر المدينة الرصاص على الجزار فاصاب عنقه فجرحه ولكن شفي الجرح بعد العلاج وحدث في تلك الايام ان الحمادية اصحاب بلاد جبيل اغتالوا نائب الامير في هذه البلاد الامير بشير حيذر وهو في العاقورة لجباية الاموال ومعه شيخا بشري واهدن واقتتلوا معه نهاراً كاملاً فصدهم الامير منتصراً عليهم بعد ان قتل ثمانية منهم ولم يقتل من جماعته الا ثلاثة رجال واتى ابناء الجبة ينجدون الامير فانخلعت قلوب المتاولة خوفاً

فانتزحرا بعيالهم جبة المنيطرة ووادي علمان الى الكورة فسار اهل الجبة في اثرهم واذ بلغ الامير ذلك وهو في بيروت بعث مدبره الشيخ سعداً في عسكر المغاربة عسكر مدبر والي دمشق وحشد هو عسكرًا وسار به الى نبع افقا اما مدبر الامير فادرك المتاولة عند دير بعشتار فقهرهم بعد حرب لبثت من الظهر الى المساء وتعقبهم حتى القلمون واسم الشيخ ابا نصر عليا وقتل منهم ماية رجل ولم يقتل من رجاله الا اثنان ثم شفع الشيخ ميلان الخازن في الشيخ علي فاطلق سبيله وجاء مدبر الامير برجاله الى نبع افقا حيث وجد الامير مخيماً بعسكره فاخبره بما كان فارجع الامير المغاربة الى بيروت والتمس من والي دمشق عثمان باشا ولاية البقاع لاخيه الامير سيد احمد فمنحها لهُ فاتخذ الامير سيد احمد قلعة قب الياس مقاماً له وعمر المهدوم من بنيانها وعززها بآلات الحرب ثم جعل يعيث في البقاع ولما كانت سنة ١٧٧٢ زحف الامير يوسف بعسكر الى انحاء الضنية يريد الفتك ببني رعد بما احس منهم من الميل الى بني حمادة فنزل بعفصديق من الكورة فورد عليه بها كتاب من والي طرابلس يعرض له فيه بالمصالحة بينه وبين بني رعد لان احد كبراء هولاء التمس وساطته في المصالحة فجرت المصالحة بين الفريقين ثم رجع الامير الى بيروت بعدما امر في عفصديق فاحرقت لانها كان صاحبها الامير احمد الكردي متحيزًا لبني حمادة ثم راى الامير ان يجعل احمد بك الجزار على بيروت و يبقي لديه المغاربة فحذره مدبر والي دمشق من الرجل فاستلم الجزار زمام بيروت ولم يطل امره حتى خرج على الامير وحدث في خلال ذلك ان الامير سيد احمد سلب بضاعة تجار من دمشق مارة بالبقاع فكتب والي الشام الى الامير يوسف

بزجر اخيه عن الاعتداء ورد المسلوب فكتب الامير الى اخيه في ذلك
فلم يجبه فادى ذلك الى نفرة الوالي من الامير يوسف اما الجزار فاخذ
يحصن المدينة فتحقق الامير عزم الرجل على العصيان فراسله في ذلك ثم
اختليا في المصيطبة فتمكن الجزار لدى الامير واوهمه مقنعاً اياه انه لا يروم
الخروج عن ارادته واستمهله في الخروج من المدينة اربعين يوماً فامهله الامير
انقياداً لبعض من اليزبكية مكروا بالامير كرهاً لنجاح مساعيه فاستمر
الجزار في تحصين المدينة تلك المدة حتى اذا ما انقضت كتب الامير
اليه ان اخرج من المدينة بحسب العهد فابى الجزار وارسل المغاربة الى
خارج المدينة يعيثون ويقتلون من يجدونه من اهل بلاد الامير واما الامير
فحشد عسكراً وزحف به الى المدينة لمحاصرتها واتحد مع عمه الامير منصور
فكتبا الى ظاهر العمر والي عكا يلتمسان منه معونة الاسطول المسكوبي
لهما على استخلاص بيروت من يد الجزار وتسليمها لاحدهما الامير يوسف
وذلك لان امير الاسطول كان مسيراً من الملكة كاترينا على ان يكون
في طاعة ظاهر العمر المتحد معها فاستجاب ظاهر لهما واستقدم السفن
اليهما من مياه قبرس فحوصرت المدينة مدة اربعة شهور حصاراً
شديداً حتى اضطر الجزار بعدئذ ان يلتمس من ظاهر العمر النجاة لنفسه ولمن
معه على انه يخرج باصحابه من المدينة ويسلمها الى الامير فمنحه ظاهر ذلك
بعد مشاورة الامير فعادت بيروت الى الامير ورجع الشهابيون الى مواطنهم
فيها فولى الامير والياً عليها ثم رجع الى دير القمر وكان قد كتب اليه والي
دمشق وانبأه بانهُ بعث الى الدولة العلية يلتمس العفو لظاهر العمر . ولما
كانت سنة ١٧٧٣ ظهر ما كمن في صدر والي دمشق عثمان باشا من

الحزازات بسبب اعتداء اخي الامير على بعض من تجار دمشق وعيثه في البقاع كما تقدم ذلك و بدت العداوة بينهما فاتى عثمان باشا بعسكره وخيم في صحراء بر الياس من البقاع واتى الامير بعسكره الى المغيثة ثم نزل من هناك الى اعدائه فاشتبك الفريقان وجرت لهما مواقع لم يفصل بينهما النصر فيها وارسل الامير الى ظاهر العمر يستنجدهُ فارسل اليه ظاهر ابنه علياً والشيخ نصيف النصار عميد بني علي الصغير في جيش كبير من المتاولة فنزل الرجلان بجماعتهما بقرية القرعون ولما اتصل ذلك بالباشا غشيه الخوف واضطرب عسكره فولى في الحال هرباً الى دمشق وترك الخيام والمدافع والذخائر فغنمها الامير واقر اخاه الامير سيد احمد في قلعة قب الياس وجهزه بما غنمه من المدافع والذخائر اما الامير سيد احمد وقد كان عنده الامير فارس يونس فراودته نفسه عن الخروج على اخيه فاستمال اليه صاحب راشيا الامير منصوراً والشيخ عبد السلام رئيس الحزب اليزبكي والشيخ حسين تلحوق وغيرهم من الحانقين على اخيه ثم جهر بالعصيان وجعل يشدد الوطاءة على القرى التابعة للشيخ علي جانبلاط في البقاع حتى اغضب اخاه الامير يوسف ودفعه الى مقاتلته ففي سنة ١٧٧٤ حاصر الامير يوسف القلعة شهراً كاملاً ولم يقضِ لبانتهُ من حصارها اذ خذله كثير من جنده بدسيسة من الشيخ عبد السلام ولكنه عاد فاستقدم اليه عسكر المغاربة من دمشق وشدد الحصار على القلعة حتى اضطر الامير سيد احمد بعدما كادت تنفذ الميرة والماء ان يكتب الى الشيخ علي جانبلاط والشيخ كليب ابي نكد ان يتوسطا في امر الصلح بينه وبين اخيه على انه يخرج من القلعة آمناً ويذرها لاخيه فوقع الصلح على ذلك وسار الامير

سيد احمد الى حدث بيروت وتوطنها واما الامير يوسف فاخذ القلعة وبغى هدمها فلم يتيسر لهُ هدم اكثر من جدار من جدرانها لقوة بنيانها ثم نال ولاية البقاع من والي دمشق وقتئذٍ محمد باشا العظم على ان يرد المسلوب بيد اخيه من بضاعة التجار الدمشقيين فاسترد ذلك من اخيه وارجعه الى اصحابه وعوض على اخيه من مال نفسه واستناب عنهُ على الولاية اخاه الامير قاسماً ولما كان في نفس الامير يوسف ما فيها من الضغينة والحقد على صاحب راشيا الامير منصور لتحيزه للامير سيد احمد جعل يلتمس سبيلاً عليه ليكيده به فادعى عليه بمال ثم اتهمه بقتل الامير حسين بسم مدسوس في الطعام فعظم ذلك على الامير منصور فكتب الامير منصور الى الشيخ سعد الخوري يسأله ان يمهد لهُ سبيل الصلح عند الامير يوسف فاناله ذلك وجرى الصلح على مبلغ خمسة عشر الف غرش تدفع الى الامير يوسف ثم قسم الامير يوسف راشيا بين الامير منصور و بين الامير محمد اخي منصور لادعاء اخيه هذا عليه بالارث ادعاءً مدفوعاً عليه من الامير يوسف نفسه وفي تلك السنة توفي الامير منصور حيذر في بيروت وعمره ستون عاماً توفي عن اربعة الامير موسى والامير مراد والامير حمود والامير حيذر ودفن في جامع الامير منذر التنوخي وتوفي ايضاً الامير بشير الملقب بالسمين بلا عقب فاستقل الامير يوسف بتركته ومنع اخوة المتوفى منها وفي سنة ١٧٧٥ كتب الامير يوسف الى امير البحر حسن باشا وقد كان قدم الى عكاء للتنكيل بظاهر العمر واخراجه منها فهنأهُ بالنصر وارسل اليه بعضاً من الخيل الجياد فتقبل ذلك بالمسرة وتلطف به في الجواب ثم كتب الباشا الى الامير يوسف يسالهُ ان يرسل اليه ابناء ظاهر العمر لانه نمي اليه انهم

مستخفون في بلاده فاوجس الامير خيفةً من ذلك لانهم كانوا قد سالوه الاختفاء عنده فابى وكتب الى الباشا منكرًا اختباءهم في بلاده انكارًا شديدًا ثم عاد الباشا فكتب الى الامير يتقاضاهُ الاموال السلطانية الباقية عنده عن ثلاث سنين مدة ولاية ظاهر العمر فاجابه الامير وفي قلبه خوف وريبة واعتذر اليه في الجواب وارسل اليه البراءة التي كان بمقتضاها التجاوز لهُ عن مال البلاد مدة عصيان ظاهر العمر وتعهد باداء مبلغ مئة الف غرش كانت باقية عليه من الاموال الاميرية ووعده بغير ذلك فلما وقف الباشا على البراءة وبلغه الوعد اكرم رسل الامير ومن ثم جرت المحبة بينهما٠ وفي سنة ١٧٧٦ نصب قومً احمد باشا الجزَّار واليًا على صيدا فانخلع قلب الامير خوفًا منه لما جرى بينهما من المحاربة يوم حصار بيروت ومع هذا فان الامير ستر خوفه وكتب الى الجزار يهنئه ويبارك له في الولاية واتحفه بشيءٍ من الهدايا فتلطف له الجزار في الجواب وذكر له عهد الصداقة فلم يسكن بذلك روعه وبعث الى حسن باشا يكاشفه في امره فالباشا انعم بال الامير ووعده باهلاك خصمه ثم استعجله بانجاز ما عهد به من دفع الضريبة فرجع الامير الى مستشاريه ومدبري اموره يسالهم فيما عهد به كيف ينبغي ان ينجزه فاشاروا عليه ان يغتصب من مال الامراء الشهابيين ما به وفاء المال المعهود باداته فاستصوب رايهم وصادر الامراء باموالهم فكبر ذلك عليهم فرحلوا الى البقاع وشرعوا يعيثون فيها سلبًا ونهبًا فنهض اليهم بعسكر يبغي زجرهم فلما احسوا بنزوله بقب الياس فرُّوا من وجهه الى اقليم البلان ومن ثم الى الحولانية ثم سفر صاحب حاصبيا الامير اسمعيل بينهم وبين الامير يوسف فعهد هذا الامير ان يرد اليهم ما اخذه

من ريع عقاراتهم فرجع الامراء الى مواطنهم الا الامير سيد احمد والامير افندي منهم فانهما بقيا ثائرين حتى استرضاهما الامير بما اعاده اليهما من اقطاعهما ثم عاد الامير فادى المال المطلوب منهُ الى حسن باشا فابراء حسن باشا ذمته واقره على ولايته وكتب لهُ عهداً يعصمه من تداخل والي صيدا في اموره الا ان يقبض المال الميري منه ثم غادر الباشا الديار الشامية عائداً الى الاستانة فاغتنم الجزار السانحة واندفع بعوامل حقده وضغينته الى معاداة الامير ومقاومته فزحف بعسكره من صيدا الى بيروت فاستولى عليها وجعل يده على سائر ما للشهابيين من الملك فيها ثم بعث الى الامير يوسف يتقاضاه الاموال الاميرية عن ثلاث سنين ماضية ملحاً عليه الحاحاً شديداً فبدت للامير من الجزار بوادر الشر فاشتد خوفه فكتب الى حسن باشا وقد كان لم يتجاوز قبرس في ايابه واخبره بما كان من امر الجزار معه فرجع الباشا واخرج الجزار من بيروت ونهاه عن العود الى مثل ذلك وسكن روع الامير اذ وعده انهُ متى بلغ الاستانة يبذل عنايته الى عزل الجزار عن ولاية صيدا فرجع الجزار الى صيدا بحراً واما عسكره فرجع اليها براً وكان عدده زهاء ستماية فارس وكلهم اشداء الباس فسير الامير بني نكد يكمنون لهم في منتصف الطريق عند مكان يقال له السعديات بين الدامور والجية فكمنوا لهم برجالهم وكان عددهم جميعاً مايتي رجل فلما بلغ العسكر المكمن عند الصباح تعرض المكمنون لهم بالشر والوقيعة فانقض العسكر عليهم انقضاض البزاة وقتل كثيراً منهم وفي جملة القتلى عميدهم الشيخ ابو فاعور وقبض على الشيخ محمود ابن الشيخ ابي فاعور وعلى الشيخ واكد وترك الشيخ بشيراً جريحاً طريحاً بين القتلى بين

حي وميت حتى اتيح له كاهن من قرية الدية كان ماراً من هناك وراه صريعاً بين القتلى معرى من الاثواب يختلج بما فيه من رمق الحياة فاعتنى به واحتمله الى منزله في القرية واخذ يضمد جراحه ثم ارسل الى بني نكد في دير القمر يبشرهم بان الشيخ لا يزال حياً عنده فنقله ذوو قرباه اليهم وشكروا للكاهن اعتناءه به ووهبوه ارضاً من ملكهم جزاء له عما صنعه بالجريح واما الامير فاراد ان يوهم الجزار ان تحكك بني نكد بعسكره كان على غير علم منه ثم سأله اخلاء سبيل الشيخين اللذين اسرهما العسكر بفدية قدرها مائة الف غرش فاجاب الجزار التماسه ولكن وقعت فتنة بسبب جعل تلك الفدية ضريبة على اهل البلاد فافضى ذلك الى تداخل عسكر الجزار اذ سار هذا العسكر الى بيروت ثم خرج فيها الى قرى اللمعيين فاحرق المكاس والدكوانة والجديدة وقتل بعضاً من اهلها ثم باغت الشويفات فارتد عنها خائباً وحينئذ فقد الامير ولايته على بيروت ولما اراد عسكر الجزار ان يستولي على ما للامير وللبنانيين من الاملاك في البقاع استيفاء لمبلغ تلك الفدية كبر ذلك منه على الامير فعاد الامير واستمال اليه الامراء اللمعيين بعد ان كان قد سخا فيهم بعسكر الجزار حتى ينتقم منهم لما بدا منهم من المقاومة في توزيع ذلك المبلغ المروم افتداء الشيخين به واصطلح معهم ثم حشد عسكراً وزحف به لمقاتلة جماعة الجزار فادركه الفشل والاندحار في جميع المواقع بينه وبينهم وقتل من اصحابه الشيخ سيد احمد العماد والشيخ ظاهر عبد الملك وزين الدين مقدم حمانا وغيرهم من رجاله . ولما كانت سنة ١٧٧٨ شاق بنو نكد الامير يوسف متحيزين لاخويه الامير سيد احمد والامير افندي وذلك لتراخيه في امر انقاذ الشيخين النكديين من سجن

الجزار وتحالف معهم الجانبلاطية على خلع الامير اما الامير فمضى ببعض من بطانته من دير القمير الى غزير ولبث هناك حتى وقع شقاق بين المشايخ بني علوان و بني ابن عم لهم افضي الى قتله فاتى الامير الباروك يريد معاقبة المشايخ ففروا من وجهه لاجئين الى الجزار وزينوا للجزار انهم يمهدون لهُ سبيل الاستيلاء على البلاد فعزّزهم الجزار بعسكرٍ من عساكره فساروا به من صيدا الى لبنان ولما بلغوا نهر الحمام غربي القرية غريفة لقيهم الشيخ كليب النكدي بجماعته و بطش بهم فقتل منهم كثيرًا وردهم على اعقابهم حاسرين ثم اعادوا الكرة على اقليم الخروب وجرت موقعة بينهم و بين الشيخ بشير كليب النكدي ورجاله عند البرجين فانتصروا على الشيخ وقتلوا كثيرًا من قومه ثم عادوا الى صيدا ولما كان الامير قد كثر الناقمن عليه الولاية وكان قد استحكم في قلبه الخوف من اخويه الامير سيد احمد والامير افندي وطن نفسه على التنازل لهما عن ولاية جبل الشوف حتى كان ان توفي زعيم الجانبلاطية الشيخ علي جانبلاط فشهد الامير مأتمه ثم خلع نفسه من ولاية ذلك الجبل في حضرة اعيان البلاد والقى زمام الولاية الى اخويه وكتب في ذلك الى الجزار ثم عاد الى غزير فاقرهما الجزار على الولاية بدير القمر واما الاخوان فاقطعا اخاهما الامير يوسف اقطاعات في كسروان لم يكلفاه اليه مالاً اميرياً عنها ولكن لم يلبث ان حدث شقاق بين الاخوين و بين اخيهما الامير يوسف بسبب حادثة جرت لهُ مع الامراء اللمعين ثم تعاظم الشقاق اذ بعث اخواهُ اليه يتقاضيانه المال الميري عن اقطاعه فطرد رسلهما فاتسع الخرق بينهما و بين اخيهما وافضى ذلك الى محاربة جرت بينهما كان الجزار فيها معززًا لاخوي الامير يوسف ثم مال الى الامير يوسف

بمال استرضاه الامير به ومبلغه ماية الف غرش فاستقام لهُ الامر ثم سعى
كبراء القوم الى الصلح بينه وبين اخويه فرضي عنهما وجعلهما مدبريـ
اموره ولكنهما لم يخلصا الود له بل كانا دائماً يلتمسان سبيلاً عليه وقد هيجا
الجانبلاطيين عليه لانه احدث ضريبة على اشجار التوت فاتى الجانبلاطيون
ومن انضم اليهم من المشايعين عند السمقانية الى ضواحي دير القمر
يريدون عزل الامير من الولاية وقتل مدبره الشيخ سعد فكانت لهم غوغاء
وجلبة يتخللها صوت البارود فبعث اليهم الامير يعدهم بابطال تلك الضريبة
فسكنت ثورتهم وولوا كلٌّ الى مكانه واما الاخوان فلبثا يمكران باخيهما
ويتآمران مع الجانبلاطية على خلعه وقتل مدبره وكاشفا في ذلك النكدية الاَّ
ان الشيخ كليباً النكدي لم يركن اليهما فكان يبوح للامير بكل ما يتصل
به من امرهما وحدث مرة انهما بينما كانا ذاهبين الى كنيسة التلة للتحالف
على كيد الامير اذ طلع عليهما المغاربة الذين كانوا مكمنين لهما بامر الامير
يوسف فبلت يدهم بالامير افندي فامسكوهُ واما الامير سيد احمد فلم
ينجح الا بشق النفس ثم قاد المغاربة الامير افنديـ الى اخيه الامير
يوسف فقتله الامير يوسف بيده واعتذر الى جميع اقاربه في قتله مبيناً لهم
الاسباب التي دفعتهُ الى قتله ولما بلغ الامير سيد احمد الفار من اخيه الى
المختارة جعل يثير الناس على الامير يوسف ويحرضهم على الخروج عليه فانقاد
لهُ الجانبلاطية والشيخ عبد السلام العماد وانضم الثائرون متوافقين على
المسير الى دير القمر لخلع الامير يوسف ونصب الامير سيد احمد فيـ
مكانه والياً عليهم فلما احس الامير يوسف بذلك خرج من دير القمر في
اربعماية رجل الى عكا هرباً من اخيه فحل الامير سيد احمد محله وامر في

النكدية ان تقطع اشجارهم فقطع جانب كبير منها واما الامير يوسف فلاذ
بالجزار والتمس منه ان يمده بقوة من عنده على ان يدفع اليه ثلثماية الف
غرش فاستجاب الجزار لهُ وامده بعسكرٍ عليه مملوكه سليم باشا فخيم الامير
في قرية علمان من اقليم الخروب وقد انضم اليه بنو نكد وبنو تلحوق وبنو
عبد الملك واخواه الامير قاسم والامير حسن واما الامير سيد احمد فسير
الامير قعدان في عسكرٍ لمقاتلة الامير يوسف فالتقى الفريقان عند عانوت
من اقليم الخروب واضطرمت نار الحرب بينهما فانهزم الامير قعدان
فتقدمت عساكر الامير يوسف وهدمت مساكن الجانبلاطية وجعل
الامير يده على املاكهم وكتب الى خاله الامير اسمعيل بحاصبيا ان يسلب
الفارين اليه من الجانبلاطية اموالهم ففعل وارسلها اليه واماهم تخلى سبيلهم
واما الامير سيد احمد فلجاء الى والي دمشق محمد باشا العظم وبعث اليه من
قب الياس يلتمس منه الولاية على وادي التيم والبقاع فمنحها لهُ وعززهُ
بعسكر ارسله اليه وانضم اليه الجانبلاطية فاشتد بذلك عزمه وسار الى
راشيا فدخلها بعد محاربة جرت لهُ مع الامير محمد كان النصر لهُ فيها ثم
قصد حاصبيا فارسل صاحبها الامير اسمعيل الى محمد باشا يلتمس منه صد
الامير سيد احمد عنها فاستجاب لهُ فرجع الامير سيد احمد ومعهُ الجانبلاطيون
الى قب الياس واستناب عنه في راشيا الامير موسى من اهلها ثم كتب اليه
اخوه الامير يوسف ان اعتزل الجانبلاطية اصالحك فبدت اذ ذلك
للجانبلاطية من حليفهم الامير علائم النفرة والقطيعة فتنحوا عنه وكتبوا في
ذلك الى محمد باشا فبعث اليه محمد باشا ان لا يوليه البقاع الا باتحاده مع
الجانبلاطية وكفالتهم له فارسل الامير سيد احمد يعتذر اليهم عما فرط

منه ووثق عرى الاتحاد معهم فافضى ذلك الى محاربة بينه وبين اخيه كان الفوز في غالبها لاخيه الامير يوسف وشرع هذا الامير في التشديد على الجانبلاطية والتضييق عليهم حتى اضطرهم الى خفض جناح الطاعة واسترضائه عنهم بمبلغ ماية الف غرش وخمسين الفاً ورضي كذلك عن اخيه الامير سيد احمد وخلى له املاكه وامره ان يقيم بالشويفات ولبث الامير سيد احمد في سكينة مع اخيه حتى حدثت فتنة بين اخيه وبين الامير اسمعيل صاحب حاصبيا وذلك في سنة ١٧٨٥ وتحرير الواقع ان الجزار غضب على الامير اسمعيل لعدم امتثاله امره في رجل قتل يهودياً امره ان يقبض على القاتل ويرسله اليه فلم يفعل فعزل من الولاية على حاصبيا وعهد بها الى الامير يوسف فاستناب الامير يوسف عنه فيها الشيخ بشيراً النكدي وصادر المعزول في املاكه فحضر الامير اسمعيل بين يدي ابن اخته الامير يوسف بدير القمر وجعل يتذلل له ويستعطفه حتى يتجاوز له عن اقطاعه فلم يعطف عليه فيئس عندئذٍ ورجع الى حاصبيا ساخطاً منه وكان الشيخ قاسم جانبلاط قد زين له ان اسع لدى الجزار باستحصال الولاية على لبنان ومرج عيون بثلاثماية الف غرش وانا شريك لك في عهدك الى الجزار فكتب الامير اسمعيل الى الجزار في ذلك فاستجاب له الجزار اذ استقدمه اليه ووعده بالولاية على ان يكون احد الامراء الشهابيين شريكاً له فيها فبعث الشيخ قاسم الى الامير سيد احمد يدعوه الى مشاركة الامير اسمعيل فقبل بطيبة نفس وكفل الشيخ قاسم للجزار المبلغ المتفق عليه اما الجزار فارسل الى الامير يوسف يخبره بذلك حتى اذا ما قبل هو ان يؤدي ذلك المبلغ ابقاه واليّاً فاستمثل الامير يوسف اعيان

البلاد لديه وشاورهم في الامر فاشاروا عليه باداء المبلغ الا الشيخ فانه
استكمالاً للمكيدة افسد راي القوم واقنع الامير بوجوب المقاتلة فجرت
بين عساكر الجزار الاخذة بنصرة الامير اسمعيل وبين عساكر
الامير يوسف ومعها مدبر الامير الشيخ سعد وعليها الامير فارس يونس
ومعه من امراء حاصبيا الامير اسعد والامير قاسم ابنا الامير سليمان اخي
الامير اسمعيل وقائع كبيرة كان النصر فيها لعساكر الامير يوسف واما
الامير اسمعيل فولى بعساكره الى صيدا ولما حضر بين يدي الجزار جعل
الجزار يسالهُ عن الشيخ قاسم كيف سالني من جهة ان اوليك ومن جهة
اخرى كانت لهُ في محاربة عساكري الباع الطولى فاعتذر الامير اسمعيل
واستاذن الجزار ان يستحضر الامير سيد احمد على علم من الشيخ قاسم فاذن
لهُ فاستشار الامير سيد احمد الشيخ قاسماً في المثول لدى الجزار فاشار
عليه به فسار الامير من الشويفات الى بيروت ومنها الى صيدا بحراً فرحب
الجزار به واكرم مثواه ثم بدت خيانة الشيخ قاسم للامير يوسف اذ خرج
الجانبلاطيون من عسكر الامير حتى لا يعاونوا على القتال فرجع المدبر الشيخ
سعد والامراء بالعسكر الى دير القمر فغضب الامير يوسف من الشيخ
قاسم لخيانته اياه واما وجوه البلاد فنصحوا للامير يوسف ان يخفف عنه
غضب الجزار فيبرح من دير القمر ولو الى ما يبعد ساعة عنها فغادر الامير
الدير الى كفرقطرا ثم سار الى المتين فبعث الوجوه الى الجزار يكشفون لهُ
واقع الحال ويلتمسون منه ان يولي عليهم الامير سيد احمد والامير اسمعيل
فولاهما وكتب الى الشيخ قاسم جانبلاط ان يشد ازرهما فكان ذلك واما
الامير يوسف فولى هارباً من المتين الى بسكنتا وولى الامير اسمعيل على

راشيا الامير فارساً الكبير ثم عاد الاميران يتعقبان الامير يوسف بعد ان عرض عليه احدهما الامير اسمعيل ان يكون والياً في ظله على جبيل فابى واستكبر فعزما على اخراجه من الجبل ففر الى جبال عكار وبعث الى الجزار يسترضيه عليه ويساله ان يلطف به وكان الاميران قد بعثا الى الجزار يلتمسان منه ان يعززهما بعسكرٍ من عنده ليستطيعا جباية الاموال الاميرية لان اهل البلاد تمردوا عليهما وابوا اداء الاموال فبعث الجزار الى الامير يوسف يمنحه الامان ويسترجعه الى البلاد كما كان فرجع الامير ووفد على الجزار وهو ببيروت فاكرم الوزير وفادته ثم سار الوزير ومعه الامير الى عكا بحرًا واما مدبر الامير الشيخ سعد فسار بجماعة الامير اليها برًّا وبعث الاميران سيد احمد واسمعيل الى الجزار يزينان لهُ قتل الامير يوسف على ان يدفعا اليه خمساية الف غرش وكتبا في ذلك اليه كتاباً سيرا به شيخاً من المغضوب عليهم عند الامير يوسف الشيخ محمد القاضي فاجابهما الجزار انه يقضي لهما حاجتهما فارتاحت نفساهما الى الوعد وسارا الى دير القمر وشرعا في جباية تلك الضريبة ولكن لما بلغ الشيخ سعداً مدبر الامير يوسف عكا عهد الى الجزار ان يؤدي ضريبة قدرها الف الف غرش في مدى ثلاثة شهور على ان ينجز الجزار ما وعد فيرجع زمام الولاية الى يد الامير يوسف فكان لهُ ذلك فاعيدت الولاية الى الامير وعزز بعسكرٍ كبير من عساكر الجزار وبقي الشيخ سعد عند الوزير رهناً على المال الذي ضرب فقدم الامير يوسف في عسكره ومعه الامير اسعد والامير محمد وهما خصما الامير اسمعيل فولى احدهما اسعد على حاصبيا واوعز اليه ان يلقي القبض على الامير بشير وان يضبط مالهُ ومال الامير اسمعيل والاخر على راشيا

وان يلقي القبض على الامير فارس الكبير ويضبط ماله اما الامير بشير فقر هارباً ونجا واما الامير فارس فوقع في يد الامير محمد وسار الامير يوسف ليل نهار حتى بلغ دير القمر فدخلها بغتة فلم تبل يده الا بالامير اسمعيل الذي تعذر عليه ما تمكن منه رفيقه الامير سيد احمد من الفرار فساقه الى السجن هو وخمسمائة من اتباعه وقتل خمسة من خدامه وامسك الامير عثمان ابن الامير فارس الكبير واستحضر اليه الشيخ محمد القاضي الذي كان قد اختبأ عند الشيخ كليب النكدي وزجه في السجن ثم سمل عينيه وقطع لسانهُ وبعدئذٍ خلى سبيله وصادر الجانبلاطية بكثير من اموالهم وسلب كثيراً من اموال مشايعي الاميرين وشدد العقوبة على كل خصومه فانخلعت القلوب خوفاً منه وشفع الامير حسن عمر لديه للامير بشير اخي الامير يوسف لانه كان من المشايعين للامير سيد احمد فقبلت شفاعته فرضي عنه الامير يوسف وجعله من المقربين عنده وجعل الشيخ غندوراً مدبراً له في مكان ابيه الشيخ سعد وفي سنة ١٧٨٨ قضى الامير اسمعيل وهو في السجن وقيل ان ابن اخته الامير يوسف خنقه واخفى امره ثلثة اشهر حتى لا يغضب الجزار لانه كان قد اوصاه ان يبقي عليه ولما طال بالامير سيد احمد ضيق الحال لجأ الى زوج اخيه الامير يوسف بصليما فاسترضت الامير عنه فرضي ورد له عقاراته وامره ان يقيم بحمدون ولما سار الجزار الى دمشق لاستلام زمام الولاية عليها اخذ معه مدبر الامير الشيخ سعداً وجعله في القلعة حتى رجع هو من الحج فالتمس منه الشيخ ان يخلي سبيله لمرض عضال اصابه فاستجاب له وبعث به الى دياره مكرماً وقد خان الامير يوسف عهده الى ابناء الشيخ علي الصغير فسخا بهم حتى قتلوا بامر

الجزار كما انه خان وعده للامير بشير نجم ايضاً اذ بعث الى هذا الامير وهو فارٌّ من وجهه الي دمشق يعده بالامان ان عاد الى دير القمر فلما عاد قتله وقتل مدبره وسلب اموالها ولم يكتفِ بذلك بل عاد وسمل عيني اخيه الامير سيد احمد وارسله الى عيه ولما كانت سنة ١٧٨٨ حصلت نفرة بين الامير والجزار بسبب امتناع الامير عن اداء بقية من الضريبة التي كان قد عين مقدارها الف الف غرش كما ورد ذكر ذلك في مكانهِ فآل الامر بينهما الى المحاربة فحشد الجزار العساكر وسيرها الى خان حاصبيا وعليها مملوكه سليم باشا فخانه هذا المملوك وانضمت اليه بقية المماليك ووافقه على الخيانة سليمان باشا مملوك الجزار ايضاً وعامله على مدينة صيدا فزينت لهما نفساهما استلاب الولاية من يد الجزار فكتبا في ذلك الى جميع العمال فكان في جملة المكتوب اليهم الامير يوسف فسر هذا الامير بذلك وبعث اليهما يعدهما بشد ازرهما فتماديا في الامر وغشيا عكاء برجالهما يحصرانها فدهمهما الجزار بجنوده وبدد شمل اعدائه فلجاء سليمان باشا الى دير القمر عند الامير يوسف وعاد الجزار وقد علم وجوه المكيدة الى الانتقام من الامير فجهز عسكراً وسيره لمحاربة الامير فقابله الامير بمثل ذلك ووقعت بين الفريقين عدة من الوقائع كان النصر فيها في غالب الاحيان للجزار فضعفت عند ذلك عزيمة الامير وكثر خذلان القوم له وجعل الجانبلاطيون ينقمون عليه الوهن ويشيعون ذلك بين الناس وتوفي حينئذٍ الامير اسمعيل اللمعي والشيخ كليب النكدي وهما من اركان قوته فرأى الامير بعد ذلك كله ان يتنحى عن مقام الولاية فجمع اعيان البلاد ووجوهها وكاشفهم فيما نوى ان يأتيه من التنازل عن الولاية

لمن يقع اختيارهم عليه من الامراء الشهابيين اللبنانيين فتشاوروا في ذلك بينهم ووقع اختيارهم على الامير بشير ابن الامير قاسم عمر ولا شك في ان اختيارهم هذا دال على معرفتهم لاحوال الرجال وقدرهم اوصاف الرجولية حق قدرها فان الامير الذي اختاروه والياً عليهم لا يقراء احد من العارفين المحققين والناظرين المدققين سيرته ويتأمل اخلاقه ومآتيه في الحكم الا ويمتلىء قلبه مهابة ووقاراً واجلالاً له ويحسبه عنواناً للفضيلة وانموذجاً للطهارة والعفاف وقدوة للعدل والانصاف وان كان في بعض مآتيه في الحكم ما لا يوافق ذوق اهل هذا العصر فان لكل زمان دولة ورجالاً فلو وجد الامير في هذا العصر لكان فريده مثلما كان فريد عصره لتدرعه من صفات الرجولية بدرع حقائق تعصم من الشر في كل عصر والحقائق بسائط جواهرها لا تتجزى وان اختلفت مظاهرها فالعدل في حالة الاستبداد والعدل في حال الشوري سواء ولكن العصمة من الخطا في طرق المعدلة انما هي التي تختلف في الحالين وبالجملة فاننا نكل الحكم في اعمال الامير التي نحن آتون الآن على ذكرها لاصحاب الذوق السليم من مطالعي هذا الكتاب . .

مال الناس الى هذا الامير وارتاحت نفوسهم الى القاء مقاليد زمام امرهم اليه وكان الجزار يميل في الباطن اليه وكثيراً ما اسر اليه رغبته في توليته وكان بين هذا الامير وبين الجانبلاطيين رابطة عهود ومواثيق فالامير يوسف استحضره لديه واوعز اليه ان سر يا ابني الى الجزار وتقلد الولاية من يده والبس خلعتها فاجابه الامير بشير فيما حكي عنه انني اخاف ان اسير الى عكاء وانا ابنك ثم ارجع منها وانا ابن الجزار فسار الامير الى

عكا في شهر ايلول وعمره يومئذٍ لا يتجاوز احدى وعشرين وسنة ومدبره
كان رجلاً مارونياً اسمه فارس ناصيف فرحب به الجزار ودفع اليه زمام الولاية
على جبل الشوف وكسروان وخلع عليه خلعتها ثم ارجعه معززاً بجنود
من عنده يبلغون الف رجل من المغاربة والارناووط واوصاه بطرد الامير
يوسف من البلاد وارجاع ابنا الامير سيد احمد فلما بلغ صيداء خرج
الامير يوسف من دير القمر ومعه اخوه الامير حيذر والامير حيذر احمد
والامير حسن علي والامير اسعد سليمان وبعض من ارباب المناصب
ومضى بهم الى يصور اما الامير بشير فلما سار الى دير القمر لاقاه
الشيخ قاسم جانبلاط زعيم الفئة الجانبلاطية والشيخ عبد السلام العماد
زعيم العمادية في ذوي قرباهما والمشايخ بنو نكد وبعض الوجوه والاعيان
فعندئذٍ انتقل الامير يوسف باصحابه الى عاليه فحمانا فالمتين واذ ورد على
الامير بشير من الجزار امر قاضٍ باخراج الامير يوسف من جميع نطاق
البلاد بعث الامير بشير الى الامير يوسف يخبره بذلك ويقول له ان
ينهض الى جرد كسروان فسار الى بسكنتا ومن ثم الى وطا الجوز
واما الامير بشير فزحف بعسكره الى بوارش فعند ذلك بعث المتنيون
الى الامير يوسف يزينون له ان يقدم اليهم وانهم يعهدون اليه ان يخلعوا
الامير بشيراً من الولاية فرجع اليهم مغتراً بعهدهم فلما بلغ الامير بشير
المجدل وفد عليه غالب المتنيين فبعث الى الامير يوسف ان ينتقل الى بلاد
جبيل والا فيضطر ان يسلك في طرده سبيل الشدة والعنف قياماً بامر
الجزار فانقاد الامير يوسف ومضى الى جرد كسروان ثم الى العاقورة ولما
بلغ الامير بشير وطا الجوز انتقل الامير يوسف من العاقوره الى لحفد

فسار الامير بشير في اثرهِ الى لحفد كل ذلك وهو يحذرهُ من كل محل يحله حتي ان بعضاً من ارباب المناصب سعوا الى الجزار فيه بانه متفق معه واغضبوا الجزار بتلك السعاية فجهز عسكرًا وكتب الامير بشير الي الجزار حينئذٍ ان يمده بعسكرٍ من عنده اما الامير يوسف فلما رأى من الامير بشير ضغطاً شديدًا عليه عزم على المقاومة فاستمال اليه الاشياخ الحمادية واشياخ جبة بشرة فانضموا برجالهم الى عسكره وسار الكل الى وادي الميحان ليصدوا الامير بشيرًا وعسكرهُ عن التقدم فاكمنوا في بطن الوادي حتى بلغتهم طليعة جيش الامير بشير فانقضوا عليها انقضاض الصواعق فقتلوا منها ماية رجل وولى الباقون الادبار حتى بلغوا الامير بشيرًا فحمل بهم وبقية الجيش على اعدائه وسيفه بيمينه مسلول حملة الاسود فكسرهم كسرة عظيمة وقتل من زعمائهم الشيخ ابا دعيبس جانبلاط وشيخ اهدن الشيخ يوسف بولس الدويهي وعددًا كبيرًا من الرجال فولى الامير يوسف بمن بقي معه الى اهدن وظل الامير بشيرًا سائرًا في طريقه الى لحفد وبعث بالرؤوس التي اجتزها من رجال الامير يوسف الى الجزار فايقن الجزار كذب الوشاة وامد الامير بالف فارس الى البترون وسار الامير يوسف من اهدن الى انحاء بعلبك اذ بلغهُ من متسلم طرابلس انه مامور بالزحف عليه الى اهدن ولما بلغ الامير يوسف بعض الطريق ورد عليه رسول من الامير جهجاه الحرفوش يقول له ان يتحول عن تلك الانحاء فانبرى من بين قوم الامير فارس الشدياق بينما كان الامير وحاشيته يتاملون فيما عسى ان يجيبوا الامير جهجاه الحرفوش واندفع على الرسول بضربةٍ بعصاه ثم قال له الى مولاك ومن هو حتى يعترض الامير في

طريقه وقل له اما ان يغادر البلاد واما ان تفاجئه رجال الامير فلما بلغ
الامير الحرفوشي ذلك فر الى الانحاء الشرقية فنزل الامير يوسف بقرية
طاريا ثم اقام باحدى قرى دمشق ورجع الامير بشير الى دير القمر وعنف
اصحاب الامير يوسف وصادرهم باموالهم وقتل الجزار الشيخ محمد القاضي
عند ما مثل لديه ليستعطفه على الامير يوسف مدفوعاً الى ذلك من
الشيخ غندور الخوري ووهب الامير يوسف اخاه الامير حيذر نصف
بعبدا ونصف طاحون القناطر ولما كانت سنة ١٧٨٩ بعث والي دمشق
ابرهيم باشا وكان قد رجع من الحج الى والي طرابلس درويش حسن باشا
ان يولي الامير يوسف بلاد جبيل ففعل فكتب الامير بشير في ذلك الى
الجزار فامره الجزار بطرد الامير يوسف من بلاد جبيل وامده لذلك بعسكر
من عنده ففر الامير يوسف الى الكرك ثم الى الزبدانة وجعل فارس
الشدياق مدبراً له بدلاً من الشيخ غندور الذي كان قد فر هارباً الى
الى الضنية من وجه الامير بشير واختبأ في احدى قراها ثم ارسل الامير
يوسف مدبره الجديد الى دمشق وكيلاً عنه وذهب هو الى حوران ثم
كتب من هناك الى الجزار يلتمس منه الامان ويستاذنه في المثول لديه
بعكاء وفي تلك الايام سأل الامير قاسم الحرفوش الامير بشيراً ان يخلع
ابن عمه الامير جهجاه الحرفوش ويجعله في مكانه فاستجاب سؤاله وعززه
بعسكر من عنده سيره الى زحلة وامر اهلها ان يكونوا مع العسكر يداً
واحدة على الامير جهجاه وامر ايضاً الامراء اللمعيين ان ينضموا برجالهم الى
الزحليين فكان كذلك فانتشب الحرب بين الامير قاسم والامير جهجاه
الحرفوشيين في ارض ابلح فانتصر الامير جهجاه على اعدائه فسلب خيلهم

واسلحتهم واما الامير مراد شديد اللمعي الذي اسر في تلك الواقعة فامر له برد سلاحه وجواده واكرمه ثم خلى سبيله واما الامير بشير فلما اتصل به خبر الهزيمة سير اخاه الامير حسناً وبعضاً من ارباب المناصب في عسكر اخر فلما بلغوا بعلبك فر الامير جهجاه منها فدخلوها فلم يجدوا بها قوتاً لهم فرجعوا ثم كتب الامير بشير الى الجزار يلتمس منه عسكراً للامير قاسم يمكنه من قهر الامير جهجاه فسير اليه الجزار عسكراً وعززه الامير باشياخ الدروز ورجالهم ولما وصلوا الى بعلبك فر الامير جهجاه منها فتعقبوه فعاد اليها من طريق اخر ونهبها ثم ولى الى انحاء بيروت واما الامير يوسف فلما ورد عليه جواب الجزار وقد دعاه به الى عكا خرج من حوران في جماعته ومعه اخوه الامير حيدر ومثل بين يدي الجزار وفي عنقه منديل الامان فاكرمه الجزار وانزله عنده فاقام خمسة اشهر ثم توافقا على ان يكون الامير يوسف والياً على ان يؤدي الى الجزار ضريبة قدرها ستماية الف غرش كل سنة ويبقى الشيخ غندور مدبر الامير رهناً على مبلغ الضريبة فبعث الامير يوسف الى الشيخ يستقدمه اليه من الضنية فلما مثل لدى الجزار اكرمه ورحب به . فما حلت سنة ١٧٩٠ الا والامير يوسف عليه خلعة الولاية فكتب الشيخ غندور الى ارباب المناصب في البلاد يخبرهم بذلك فسروا بذلك وفرح الناس بهذا الخبر لان الامير بشيراً كان ضارباً عليهم من المال ما هو فوق طاقتهم وخرج الامير بشير من دير القمر الى نيحا غير باقٍ له من الانصار الا الشيخ قاسم جانبلاط وقدم الدير الامير سيد احمد ملحم والامير قعدان محمد نائبين عن الامير يوسف وقدمها كذلك بعض ارباب المناصب يترقبون قدوم الامير يوسف اليها وبعض منهم سار الى ملاقاة

هذا الامير · غير ان الامير بشيراً تلافى الامر وسار الى الجزار قابلاً بقدر الزيادة من الضريبة التي تقيد بها الامير يوسف وعرض ذلك على الجزار فوعدهُ بالولاية لان الجزار كان اشد ميلاً الى الامير بشير منه الى الامير يوسف فكان هذا الميل مرجحاً كفة الميزان الى جانب الامير بشير متى تساوى مقدارا الضريبة المعروضان نخلع الجزار على الامير بشير خلعة الولاية وامر بحبس الامير يوسف واخيه الامير حيذر ومن كان مع الامير يوسف من الوجوه وسلب تابعيه خيلهم وسلاحهم ثم اطلق سبيل الامير حيذر والامير حسين بناء على شفاعة الامير بشير في امرهما واما الامير بشير فسار بالعسكر في الحال ومعه الاميران الى دير القمر فالتقى بطريقه بالآتين لملاقاة الامير يوسف فامر فيهم فاعتقلوا وسلبت منهم اسلحتهم وخيولهم ثم خلى سبيل بعض منهم

ولما احسّ الامير سيد احمد والامير قعدان نايبا الامير يوسف بقدوم الامير بشير فرّا من دير القمر يبعض من اهل حزب الامير يوسف ولما بلغ الامير بشير الدير القي القبض على البعض الاخر من اهل هذا الحزب وسجنهم وسير جباة يجبون الاموال زائدة عن اصلها فولى بعض الناس الى حوران فاسترجعهم الامير بالقوة والعنف ثم جمع الاموال وارسلها الى الجزار وحدث في تلك السنة ان توفي الامير محمد اللمعي فضم مأتمهُ الامراء من ذوي قربى الفقيد والوجوه من تابعيهم فدار الحديث بينهم في قسوة الامير وما تفضي اليه من خراب البلاد فتآمروا عليه واتفقوا على تمهيد السبيل لان يكون الامير حيذر ملحم وابن اخيه الامير قعدان على الولاية بدلاً منه وتحالفوا على ذلك وكاشفوا فيه سراة

البلاد ووجوهها فوافقهم كثيرون عليه فطردوا جباة الامير بشير فعند
ذلك جمع الامير بشير من آنس منهم ميلاً اليه من ارباب المناصب
وحشد رجالهُ ورجالهم ثم زحف بهم الى عين دارة يريد ان يقهر المتنيين
ارباب تلك الثورة ووجه الامير حيذر احمد في خمسين رجلاً الى
كفرسلوان وامرهُ في بني حاطوم من الدروز ان يحرق منازلهم لانهم
كانوا جمرة تلك الثورة فسار هذا الامير حتى بلغ كفرسلوان فطلع
عليه اهلها وقد انضم اليهم من استصرخوهم من اهل المتن فاستعرت نيران
الحرب بين الفريقين فارتد الامير حيذر الى عين دارة حيث تربص
الامير بشير بالعسكر المتني في حمانا وانضم الامير حيذر ملحم الى ابن
اخيه الامير قعدان بعبيه فاجتمع اليهما بعض من اشياخ العمادية
والنكدية فلما دري الامير بذلك برح عين دارة وولى راجعاً الى دير القمر
وفي قلبه خوف ان يسبقه اليها اعداءه ثم بعث الى الجزار يخبرهُ ان تلك
الثورة من ثمرات دسائس الامير يوسف ويلتمس منه ان يمده بعسكرٍ
يقوى به على قهر الثائرين وبعث الى الامير ملحم حيذر والامير قعدان
يعدهما بتوقيف حركة الجباية ورد الصكوك التي عهد بها اهل البلاد اداء
القدر الزائد عن الاموال الاميرية اليهم فسكنا لذلك الوعد ومضى
الامير قعدان وبنو نكد الى دير القمر وعاد الامير حيذر الى بعبدا فاذا
بعسكرٍ من الارناووط يبلغ الف رجل بدت طلائعه عند المحلة المعروفة
بجرجة بيروت كان قد ارسله الجزار قضاء لالتماس الامير بشير فولى
الامير حيذر ملحم بعياله من بعبدا الى العبادية ليتحد مع المتنيين اما الامير
بشير فوجه الامير حيذر احمد ومعه بعض من ارباب المناصب من دون

العمادية الى الحدث فاتحدوا مع العسكر لمقاتلة المتنيين فانحدر المتنيون وعليهم الامير حيذر ملحم والامراء اللمعيون الى الساحل ووقعت الوقائع بين الفريقين فانكسر المتنيون وهلك منهم عدد كبير واما الامير يوسف وما كان من امره فهو ان الجزار لما وصله كتاب الامير بشير وعلم ما به من الشكوى من دسائس الامير يوسف غضب على هذا الامير وكتب وهو بالمزاريب من طريقه الى الحج الى نائبه بعكاء يامره بقتل الامير يوسف ومدبره شنقاً ولكنه ما لبث ان ندم بعد الصحو من سورة الغضب فبعث حالاً الى نائبه يبطل الامر الاول فبلغ الامر الثاني النائب قبل ان ينفذ الامر الاول فستره النائب مغرى على ذلك من ابن السكروج لحقدٍ في قلب هذا على مدبر الامير الشيخ غندور وانفذ الامر الاول فقاد الاثنين الى المشنقة اما الامير فعلّق ومات واما الشيخ فمات خوفاً قبل ان يعلّق

مات الامير يوسف تلك الميتة وعمرهُ اربعون سنة ومدة ولايته سبع وعشرون سنة تسع سنين منها قضاها والياً على جبيل والمدة الباقية والياً بدير القمر ولما رجع الجزار اسف على الامير يوسف واذ تحقق خيانة ابن السكروج قتله وسلب امواله ثم كتب الى الثغور يامر عمالها ان ينيلوا الامير بشيراً حاجاته ويمنعوا عن لبنان الاقوات وبعث الى متسلم دمشق (عاملها) ان يعد عسكراً لمساعدة الامير ووجه الامير اسعد عامل حاصبيا في عسكرٍ الى البقاع فانضم اليه اخو الامير بشير الامير حسن منفذاً من اخيه لمساعدة الامير اسعد فلما بلغ المتنيين زحف الامير اسعد الى البقاع قاموا لمحاربته فحدثت بينهما وقائع كثيرة واتسع

حينئذٍ نطاق العصيان على الامير بشير حتى شمل اهل الغرب والشحار والجرد واهل دير القمر فسطوا على المغاربة من رجال الامير وقتلوا منهم خمسة عشر رجلاً فكبر ذلك على الامير واوجس خيفةً من تفاقم العصيان فولى بالمغاربة عسكره ومعه الشيوخ الجانبلاطية الى صيداء وبعث الى الجزار يكشف له واقع الحال فارسل الجزار الى الارناووط النازلين بضواحي بيروت ان يرجعوا الى صيدا فرجعوا ولما بلغوا السعديات من طريقهم طلع عليهم النكدية من مكانهم هنالك واصلوهم نارًا حامية وقتلوا منهم مايتي رجل وغنموا اسلابهم

ثم كتب الجزار الى قائدي عسكريه بصيدا والبقاع ان يتوافيا الى المتن لقهر اهلها العصاة فسار الامير بشير بعسكر صيدا حتى بلغ اليابس بالقرب من صحراء الشويفات واذا باهل الشحار والغربين هناك يترقبونه للقتال فجرت واقعة بينهما كان الفوز فيها للامير فظل سائرًا حتى وصل حرجة بيروت حيث وفد عليه بعض من ذوي قرباه ومن الشيوخ واما المتنيون وقد ظاهرهم سائر اهل البلاد وانضموا اليهم فانقسموا باجماع الراي الى عسكرين عسكر يزحف الى قب الياس لمقاتلة العسكر الطالع عليهم من صوب البقاع وعسكر يزحف الى العبادية لمقاتلة العسكر النازل بضواحي بيروت واذ سير الامير بشير الارناووط وعليهم الامير حيذر احمد الى اللويزة والشياح فاحرقوهما ثم رجعوا الى معسكرهم احتشد الرجال من المتن والغرب ودهموا المعسكر فكسروه فارتد عليهم بالرجال فكسرهم الى الشويفات وقتل منهم ثلثون رجلاً ولما اتصل ذلك بالامير قعدان انحدر برجاله ومعه العمادية والنكدية الى الشويفات وسار الامير حيذر ملحم من العبادية الى

حمانا وانضم الى الاميرين امراء حاصبيا فاجتمعت اليهما رجال البلاد فولى الامير بشير بعسكره وقد خشي ان يدهمه الاعداء الى راس بيروت وحدث في خلال ذلك ان عسكر دمشق زحف الى زحله فطلع عليه اهلها وهزموه فاستمد قائده النجدة من دمشق فاتته النجدة فلما علم الامراء اللعيون بذلك ارسلوا رجالاً يخبرون زحلة فخرج اهلها منها لثقل وطأة الخفراء واتوا المتن فلما احس بذلك الاعداء زحفوا الى البلدة ودخلوها بعد ان فر الخفراء منها هاربين فنهبوها ثم احرقوها ثم جاءوا تعنايل فادركوا بعضاً من اللبنانيين هناك فاستعرت بين العسكر وبين هولاء نيران الحرب ولم يلبث هولاء ان عززوا بنجدةٍ من اهل الجبل فانقضوا على العسكر فولّى منهزماً الى بر الياس وقد قتل منه اربعون رجلاً ومن اللبنانيين اثنا عشر رجلاً ثم تعقبه اللبنانيون الى بر الياس وبطشوا به بطشة كبيرة فولى مدبراً الى دمشق وترك للبنانيين مغانم شتى فاحرق اللبنانيون القرية . ثم اتفق ارباب المناصب في البلاد ان يستسفروا الشيخ قاسم جانبلاط لدى الامير بشير في الصلح على ان يدفعوا الى الامير خمسماية الف غرش ويصرف عنهم عساكر الجزار ويعود هو الى الولاية كما كان فلم يركن الامير الى ذلك وآثر الحرب فاثارها ودارت الدوائر على رجاله ولا سيما الارناووط منهم فقد قتل منهم اربعماية رجل ومن اللبنانيين اثنان فقط ولما كان الجزار قد آن اوان مسيره للحج استرجع العساكر فرجع بعضها الى صيدا وبعضها الى عكا ورجع عامل حاصبيا الامير اسعد اليها واما الامير بشير فرجع من بيروت بخمسماية فارس والفي راجل الى صيدا بحراً لانه قد اتصل به ان اللبنانيين قطعوا عليه طريق البر عند الدامور فامر الجزار الامير ان يتربص بجماعته

في صيدا حتى يعود من الحج وكان في جماعة الامير اخوه الامير حسن والامير اسعد يونس والامير حيذر احمد والامير مراد اللمعي والشيخ قاسم والشيخ خطار الجانبلاطيان . اما الشيخ قاسم جانبلاط فلم يلبث ان خرج من صيدا الى الجبل تلبية لدعوة من دعاه من ذوي قرباه واما ما كان من امر الامير حيذر ملحم والامير قعدان فانهما توجها الى دير القمر حيث استقدما اليهما ارباب المناصب في البلاد وتداولا معهم فاستقر راي الجمهور ان يقاوموا الجزار ان اصر على تولية الامير بشير عليهم فلما رجع الجزار كتبوا اليه وهو بدمشق انهم قوم يلتمسون رضاه عنهم ويخفضون له جناح الطاعة ولكن لا يرضون بولاية الامير بشير عليهم لظلمه اياهم ولا يقومون من الاموال الاميرية الا باداء القدر المضروب قديماً ثم يلتمسون منه ان ينعم بخلعة الولاية عليهم على الامير حيذر ملحم وابن اخيه الامير قعدان فلم يعرهم الجزار اذناً واعية وانعم بخلعة الولاية على الامير بشير وكان هذا الامير لما بلغه خبر قدومه من الحج ترك الامراء ذوي قرباه بصيداء وسار ومعه الامير مراد اللمعي والشيخ خطار جانبلاط للقائه عند صحراء المزاريب في منزلة الرمثا وصحبه الى دمشق حيث انعم عليه بالخلعة وعززه بعسكرٍ كبير فسار الامير بالعسكر الى حاصبيا حيث وافاه اخوه الامير حسن والامير اسعد فابقى الامير اسعد بحاصبيا وابقى له الارناووط لخفارتها والذود عنها وسار هو باخيه في بقية العسكر الى صيدا ثم انتقل منها الى علمان ولما احس اللبنانيون بقدومه سيروا عسكراً من الشوف الى حاصبيا لاخراج الارناووط منها فلما بلغها هجم على الارناووط فاضطروهم ان يتحصنوا في السراي من البلدة فرجع العسكر عنها الى البلاد ولم يبق منهُ الا خمسماية

رجل اقاموا على حصار الاعدا وقد اشتد الضيق بالمحصورين حتى انهم سالوا اللبنانيين ان يبيحوا لهم الخروج من المعقل بالسلاح والمتاع فابوا ذلك عليهم وما زالوا بهم حتى اقبل الامير بشير برجاله على حاصبيا فاضطروا عندئذٍ ان يولوا عنهم لمقاتلة الامير فاصلوه نارًا حامية وكسروا عسكره فولى منهزمًا الى المحلة المعروفة بالخان فخرج المحصورون وساروا في اثر اللبنانيين والامير اختار فريقًا من فرسان عسكره المهزوم وانكفأ عليهم من جهة اخرى فانتصر عليهم بعد قتال شديد اذ فقد من الخمسماية في تلك المعركة ماية وثمانية عشر رجلاً ثم كتب الامير الى الجزار يبشره بذلك الانصار وسار بعسكره الى البقاع فبعث اليه الجزار ان يرجع بعسكره الى صيدا حتى يسير منها الى اقليم الخروب ويفتتح محاربة الجبل من هناك لقرب موارد الامداد فرجع الامير وسار بحسب امر الجزار في العسكر الى اقليم الخروب وكان عدده اثني عشر الف مقاتل فعسكر ببعض منه في عانوت ووجه البعض الاخر الى داريا وشحيم واما الامير حيدر والامير قعدان فعسكروا برجالهم في عين بال وبعقلين ووقعت بين الفريقين عدة وقائع في وادي نهر الحمام من الجاهلية الى عين بال كان الحرب فيها سجالاً ثم اجمع الاميران وارباب المناصب على البطش بعسكر الامير بشير البطشة الكبرى بان يهجموا عليه جميعاً دفعة واحدة ولكن حدث من الشيخ قاسم جانبلاط ماراب الاميرين من خيانة رجالها فهمّا لذلك بان يفرّا ولكن النكدية دبروا لعسكر الامير بشير مكيدة على يد رجل شجاع اسمه حنا يبدر من كرخا من قرى اقليم الخروب انتصروا بها انتصاراً كبيراً اذ فتك هذا الرجل ومعه خمسماية مقاتل في عسكر الامير بشحيم فتكاً ذريعاً كاد يلحق الفشل بسائر

العسكر لو لم يسكن الامير بشير اضطراب قومه ويثبت جأشهم فتشددت
بذلك الانتصار عزايم الاميرين وعسكرهما ودامت الحرب بين الفريقين حتى
وافى قوم الامير من عساكر الجزار العسكر الذي جاء شرقاً من انحاء البقاع
وكان قد قتل منه عدد كبير في ما جرى لهُ من الوقائع مع الامير جهجاه
الحرفوشي واهل زحلة وكانت الغلبة في ذلك للامير جهجاه والزحليين فحينئذٍ
انتصرت عساكر الامير بشير على قوم الاميرين ولكن لما بلغت هذه
العساكر مرج بعقلين حدث انشقاق بين قائدي العساكر القره محمد قايد
العساكر الزاحفة من اقليم الخروب والمنلا اسمعيل القادم من البقاع بالف
فارس وار بعماية فارس وسبب ذلك التحاسد بينهما فتقاعد القره محمد عن
القتال اذ رأى ان النصر جاء في وجه المنلا اسمعيل فوقع الشيخ جهجاه العماد
بثلثمائة من رجاله على عساكر الامير بشير وقوع البوازي فارتدت العساكر
متقهقرة الى عانوت فثبت بذلك جاش قوم الاميرين فرجعوا الى عين بال
وزحفوا منها بعد ان انضم اليهم كثيرون من المقاتلين الى عانوت حيث
كان المنلا اسمعيل معسكراً برجاله فوقعت هنالك بين الفريقين وقعة
كبيرة ذهبت بحيوة كثيرين من الجانبين ولما عجز قواد عساكر الجزار
عن الفوز بالمرام كتبوا في ذلك الى الجزار فاسترجع الجزار العساكر اليه
فرجعت وكان معها الامير بشير واخوه الامير حسن والشيخ قاسم جانبلاط
فامر الجزار الامير بشيراً ان يقيم بصيدا واخاهُ ببيروت وجعل الشيخ
قاسماً بعكاء محجوراً عليه ولكن مكرماً ومنع الاقوات عن الجبل ثم ارسل
ارباب المناصب الى الجزار يسترضونه ويلتمسون منه ان يولي عليهم الاميرين
الامير حيدر والامير قعدان على انهم يقومون باداء الاموال الاميريـة

على حسب المعتاد اربعة الاف كيس منجمة على ست سنين فاجابهم الجزار ان ارسلوا اليّ اربعة من الوجوه فارسلوا له اثنين فسالهما عن مقدار ما اخذه الامير بشير من البلاد من الاموال وعن الاسباب التي اوجبت العصيان فقالا انهما لا يعلمان شيئاً من ذلك فردهما وراسل يستحضر لديه الشيخ عبدالله القاضي البيصوري نخشي هذا الغدر وتمارض فوجه الاميران بدلاً منه ثلثة من الوجوه فلما وقف هولاء بين يدي الجزار قال لهم انني كففت الحرب عن اهل البلاد شفقة عليهم ولكنني بسبب عصيانهم انفقت على العساكر اموالاً كثيرة فان دفع اليّ الاميران مقدار ما انفقت خلعت عليهما خلعة الولاية فاتفق الاميران مع الجزار على ان تكون نفقة العساكر خمسين الفاً من الغروش وارسلا اليه قبل ذهابه الى الحج عشرين الفاً منها واربعة من الخيل الجياد وصكاً باربعة الاف كيس منجمة على ست سنين فولاهما وامر باعتقال الامير بشير في صيدا واخيه الامير حسن في بيروت وابطل منع الاقوات عن الجبل ثم مضى للحج اما الاميران فارسلا في غيابه المجموع من الاموال الاميرية الى قائمقام دمشق واستحصلا من والي طرابلس على ولاية بلاد جبيل فسارا الى جبيل لجمع الاموال الاميرية وقد زادا في القدر المضروب من المال نصفه وفي مقدار الجزية غرشين وحاسبا وكيل الامير بشير على ما بيده من المال المقبوض واخذاه منه ثم قتلاه شنقاً

وفي سنة ١٧٩٢ وقعت فتنة بين الاميرين حيذر وقعدان وبين الشيخ بشير جانبلاط وقد تشيع لهذا الشيخ بعض الامراء اللمعيين نخشي الاميران ان يكون ذلك بدسيسة من الامير بشير ليخلعهما من الولاية ويتبوأ مكانهما

فتلافيا الامر بالملاينة والموادعة حتى جرت المصالحة بين الاميرين الواليين
و بين خصومهما وحدث حينئذٍ ان جرجس باز مدبر ابناء الامير يوسف
الامير حسين والامير سعد الدين والامير سليم وهو رجل ماروني من
دير القمر كان على جانب كبير من سعة الادراك سامي المكانة نافذ الكلمة
التمس من الاميرين الواليين ان يوافقاه على ان تكون ولاية بلاد جبيل
للامراء ابناء الامير يوسف على ان يدفع في كل عام خمسة وسبعين الف
غرش فوافقاه على ذلك فبعث يلتمس من والي طرابلس خلعة ولاية بلاد
جبيل لمواليه فاستجيب التماسه وجعل هذا المدبر يمهد القلوب لمحبة مواليه
ويستميل الانفس الى موالاتهم بكثرة البذل والسخاء ثم استحصل لهم من
الجزار على ولاية جبل الشوف وذلك برضى الاميرين حيذر ملحم وقعدان
اللذين كانا يعاونانهم في اوقات الاضطراب والفتنة حتى انهما كتبا الى
الجزار يخبرانه ان ما كان يقع من الاضطراب انما كان بدسيسة من الامير
بشير واخيه الامير حسن فاستحضر الجزار الامير بشيراً واخاه الى عكاء ثم
وجههما الى الناصرة ومضى في سبيله للحج فاستقر الامير حسين يوسف
بدير القمر واخوه الامير سعد الدين بجبيل وكان الامير سليم اخوهما لم
يزل حديث السن ولكن لما آب الجزار من الحج عاد الامير بشير ففاز منه
بخلع ابني الامير يوسف من الولاية وتوليته عليها بدلاً منهما وقد حدث في
سبيل استوائه عليها مقاومات وجرت لهُ مواقع مع خصومه قهرهم فيهـا ثم
عفا عن الامير حيذر ملحم وعن الامير قعدان وتعقب ابنا الامير يوسف
ولكن لم يستقم له الامر في الولاية اذ وشى فيه لدى الجزار وشاية افضت
الى خلعه من الولاية واسترجاع الامير حسين والياً بدير القمر والامير سعد

الدين بجبيل واذ حدثت فتنة بعد عودتها الى الولاية وعزي السبب فيها الى الامير بشير سجن الجزار الامير بشيراً واخاه بعكاء واعتقل الشيخ بشير قاسم جانبلاط وفارس ناصيف مدبر الامير وفي سنة ١٧٩٥ ارجع الجزار عند ايابه من الحج الولاية الى الامير بشير بعد ان عهد له ان يدفع اليه ثلثماية الف غرش منجمة على ست عشرة سنة وكان الشيخ بشير قاسم نافذ الكلمة عند الامير مقبول الرأي فجرت للامير عدة وقائع مع ابني الامير يوسف كان النصر له فيها وقد تعقب الاميرين ابني الامير يوسف الى حد طرابلس حيث نزلا على متسلمها (عاملها) فاضل اغا رعد وقد مهد الشيخ بشير لبني الدحداح عند الامير سبيل الرضى عنهم وربما كان ذلك بسعي مدبر الشيخ بشير سلوم الدحداح فجعلهم الامير كتبة عنده وعند اخيه وقد عفى الامير عن كثير ممن جهروا بالمناوأة له وذلك بشفاعة الشيخ بشير لديه ولما عاد والي طرابلس خليل باشا من الحج ووقف على ما جرى في غيابه بين الامير بشير وبين ابناء الامير يوسف خلع على الامير سليم خلعة ولاية بلاد جبيل وعززه بعسكر الى البترون فوقعت بينه وبين الامير بشير حروب كان النصر فيه للامير بشير وكان خليل يعزز الامير سليماً بالعساكر من جيش الجزار ولكن الغلبة كانت في غالب الاحيان للامير بشير ومع ذلك كله فلم يستقر له الامر لان ابواب الفتنة كانت دائماً مفتوحة واسباب الوشاية موجودة والمنافسة بين انداد الولاية في الجبل لدى الجزار في استرضائه زيادة الضريبة جارية في مجراها فقيل للجزار عن الامير بشير انه ذو ميل الى الفرنساو بين الذين كانوا حينئذ في مصر يتولى امرهم نابوليون بونابارت الشهير وكان في عزم ولي امرهم هذا ان يغشى الديار السورية برجاله

فمال الجزار الى خلع الامير بشير وتولية ابناء الامير يوسف بدلاً منه وجهز لهولاء الامراء عسكراً يمكنهم من استلام زمام الولاية ولكن عاد فوقف عن انفاذ ارادته ولما كانت سنة ١٧٩٩ ظهر بونابارت بعسكره عند عكا يريد فتحها وهو واثق انها باب لسوريا فزحف اليها براً وكان عسكره لا يزيد عن ثمانية الاف مقاتل وقدمت حينئذٍ سفن الانكليز الى تلك المدينة تبغي وقايتها من الفرنساويين فجعل الجزار يتأهب للمدافعة وبعث الى الامير يستنجده بعسكر من لبنان فاجابه ان اللبنانيين لا ينقادون له ما داموا عالمين بان الولاية عليهم قد دفعت الى يد ابناء الامير يوسف فغضب الجزار من هذا الجواب · ولكن الامير كما امتنع عن نجدة الجزار امتنع كذلك عن نجدة بونابارت اذ كتب اليه بونابارت يستنجده فلم يجبه فكتب اليه ثانية يعاتبه على الامساك عن الجواب فوقع الكتاب هذه المرة في يد متسلم صيدا فبعث به في الحال الى الجزار فلما راه الجزار خفض من غضبه على الامير وكتب اليه ايضاً يسأله ان يرسل اليه عسكراً فاجابه ايضاً ان ذلك غير متأتٍ له ثم مهد الامير لنفسه سبيل المصادقة مع امير السفن الانكليزية سميث فجرت المودة بينهما ووعده سميث ان يزيل من قلب الجزار ما كمن من النفرة منه ولكن لم يتيسر له ذلك فان الجزار بعد سفر الاسطول الانكليزي من عكاء عزم على تولية ابناء الامير يوسف بدلاً من الامير بشير فجعل الامير يلتمس الطرق لتعزيز نفسه في الولاية وكاشف في ذلك ارباب المناصب ولا سيما صديقه الشيخ بشير جانبلاط واتفق حينئذٍ ان الصدر الاعظم يوسف باشا ضيا قدم الى الديار السورية فبذل الامير ما في وسعه لاسترضاء هذا الصدر واستمالته اليه فمال الصدر اليه وانعم عليه بخلع الولاية على جبل

لبنان ووادي التيم وبلاد بعلبك والبقاع وبلاد المتاولة على ان يبقى والياً
بامر الدولة ابداً وان لا يكون لاحد من الوزراء سلطة عليه وان يكون
توريد الاموال الاميرية من يده الى خزانة الدولة مباشرة ولكن مع ذلك
لم يستقر له الامر ومع انه كان معضداً من الصدر الاعظم ووزراء الدولة
لم يقوَ على احتمال مقاومة الجزار له على يد ابناء الامير يوسف فاضطر
لذلك ان يخرج من لبنان وذهب بعد وقائع جرت بينه وبين ابناء الامير
يوسف معززين من الجزار الى الاسكندرية على سفينة خصوصية بعث بها
اليه سميث الانكليزي وخلا الجو حينئذٍ لابناء الامير يوسف ولما وصل
الامير بشير الى الاسكندرية اكرمه سميث وخرج الامير مع سميث الى
البر لمقابلة الصدر الاعظم حيث كان معسكراً بجنوده فرحب الصدر بالامير
وطيب خاطره ووعده بقضاء حاجته وكان سميث يطنب بالامير لدى
الصدر ويظهر صدق خدمته للدولة ولما انعقد الصلح بين الفرنساويين
والصدر الاعظم على ان الفرنساويين يرجعون الى ديارهم غادر الامير الديار
المصرية مع سميث واتى الى قبرس وقد مر في طريقه اليها ببيروت فعلم من
قنصل الانكليز بها بشيء مما جرى في لبنان في غيابه ولما وصل الى قبرس
ساعده سميث بالمال وبقي الامير هناك نصف سنة وكانت ترد عليه
الكتب الخطيرة الشأن وهو يطلع سميث عليها ثم رجع الامير ثانية مع سميث
الى الاسكندرية ومن ثم رجع الى سوريا فخرج من البحر الى النهر البارد
عند طرابلس ثم سار الى الحصن ونزل على علي بك الاسعد وجعلت الكتب
ترد عليه سراً من جميع ارباب المناصب الا العماديين وكان اللبنانيون
قد سئمت نفوسهم من حكومة الاميرين ابني الامير يوسف وكثرة مظالمها

في استحصال الاموال استرضاء للجزار ومالوا الى الامير بشير كما كانت عادتهم فيما مضى من اتخاذ انداد للوالي عليهم كلما رزحوا تحت اعباء الضرايب الفادحة والسبب في ذلك كله هو لا شك ظلم الجزار وكلفه بتكليف الناس فوق طاقتهم من الضرائب والمكوس حتى ان رضاه ما كان يناله الا من يشتريه بثمن من الاموال فاحش ٠ وقد عتا الجزار الى حد انه قاوم وزراء الدولة كما تبين لك ذلك وخالف اوامر عظماء رجالها

ولما احس الامير بان اللبنانيين مائلون اليه تغلغل في بلادهم وجعل يمهد لنفسه سبيل العود الى الولاية فبلغ مرامه بعد وقائع كثيرة جرت بين رجاله ورجال مشايعيه و بين الاميرين ابني الامير يوسف وجنودهما من عساكر الجزار ثم اتفق الامير بشير مع نديه الامير حسين والامير سعد الدين ومدبرهما جرجس باز على ان تكون الولاية العامة للامير بشير وان يكون الاميران واليين على بلاد جبيل و كتبت في ذلك وثيقة وجرت المصالحة بين الفريقين فلما علم الجزار بذلك الاتفاق امتلا قلبه غيظاً وحنقاً حتى انه لما التمس منه العماديون في سنة ١٨٠١ ان تكون الولاية للامير عباس اسعد اجاب التماسهم ولما عارضتهم في ذلك سعى الشيخ بشير ان تكون الولاية للامير سلمان ابن الامير سيد احمد واتفق مع الامير قعدان على ذلك فكتبا الى الجزار يلتمسان منه الولاية للامير سلمان على ان يدفعا اليه مايتين وخمسين الف غرش ولكن عندما بلغ العماديين ذلك ذهبوا بالامير عباس الى الجزار بعكاء وفازوا منه بالولاية لزعيمهم الامير عباس ثم جرت الوقائع بين هذا الامير و بين الامير سلمان والامير قعدان ولم يلبث الامير بشير ان ظهر في مظهر القوة وقهر جمع اعدائه فلما يئس العماديون من فوز الامير عباس عادوا

يلتمسون الولاية للامير سلمان سيد احمد ولكنهم لم يظفروا يبغيتهم لان الامير بشيراً كان قد انتصر على جميع خصومه انتصاراً بيناً واتفق جميع وجوه البلاد وارباب المناصب فيها على ان يكون الامير بشير والياً عليها دون غيره وكتبوا الى الجزار يلتمسون ذلك منه ويخبرونه ان العماديين مرادهم اضاعة الاموال الاميرية واما الامير بشير فلم يحسب ان ذلك الانتصار يغنيه عن رضا الجزار شيئاً فرأى من الحكمة استرضاءه ليستقر له امر الولاية فاستشفع احد الباشوات في امره لديه وكتب له كتاباً في ذلك فاطلع الباشا الجزار على الكتاب فلان الجزار وطلب ان يرسل الامير اليه من يعتمد عليه من بطانته فارسل الامير كاتبه يوسف الدحاح فلما مثل هذا الكاتب بين يدي الجزار اخذ الجزار يذكر ما عدّه على الامير من السقطات فقال اين الامير والفرنساويون واين هو وسميث الانكليزي واين هو والصدر الاعظم فقد ذهب اتكاله عليهم سدى وفاته ان سعد الجزار يغلب كل شي ولكن لا بأس على الامير فقد تجاوزت له عن كل الامور الماضية وليكن واثقاً انه ينال مني ما يرضيه وبعد ان كتب الجزار الى الامير كتاباً يطيب به نفسه بعث اليه بخلعة الولاية على البلاد الأ اقليم جزين و برجا منها

وفي سنة ١٨٠٤ توفي الجزار واختلس الولاية اسمعيل باشا الذي كان قد سجنه الجزار في سجنه واما الامير بشير فلم يعترف بولاية هـذا الباشا وكتب الى نائب الجزار على دمشق يقول له انني لا انقاد الا الى اوامر من تنصبه دولتنا العلية والياً في موضع الجزار وولاية اسمعيل باشا هذا هي بدون امر من لدنها فارسل النائب ذلك الكتاب الى اسلامبول فكان من نتيجته

ان مهد للامير فيها مكانة عزيزة ولكن لما كان الامير في اضطرار الى استخلاص ابنه الامير قاسم وابن الامير يوسف الامير سليم اللذين كانا مرهونين بعكاء عند الجزار وجاز رهنهما من بعد الجزار الى اسمعيل باشا الذي اختلس الولاية من بعده اضطر ان يجاري هذا الباشا في بعض الاشياء قضاء للبانته ومع ذلك فان مجاراته له لم تجده نفعاً لانه لم يفز بانجاز المواعيد منه وبقي المرهونان بعكاء وحدث يومئذٍ ان وزير حلب ابراهيم باشا قدم من حلب الى دمشق وبعث الى الامير بصورة كتاب الارادة الصادرة بنصبه عوضاً عن الجزار والياً على صيدا ودمشق وطرابلس فوجه الامير جرجس باز الى دمشق مستنباً عنه في اداء الطاعة فاكرمه الوزير واحتفى به كثيراً واتخذه مستشاراً له في كثير من المهمات فكان جرجس نافذ الكلمة عنده وكان الامير يستقضي كثيراً من الحاجات على يده وورد على الامير حينئذٍ امر من السلطان سليم في النهوض لمساعدة ابراهيم باشا على طرد اسمعيل باشا من عكاء وكتاب من الصدر الاعظم يوسف باشا ضيا يقول له فيه علمت ان اسمعيل باشا استنهضك لمساعدته مدعياً انه كتب الى الدولة يلتمس منصب صيدا فاتيت وقد وقفت على كتابك الذي ارسلته الى نائب دمشق وعلمت منه انك لا تطيع الا من توليه الدولة العلية وانك محافظ على المدن وابناء السبيل فطب نفساً بما فزت به من رضى الدولة عنك فلسوف تنيلك ما تبغيه فسلك الامير بحسبما امر به فاستقام له الامر وقتل اسمعيل باشا وتولى عوضاً عنه سليمان باشا فكتب اليه الامير وهنأه بالولاية والتمس منه اخلا سبيل المرهونيين فاخلى سبيلهما بعد اداء المبلغ الذي اصطلح عليه بينهما من متأخر الاموال وثبت الامير في منصبه وفي سنة ١٨٠٥ حدثت فتنه كان

السبب فيها بنو حاطوم و بنو القنطار من اهل المتن وذلك فيما يتعلق ببادية المتأخر لسليمان باشا من الاموال فانتقم الامير بشير منهم وهدم مساكنهم وقطع اشجارهم وفي سنة ١٨٠٧ حدثت فتنة اخرى في مأتم الامير موسى منصور بين الامرا الارسلانيين المنعيين من الشويفات برجالهم وبين الامراء الشهابيين ورجالهم من اهل الحدث وبعبدا وكان بين المتوفى وبين الارسلانيين صلة قرابة وكان السبب في الفتنة الطواف بالمحمل وقع من اجله مشاجرة بين اهل الشويفات واهل الساحل فاتسع الخرق فامر الامير ان تحرق دور الامراء الارسلانيين ولكن السيدة حبوس زوج الامير عباس استشفعت الشيخ بشيراً في ذلك لدى الامير بشير فجعل الشيخ يسعى لاسترضاء الامير مستعيناً بجرجس باز وجعل كلاهما يسعيان لاسترضاء الامراء الشهابيين فجرت المصالحة على بعض ارض اخذها الامراء الشهابيون فلم يحرق الا دار الامير حمد ولم يقطع الا بعض الاشجار ثم سكنت الثورة في نفوس الامراء الشهابيين واما جرجس باز فقد بلغ مكانة سامية من النفوذ والوجاهة حتى كثر حاسدوه من ارباب المناصب واوغرت الصدور من نفوذه ولاسيما صدر الامير حسن اخي الامير بشير فاضمر الامير حسن لجرجس ولاخي جرجس عبد الاحد الشر والتمس سبيلاً عليهما لدى الامير اخيه متواطئاً في ذلك مع بعض اليزبكية من ارباب المناصب فانخدع الامير وقبل بالمكيدة التي دبرت لقتل الاخوين جرجس وعبد الاحد في يوم واحد مع ان جرجس كان مخلصاً للامير ساهراً عليه من كل اذى كان يضمره له اعداوه وكان ميعاد قتلهما خامس عشر ايار سنة ١٨٠٧ اما عبد الاحد فقتل في جبيل واما جرجس فقتل في دير القمر ولم يكتف الامير

بشير بذلك بل سمل عيون الامراء ابناء الامير يوسف وجعلهم تحت المراقبة
والسيطرة وحظر عليهم الزواج وقد اتى ذلك كله باتفاق مع الشيخ بشير
ليخلو له الجو من الانداد ولاشك انه معدود عليه من افظع الامور وفي سنة
١٨٠٨ توفي الامير حسن اخو الامير بشير بجبيل فانتقلت ولاية بلاد جبيل
الى الامير قاسم ابن الامير بشير وفي سنة ١٨١٠ حدث ان اميراً من
امراء العرب وهو الامير عبدالله بن مسعود الوهابي التميمي قدم برجاله من
الحجاز الى حوران نخيف على دمشق منه فخرج واليها يوسف باشا الى المزاريب
لصده وقد كتب الى وزير عكاء سليمان باشا يسأله النجدة وكتب
سليمان باشا الى الامير بشير يستنجده للذود عن دمشق وكلاهما ذهب برجاله
لصد الوهابيين فرجعوا عن تلك الديار واذ استقر بال سليمان
باشا بزوال تلك النازلة خلا بالامير واسر اليه امراً سلطانياً
موءذناً له بالولاية على دمشق واستشاره في ذلك وابدى له رايته
من تحقق امانيه لان يوسف باشا والي دمشق يومئذ كان مقتدراً بالرجال
والمال فاجابه الامير انه ورجاله يقاتلون في سبيل تحقيق اماني الوزير
حتى يبلغوه مرامه . فاشتد عزم سليمان باشا وطلب الولاية فنالها على يد
الامير بعد حرب لم يطل امرها ولما تبوأ كرسي الولاية اكرم الامير
فثبت ابنه الامير قاسماً في ولاية بلاد جبيل وولى ابنه الآخر الامير
خليل البقاع وكان يستشير الامير في كل صعوبة تعرض حتى انه لما
اوشك ان يحدث فتنة في دمشق بسبب ظلم الكنج احمد الذي جعله
متسلماً للمدينة استشاره في الامر وابدى له مخافته من عواقبه ثم فوض اليه
ملافاة ذلك الخلل فعزل الامير الكنج احمد في الحال وارسله الى القدس

متسلماً لها واستبدله برجل يميل اليه الدمشقيون فهدأت الحال ثم استأذنه الامير في العود الى دياره فاذن له · وفي سنة ١٨١١ بعث الامير بفارس الشدياق والشيخ بشير جانبلاط برجل من الدروز يقال له حسون ورد الى الجبل الاعلى عند حلب لانقاذ جماعته من الدروز هنالك من يد اعدائهم معززين بكتب الى بعض الكبراء في تلك الانحاء ليمدوا له يد المساعدة فقضيت الحاجة واتي بتلك الجماعة الى لبنان وكان عددهم اربعماية بيت فاعطاهم الامير مابة الف غرش واقرهم متفرقين في مقاطعات ارباب المناصب من الدروز وفي تلك السنة ايضاً اعطيت ولاية بلاد جبيل ملكاً لمحمود بك ابن سليمان باشا وفي سنة ١٨١٣ اتخذ الامير معلماً لولده رجلاً فاضلاً من حمص يقال له بطرس كرامة قدم بيت الدين من عكار وقد احبه الامير حتي جعله بعد ذلك كاتباً اولاً ثم مدبراً له وكان الرجل عالماً نحوياً شاعراً فصيحاً وبالجملة فان الامير بشيراً كان هاديء البال في جميع المدة التي كان مرجعه فيها الى سليمان باشا لان سليمان باشا كان يوده كثيراً حتى انه لما وفد عليه الامير مرة يعزيه بموت مدبره احتفى به احتفاء كبيراً واكرمه اكراماً لم ينل مثله امير من امراء لبنان من وزير عكاء ولم تتكدر كأس الامير الا في اواخر مدة هذا الوزير ولكن الكدر لم يجيء من صوب الوزير بل كان بسبب حادثة جرت بين الامراء الشهابيين انفسهم وبدا فيها من الشيخ بشير بعض الخيانة للامير وذلك ان الامير حسناً الملقب بالاسلامبولي سأل من عمه الامير حيدر ان يزوجه من ابنته الكبرى فابى وزوجها من غيره ثم سأله ابنته الصغرى فابى كذلك فاضمر لعمه الشر وكاشف في ذلك بعضاً من بني الغريب من الدروز فزينوا له ما نوى من

قتل عمه ووعدوه باستمالة الشيخ بشير اليه وبان يتفانوا في سبيل مساعدته واشاروا عليه ان يجهر باعتناق دين الاسلام قبل ان يقوم للعمل فان ذلك يساعده على نيل الولاية فانقاد لمشورتهم ثم ترقب فرصة بعمه حتى بلت يده به فقتله وقتل اباه ايضاً وفر الى دمشق فافتى له علماءها بانه لا يجوز قتله لانه مسلم قتل مرتدين عن الاسلام وكان الامير بشير يكاتب سليمان باشا في ذلك وسليمان باشا يرسل الى وزير دمشق ان يدفعه اليه فجعله وزير دمشق في السجن لكثرة الالحاح عليه وكان الشيخ بشير يرسل الى السجين سرًا ويشدد عزيمته وقد دري بذلك الامير واضمر في قلبه النفرة من الشيخ ولكن سليمان باشا ما انفك عن مراسلة وزير دمشق في الامير حسن حتى بعث به اليه ولكن بعد وعده بالامان له فلما وصل الامير حسن الى عكاء سيره سليمان باشا الى اسلامبول واما الشيخ بشير فبات في خوف من الامير بشير وسعى جهده ان يرىءُ ساحته لديه فامنه ولكن قلبه مفعم من الحقد عليه ومن الميل الى تقوية اليزبكية للاستعانة بهم عليه وقد احس الشيخ شرف الدين القاضي الدرزي يومئذٍ ان الامير يكره الشيخ بشيرًا ويود اتفاق النكدية واليزبكية فسعى لذلك سرًا ووقف بينهم على انهم يكونون مع الشيخ علي العماد زعيم اليزبكية يدًا واحدة مع الامير ضد الشيخ ولكن ظروف الحال ابت ان يتم ذلك حينئذٍ لان المنية انشبت اظفارها في وزير عكاء سليمان باشا سند الامير وركنه الاعظم فخشي الامير فيما يظهر ان يأتي امرًا خطيرًا مثل ذلك حينئذٍ وهو على ريب من عواقبه فاضطر لذلك لملافاة الامور في مجراها وتسكين الاحوال بقدر الامكان حتى يتبين ما عساه ان يكون من امره

مع الوالي الجديد عبدالله باشا الخزنه دار الذي خلف سليمان باشا بعكاء ومن اجل ذلك فانه لما اطلع الشيخ بشير على دخيلة الامر وسعى عند الامير لعزل الشيخ شرف الدين عن القضاء وللضغط على اليزبكية استجاب له وولى القضاء مسلماً من برجا من اقليم الخروب يقال له احمد البزري وضايق اليزبكية حتى فروا الى البقاع ولحق بهم الشيخ حمود والشيخ ناصيف النكديان ولبثوا مدة بين دمشق وانحائها وقد جرت لهم وقعة مع الامير امين ابن الامير بشير اذ ارسله ابوه ليبطش بهم ويقصيهم عن البلاد فبدت منهم بسالة شديدة ومع قلة عددهم كسروا عسكر الامير امين على كثرة عدده وجعلوا يترقبون الفرصة لقهر الامير حتى بدت لهم وذلك بسبب نفرة وقعت بين عبدالله باشا والامير اذ تعذر الامير عن القيام باداء كل ما كان يطلبه منه الباشا من الاموال مما اضطر الامير اخيراً الى اعتزال الولاية ولما احس اليزبكية بذلك طرقوا ابواب عكاء ففتحت لهم وسعوا لدى وزيرها ان تكون الولاية للامير حسن علي والامير سلمان سيد احمد فكان ذلك وارسل الوزير الى الاميرين الشيخ محموداً الدسوقي ليعيدهما الى الاسلام واما الامير بشير فرحل من لبنان ولبث شهراً ونيف حتى مهد له درويش باشا وزير الشام يومئذ سبيل الرضى عنه من عبدالله باشا فاذن له ان يأتي الى جزين من لبنان فدخلها هو والشيخ بشير وكان الوزير قد وعده برده الى الولاية ولكن بعد ان يجمع الاميران اللذان ولاهما الباشا الاموال المطلوبة منهما ويبدو منهما شي ينفتح به السبيل الى خلعهما ولم يلبث الامير بشير ان تظاهر الناس بالميل اليه وعصوا الاميرين فعجزا عن تحصيل الاموال ثم خشي بأسه اليزبكية فالتمسوا سبيلاً

الى استرضائه فجرت مصالحة واتفقت جميع الاحزاب على تولية الامير
واجتمعت جميع القلوب على ولائه فلما احس بذلك وزير عكاء امتلأ قلبه غيظاً
من الامير فبعث اليه يلومه على ذلك وعلى مصالحة الاميرين فاجابه ان
الناس يودون ان يكون هو في خدمة الوزير فان لم يشاء الوزير اعتزل
الخدمة وكان امام الوزير يحب الامير بشيراً فمهد له سبيل الرضى عنه
فآل الامر الى تولية الامير بشير ولكن الاميرين سلمان سيد احمد وحسن
علي كانا يترقبان فرصة لاثارة الفتنة حتى بدت لهما عند جمع الاموال الاميرية
فاثارا عامة الناس في الجهة الجنوبية من لبنان على الامير ورجاله فحدثت
عدة وقائع كان النصر فيها للامير بشير دائماً وكان الامير بشير يترفق
كثيراً بالناس ويمسك رجاله في غالب الاحيان عن الفتك بهم ولا
يبيح المقاتلة الاخشية من ان يغر اعداءه الطمع به ولبث على تلك الحال
حتى مهد له الامر في الجبل من اقصاه الى اقصاه ونزع وزير عكاء ولاية
بلاد جبيل من يد متسلمها وقلدها ابن الامير بشير ولكن لم يطل زمن السكينة
واستقرار البال بالامير لان النفرة وقعت بين درويش باشا وزير دمشق
وبين عبدالله باشا وزير عكا فتحيز الامير لوزير عكا عبد الله باشا وقاسى
بسبب ذلك اهوال حروب كبيرة وكان دائماً مكللاً بالفوز والنصر فازداد
لذلك عند عبدالله باشا رفعة ولكن لما كانت الدولة العلية قد عضدت
درويش باشا لما بدا لها من عبدالله باشا من التعدي عليه وسيرت والي حلب
مصطفى باشا لنجدته واصبح عبدالله باشا مخذولاً اضطر الامير بشير ان يفر
الى مصر حيث اكرمه محمد علي باشا الشهير اكراماً بليغاً وسعى حباً به لدى
الباب العالي لاستحصال العفو عن وزير عكاء كل السعي حتى ناله على حسب

مرغوب به فاعيدت الولاية الى عبد الله باشا بعد ان كان محصوراً بعكاء واما
محمد علي فقد اغتنم من التجاء الامير اليه ان اتخذه صنيعة لينفذ على يده في
المستقبل مقاصد سياسية في الديار الشامية كانت تختلج بصدره لانه آنس
من الامير من شدة الحزم والعزم وصدق الولاء ما زين لعزيز مصر صلاحية
التوكوء عليه في كبار الامور ولذلك ما برح الامير من الديار المصرية حتى
كاشفه محمد علي في شيء من تلك الاغراض ثم وجهه الى الديار الشامية
معززاً مكرماً واصحبه بالسلاح دار من خاصته فلما اقبل الامير على عبد الله
باشا وزير عكاء استقبل بالتجلة والاحتفاء استقبال من عرف قدره وجميله
في استحصال ذلك العفو من الباب العالي عن الوزير وفي مدة غياب الامير
بالديار المصرية كانت ولاية لبنان في يد الامير عباس اسعد وكان الشيخ
بشير متفقاً معه على كيد الامير بشير فلذلك لما عاد الامير بشير فائزاً بمرامه
ودري بذلك الشيخ اضطرب باله وسعى اولاً لاسترضاء الامير عنه ولما ايقن
انه يتعذر عليه العود الى المنزلة التي كانت لهُ عند الامير فرَّ من وجهه
وسعى في استمالة الامير عباس اسعد اليه وغيره من الامراء فوافاه الى راشيا
مع اخيه الامير حسن ثم تبعهما اخوهما الامير منصور ثم الامير حسن
الاسلامبولي واستشفع الشيخ بشير صالح باشا وزير دمشق يومئذٍ لدى عبدالله
باشا في رجوعهم الى مواطنهم آمنين وفي سنة ١٨٢٣ ذهب الامير عباس
الى عكاء بنفسه واسترضى الوزير عنه فرضي ولبث عنده حتى اتفق ان
وفد الامير على الوزير مشيعاً سفيراً قادماً من الاستانة العلية يقال له نجيب
افندي فاصلح الباشا بينه وبين الامير عباس ولما عاد الامير الى بيت
الدين اتى بالامير عباس معه وخلع عليه خلعة دلالة على رضاه عنه واما

الشيخ بشير فبعد ان سعى ليحالف بعضاً من الامراء على الامير بشير
ورای نفسه مخذولاً كتب الى الامير يستأذنه في المثول لديه ببيت
الدين لاسترضاءه عنه فاذن له فمضى ولكن قلبه غير آمن من العواقب
مع ان الامير امنه وخلع عليه خلعة الرضى ووعده بان يعيده الى ما كان
عليه سابقاً من سمو المنزلة عنده واذ بقي الشيخ في ريبة خصوصاً بعد ان
ورد من محمد علي على وزير دمشق امر بطرده عاد فسعى لاستمالة خصوم
الامير اليه وشرع في اثارة ثورة كبيرة فامكنه ذلك وضم تحت لواء تلك
الثورة الامراء الارسلانيين وكثيرين من رؤساء الاحزاب ثم زين
للامراء سيد احمد واخيه الامير فارس والامير حسن اسعد ثم الامير عباس
اسعد ان يكونوا يداً واحدة على الامير بشير فاتحدوا على ذلك وانضم اليهم
الامير فاعور علي واخوه الامير امين والامير حسن الاسلامبولي وبعض
الامراء اللمعيين وكتب الشيخ علي جنبلاط والشيخ علي العماد الى الشيخ
بشير يخبرانه بذلك ويستقدمانه الى البلاد اذ كان قد انتزحها فاجتمع هؤلاء
القوم في المختارة ثم ما لبثت ان دارت رحى الحرب وجرت مواقع شتى بين
الامير واعدائه وكان الامير معضداً من الوزراء ومن عزيز مصر بنفسه
الذي عند ما بلغه امر تلك الحرب قال للامير امين ابن الامير بشير يوم
كان عنده موفداً من ابيه حتى يبلغه ان قد جهز له عشرة الاف مقاتل من
اللبنانيين بحسب رغبته ليحاربوا مع العساكر المصرية بكريد انني ان مست
الحاجة اعدل عن محاربة كريد واملأ لبنان من عساكري وجهز العزيز ستة
الاف مقاتل لمساعدة الامير وما وقفت عن المسير الى الديار الشامية الا
لان الامير اصبح في غنى عنها فان الدوائر دارت على اعدائه ولكن بعد ان

ضايقوه مضايقة شديدة ففرّ الامراء الشهابيون والارسلانيون والمشايخ الى جزين يقصدون الديار الحورانية ولما بلغوا مجدل شمس اختلفوا رأيًا فبعضهم تقدم الى حوران وبعضهم لم يشاء ان يتقدم ولكن لم يجدهم فرارهم نفعًا فقد وقعوا في يد من كانوا يتعقبونهم اما الشيخ علي العماد فكان نصيبه ان قطع بامر وزير دمشق بالسيوف تقطيعًا واما الشيخ بشير والشيخ امين العماد فقتلا خنقًا بعكاء بامر وزيرها بناءً على طلب من الامير معزز بارادة عزيز مصر وبقيت جثتاهما ثلاثةَ ايام معروضين للناظرين واما الامراء الشهابيون سلمان واخوه فارس والامير عباس اسعد فسمل الامير اعينهم وقطع السنتهم واما الشيخ نجم بن علي بن بشير بن نجم فسعى الامير لتخلية سبيله من سجن عكاء وصادره بخمسة وعشرين الف قرش ثم جعل ولده الامير خليلاً على اقاليم جزين واقليم التفاح وجبل الريحان وولده الاخر قاسمًا على العرقوب وجعل الامير بشير ملحم على الشويفات وعهد بامور الامراء اللمعيين الى الامير ملحم والغرب الاسفل عدا الشويفات جعله في يد التلاحقة والشوف في يد الشيخ حمود والشيخ نصيف النكديين واقليم الخروب في يد الشيخ حسين حماده من بعقلين وخلا له الجو واستقام الامر ثم عاد الامير امين من مصر بعد ان مكث بها اكثر من سنة وفي سنة ١٨٢٦ جمع الامير عسكرًا كبيرًا من لبنان لنجدة بيروت ضد السفن اليونانية التي سطت على المدينة ولكن ما لبثت تلك السفن ان اقلعت عنها على اثر احتشاد العساكر فيها فلم تقم سوق الحرب ثم انقضت مدة لم يحدث فيها شيء من الحوادث الحرية بالذكر الا رجوع بعض الامراء الفارين من البلاد خوفًا من الامير وتجاوز الامير عن الانتقام منهم ولما كانت سنة ١٨٣٠ سار الامير وابنه الامير

خليل و بعض من ارباب المناصب في الفي مقاتل من اللبنانيين لفتح قلعة
سانور بنابلس انفاذاً لارادة وزير عكاء فظهرت بمحاصرة تلك القلعة بسالة
الامير ورجاله ولا سيما الشيخ نصيف النكدي وعلى يدهم اخذت تلك
القلعة فعاد الامير بجماعته الى بيت الدين فائزاً منصوراً وفي السنة التالية
سنة ١٨٣١ استعاد الامير باقي الذين انتزحوا لبنان الى مواطنهم فعادوا آمنين
ومالت نفس الامير الى السكينة ولكن كتب لهذا الرجل الكبير ان يظل
دائماً في ساحة القتال فانه في خلال تلك السنة قدم ابرهيم باشا ابن محمد
علي باشا من مصر الى الديار الشامية لانفاذ مقاصد ابيه التي كاشف فيها ابوه
الامير بشيراً ايام كان هذا الامير بمصر كما تقدم ذكر ذلك فيما مضى
فتعمد ابرهيم باشا ان يحاصر بجيوشه عكاء فطلب عبد الله باشا من الامير ان
ينجده برجاله وكذلك ابرهيم باشا فانه سأل الامير النجدة فرأى الامير ان
ينصاع في اخر الامر لارادة ابن عزيز مصر فوافاه بماية فارس الى صحراء
عكاء فاكرمه ابرهيم باشا ووسع في نطاق سلطته بناء على ارادة ابيه محمد علي
وكان الامير مساعداً لابرهيم باشا في غالب حروبه في الديار السورية
ولكن اللبنانيين كانوا حينئذٍ حزبين منهم من تحيز للدولة العلية وقد
انضم اليهم بعض الامراء ومنهم من تحيز لابرهيم باشا تبعاً للامير
وكان الامير خليل ابن الامير بشير ينجد العساكر المصرية في
غالب المواقع وقد سأل ابرهيم باشا من الامير ان يجمع له من الدروز الف
وستماية جندي من شبان الدروز ليكونوا في سلك العساكر المصرية المنظمة
فتعذر ذلك في اول الامر ثم استحصل بالعنف وقد امتد ابرهيم باشا في
حروبه الى حوران مع الدروز فيها وقد انضمت اليهم العربان وكانت تنجدهم

دروز وادي التيم ولبنان على علم من الامير ولم يتصدَّ لمنعهم وكان مقدام هولاء رجل مشهور يقال له شبلي العريان اظهر بسالة في المواقع عظيمة ولم يظفر ابرهيم باشا به الا بعد ان الحق العريان بعساكره خسارة كبيرة وبالجملة فان المدة التي قضاها ابرهيم باشا في الديار الشامية قضاها في المحاربة وكان الامير مساعداً له حتى بلغ ابرهيم باشا ايقونية وعقد الصلح هناك وبعد ان عاد منها حتى سنة ١٨٤٠ حين اتفقت بعض الدول الاوربية مع الدولة العلية على استخلاص الديار الشامية من يد محمد علي وكان الامير قد نال في خلال تلك المدة من محمد علي بواسطة الرجل الفرنساوي الشهير كلوط بك الذي استقدمه محمد علي الى مصر وجعله رئيساً للقصر العيني بها ان يكون بعض من الطلبة اللبنانيين في جملة طلبة الطب في القصر العيني فارسل لذلك ثلثة من الطائفة المارونية ومملوكه سليماً الى تلك المدرسة واستمرت عادة ارسال الطلبة اللبنانيين زمناً طويلاً ولم تنقطع الا في ايام المغفور له توفيق باشا من خلفاء محمد علي

ثم لما كانت تلك السنة المتقدم ذكرها سنة ١٨٤٠ وكان سلطان العثمانيين يومئذ ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان الغازي اتفق معه ملك النمسا ملك المسكوب وملكة الانكليز وملك المانيا على استخلاص سورية من يد محمد علي فاشيع في لبنان بعدئذ ان محمد علي عامد على ادخال المسيحيين في سلك العسكر النظامي المصري فمالوا الى العصيان على ابرهيم باشا واتحدوا مع الدروز عليه واخذوا يسطون على عساكره كلما سنحت لهم السانحة وتولى قيادة تلك الثورة على العساكر المصرية بعض من اللبنانيين مثل الشيخ فرنسيس ابي نادر الخازن الغسطاوي وابي سمرا غانم البكاسيني واحمد داغر المتوالي ولكن

الامير سعى الى تسكين الثورة على يد بعض الامراء الذين استسفرهم لاقناع
الثائرين بالعدول عن مسلكهم فسلك الامراء في الظاهر على حسب رغبة
الامير ولكن في الباطن كانوا ينفخون في نيران الثورة ثم انضموا الى الثائرين
وجعلت الافرنج القادمة لاستخلاص البلاد من يد محمد علي تشدد عزائمهم
وتمدهم ببعض من الذخيرة فاستفحل امرهم وكبر عددهم وجرت بينهم وبين
العساكر المصرية والامير واعوانه عدة مواقع ولكن افضى امرهم الى الفشل
والانخذال فتبدد شملهم وتفرقوا في البلاد ومنهم من لاذ بامان الامير فامّنه
وجمع السلاح من البلاد وكان الامير خليل هو القائم بنفسه بجمعه من
كسروان وشدد عليهم في ذلك كثيراً وقد قيد عدد من خاصة اللبنانيين
وعامتهم وسيقوا اسرى الى مصر فنفاهم محمد علي الى سنار وكان في خلال تلك
الحوادث قد قدم من الاستانة ريجارد وود الانكليزي مفوضاً اليه تدبير
تلك الامور لانه كان عارفاً لاحوال البلاد واللغة العربية فاشار على الثائرين
الذين كانوا مجتمعين في ضواحي بيروت ان يرفعوا عرائض الى الدولة العثمانية
والى سفراء الدولة النمساوية والفرنساوية والانكليزية ملتمسين انقاذهم من
يد الحكومة المصرية ففعلوا ودفعوها اليه فبعث بها الى الاستانة ثم قدم الاميرال
نيبر الانكليزي بخمسة سفن الى بيروت وارسل يبشر اللبنانيين بقدوم
الاسطول العثماني معززاً باساطيل نمساوية وانكليزية وروسية والمانية لنزع
السلطة المصرية عن الديار السورية فلما احس بذلك الامير ارسل ينهى
اهل البلاد عن مخالطة الافرنج ويتهدد من خالف منهم بالقتل فوقع منشور
نهيه هذا في يد رجل انكليزي فدفعه الرجل الى رئيس الاسطول الانكليزي
والرئيس بعث به الى الحكومة الانكليزية ثم ظهرت الاساطيل الموعود بها

قبالة الدامور وكانت تبلغ اربعين سفينة بين كبيرة وصغيرة وكان فيها من
الجنود العثمانية خمسة الاف وخمس مئة جندي ومن الجنود الافرنجية نحو
الفين فتشددت عند ذلك عزائم الثائرين ثم اطلق بعض السفن المدافع
على بيروت وخرج سرعسكر الجنود العثمانية سليم باشا بالجنود مع الامراء
الافرنج الى ضواحي جونية وخيموا عند شير الباطية هناك ثم شرع في توزيع
السلاح على الثائرين وحرضوا على قتال العساكر المصرية ثم ارسل السرعسكر
الى الامير بشير بلاغاً يقول له فيه اذا ابديت الطاعة للدولة العلية في مدى
ثمانية ايام ابقتك الدولة والياً كما كنت وكانت الولاية لك ولذريتك من
بعدك والا فلا يقبل منك طاعة بعد انقضاء ذلك الاجل فاجاب الامير
انه يتعذر عليه ذلك ما دام اولاده وحفدته مقيدين في سلك العساكر
المصرية وربما كان الامير مغروراً بان الفرنساويين ربما يجيئون لنصرة عزيز
مصر فحدثت بعد ذلك مواقع شتى وقد انتصر ابرهيم باشا في وقعة في
كسروان والفتوح انتصاراً خافت منه الجنود العثمانية حتى انها كادت تلتمس
الفرار الى البحر ولما انقضى الاجل المضروب للامير بشير ان يبدي الطاعة
فيه استقدم السرعسكر العثماني الامير بشير ملحم واستمرت نيران الحرب
مستعرة بين ابرهيم باشا واعوانه من اللبنانيين وبين عساكر الدولة واعوانها
من هؤلاء ايضاً وكانت الدوائر دائرة على الفريق الاول منهما واما الامير
بشير الكبير فلما راى ذلك الفشل والانهزام بعث الى حفدته المحافظين في
قرى المتن وكسروان ان يحضروا الى بيت الدين مسرعين وذلك لانه وطن
نفسه على التسليم الى الدولة العلية بصيدا فشخص الامير اليها باولاده الثلثة
وزوجه وحفيده الامير سعد وكان المتسلم في تلك المدينة يومئذٍ خالد باشا

فاكرمه الباشا وبعد ايام اقلعت به السفينة الى مالطة التي اختار المقام بها
عند ما خيره السرعسكر العثماني بين سائر البلدان ما عدا فرنسا وسوريا
ومصر ٠ وقد وافى الامير الى صيدا بعض من استقدمهم اليه فكان معه في
السفينة زوجة واولاده وزوج ولده الامير قاسم وحفدته الخمسة اولاد الامير
خليل وحفيده الامير رشيد قاسم ومدبره بطرس كرامه وسبعون رجلاً من
خدمه وخزينته وقدرها ثمانية عشر الف كيس من النقود الذهبية القديمة
واشياؤه الثمينة ثم تبعه الى مالطة حفيده الامير مجيد قاسم الذي بعد ان فرّ
من بين العساكر المصرية ووقع في يد العساكر العثمانية سيره الوزير العثماني
من بيروت اليها بعد ان طيب نفسه وبعد ان اقام الامير بشير الكبير احد
عشر شهراً بمالطة انتقل الى الاستانة العلية وزار الكبراء والعظماء وكان
مكرماً منهم واعدت لسكنه دار بارناوط كوي وفي اواخر سنة ١٨٥٠ توفي
الامير في قاضي كوي واما آثار الامير بشير عمر في لبنان فكثيرة تدل على
كلفه بارتقاء اسباب الحضارة والعمران فمنها قنطرة لنهر الكلب شرع في
بنائها سنة ١٨٠٣ فاجترفتها المياه قبل الانجاز ثم عاد فبناها سنة ١٨٠٩٠
وقنطرة لنهر الصفا عند عين زحلته وجر المياه من نبع القاع عند عين زحلتا
الى بيت الدين بقناة استغرقت من النفقة مايتي الف قرش واصلح درج نهر
الكلب ورصيف المعاملتين وطريق دير القمر وبنى قناطر لنهر الدامور انفق
في بنائها مئة الف قرش وانجزه في شهرين اذ شغل به مئتين وخمسين بانياً
وله عدة مبان في بيت الدين ولو صفت له الايام من كدر الحروب والقتال
لاتى اعمالاً كبيرة ومن قفا اثر سيره في الولاية من اوله الى اخره وجد انه
كان بعد اقرار مهابته في النفوس ساعياً لجمع الكلمة وتأليف القلوب موفقاً ان

ذلك انما هو السبيل الوحيد الى الارتقاء في مدارج العمران واما خلفه الامير بشير ملحم فمنذ ان تولى الامر عام ١٨٤١ عام دارت الدوائر على العساكر المصرية وخرجت السلطة من يد الحكومة المصرية في الديار الشامية وعادت الى غمدها العثماني حتى انقضت ولايته وصار الامر في الجبل الى عمر باشا النمساوي العثماني وذلك سنة ١٨٤٢ ؛ سلك في الولاية سبيلاً افضى الى شقاق بين طوائف لبنان ثم الى فتن استحكمت بها الاحقاد والعداوات بين الدروز والنصارى بما لا نستطيع ان نبيح لقلمنا الخوض في مجاله ولا لنفسنا ان تحدث بنفسها في استيعاب تفصيله لنثبته في تاريخ محفوظ يتداول بين ايدي ابناء لبنان وانما نشير الى ذلك من طرف خفي حتى لا يجيء تاريخنا فاقداً الحلقة من الحلقات الكبرى من سلسلة الحوادث فنقول لذلك ان الفتنة الاولى التي حدثت بين الدروز والنصارى انما هي التي حدثت ايام حكم هذا الامير كان الشر فيها من شرارة مانها الامير بالوقود بدلاً من ان يعالج اطفاءها كانت علة هذه الفتنة حجلاً اصطاده احد ابناء دير القمر المسيحيين في ضواحي بعقلين فاعترضه واحد من ابناء بعقلين من الدروز فتشاجرا ثم اتسع الخرق بالاستصراخ كلٌّ استصرخ ذويه ووقع القتل واستفحل حتى شمل القسم الجنوبي من الجبل وتناول جانباً من الشمال كل ذلك وقع في ايام الامير بشير ملحم الذي نقمت عليه ارباب المناصب الولاية ونهجه فيها لانه كان يزدري بهم ويهتضم حقوقهم وكثيراً ما صادرهم باموالهم ثم اعطاها لذوي قرباه وبعد ان وقع ما وقع من تلك الفتنة مما افضى الى ان الدولة العلية بعثت بالسرعسكر مصطفى باشا النوري لتدبير الامور اللبنانية استحضر هذا الوزير الامير بشير ملحم اليه وبعث به الى

الاستانة العلية ثم اقام على الجبل والياً يقال له عمر باشا النمساوي وسيره بعسكر الى بيت الدين وكان هذا في سنة ١٨٤٢ فاتخذ هذا الباشا بيت الدين مقرًا لولايته واتخذ له مدبرين الشيخ خطار العماد والشيخ منصور الدحداح وولى الشيخ فرنسيس ابي نادر الخازن على كسروان والشيخ ظاهر منصور الدحداح على الفتوح وعلى بلاد جبيل والبترون والكورة الفوقية ثلاثة من المشايخ الحمادية ثم القى القبض على الامير احمد الارسلاني والشيخ نعمان جنبلاط والشيخ نصيف ابي نكد والشيخ حسين تلحوق والشيخ يوسف عبد الملك ثم على الشيخ خطار العماد و بعث بهم الى مصطفى باشا في بيروت فجعلهم مصطفى باشا في محجر واما الشيخ حمود النكدي وقد فرَّ من كفرمتى الى بيروت واستجار باغا الارناووط فكفله هذا الاغا فاستاءت الدروز من عمر باشا ومال بعضهم الى الذين كانوا ساعين لاسترجاع الولاية للامراء الشهابيين وجعلت تتعاظم نفرة الدروز من عمر باشا واتفقوا مع الامير اسعد قعدان على ان يكونوا معه يداً واحدة لقتال عمر باشا على ان تكون الولاية للامير ثم تداولوا مع النصارى في ذلك وكان قد حصلت موقعة بين النصارى اهل جبة بشري و بين العسكر العثماني مما مهد في نفوس الدروز سبيل الخروج على عمر باشا فافضت المداولة الى ان النصارى سألوا الدروز ميثاقاً مكتوباً في رجوع الولاية الى الامراء الشهابيين فكتبوا لهم الميثاق على ان يكون احد الامراء اللمعيين معيناً مع الوالي وان يكون عند الوالي اربعة مدبرين شيخان من الدروز وشيخان من النصارى ولم تلبث ان شبت نيران الحرب بين عمر باشا و بينهم وكان عمر باشا قد جعل على عسكره اثنين من النصارى مشهورين بالبسالة وهما ابو

سمرا البكاسيني والشنتيري من بكفيا فجرت عدة مواقع كان غالب النصر فيها للباشا وفي خلال ذلك كان عزت باشا قد عزل من الولاية وجاء الى بيروت بدلاً منه اسعد باشا فارسل اسعد باشا الى بطريرك الموارنة يستشيره في امر الولاية بلبنان ويسأله من يصلح لها من الامراء اللمعيين فاشار عليه بان يكون الامير حيدر اسمعيل اللمعي فولاه الوزير قائمقاماً على النصارى من نهر ابرهيم الى نهاية المقاطعات الجنوبية وولى على بلاد جبيل وتوابعها قائمقاماً مسلماً وعلى الدروز الامير احمد عباس الارسلاني واما دير القمر فجعل عليها متسلم كما ذكر ذلك في ولاية الامراء اللمعيين



زبيب من ذبح الذي في الاوضا

// بشاره بربور	٢	٧٠	١٤٠	٢١١
// خدوله بارد	٥	٧٠	٣٥٠	
// بشاره بربور	٦	٧٠	٤٢٠	٤٠٠
// بشاره بربور	٦	٧٠	٤٢٠	٢٩١
// خليل راضي	٢	٧٠	١٤٠	
// خليل راضي	٤	٧٠	٢٨٠	٣١٠
// بنت بشاره بربور	١٩ وقية ٩	٧٠	١٣٣٧	

٢٥
٧٠
١٨٤٠

خليل راضي واخوه	٨	٧٠	٥٦٠	باقي
بنت بشاره بربور	٢ وقية ٥	٧٠	١٩٩٢٥	وصل منهم ١٧٢
// بنت بشاره بربور	٢ وقية ٥	٧	١٤٠	١٤٠٢
// بنت بشاره بربور	١	١١	ورق حجب ٢٢٤	١٥٦
// نور راضي	١		٧٠	
// نور راضي	٩٢ وقية	١		
// خليل جدل				

٤
باقي عنده ٢٥
واصل

// خدوله بارد	٦ وقية	٧٠	٢٨٥	باقي عنده ١٣٥
// نصور راضي	٩	١		
// خليل راضي	٦	٢		
// خليل راضي		٢		باقي عنده
// الكنيسة غرطلة		٢	١٩٥ سلم	١٥٠
// انسيم لنغاني				
ابنه بشاره	١	٨ وقية		

فهرس

١٦ ١/٤

مرهشم	١٥
ديب نجار	١٥
الشيخ الكارجي	١٠
عارف كنعان ٧ عرش وانا نقود ابلك ٢	٠١٠
سعيد حنا زنا عنف ابلك	٠١٠
عفيف ابلك عند خد	٠٠
	٤٦

٤٠٠	وديع كنعان
٢٠٠	الشيخ الكارجي
٢٠٠	نجيب كنعان
١٢٥	عارف كنعان
١٠٠	حنا سعيد اللقيس
٠٢٥	ضيف ا/ خليل كنعان
٠٥٠	سكر ليمون وبطاطس
٠٢٠	أجرة عربية
١٥٠	رسم سيخية
٠٧٥	عربيات
١٥٤٠	

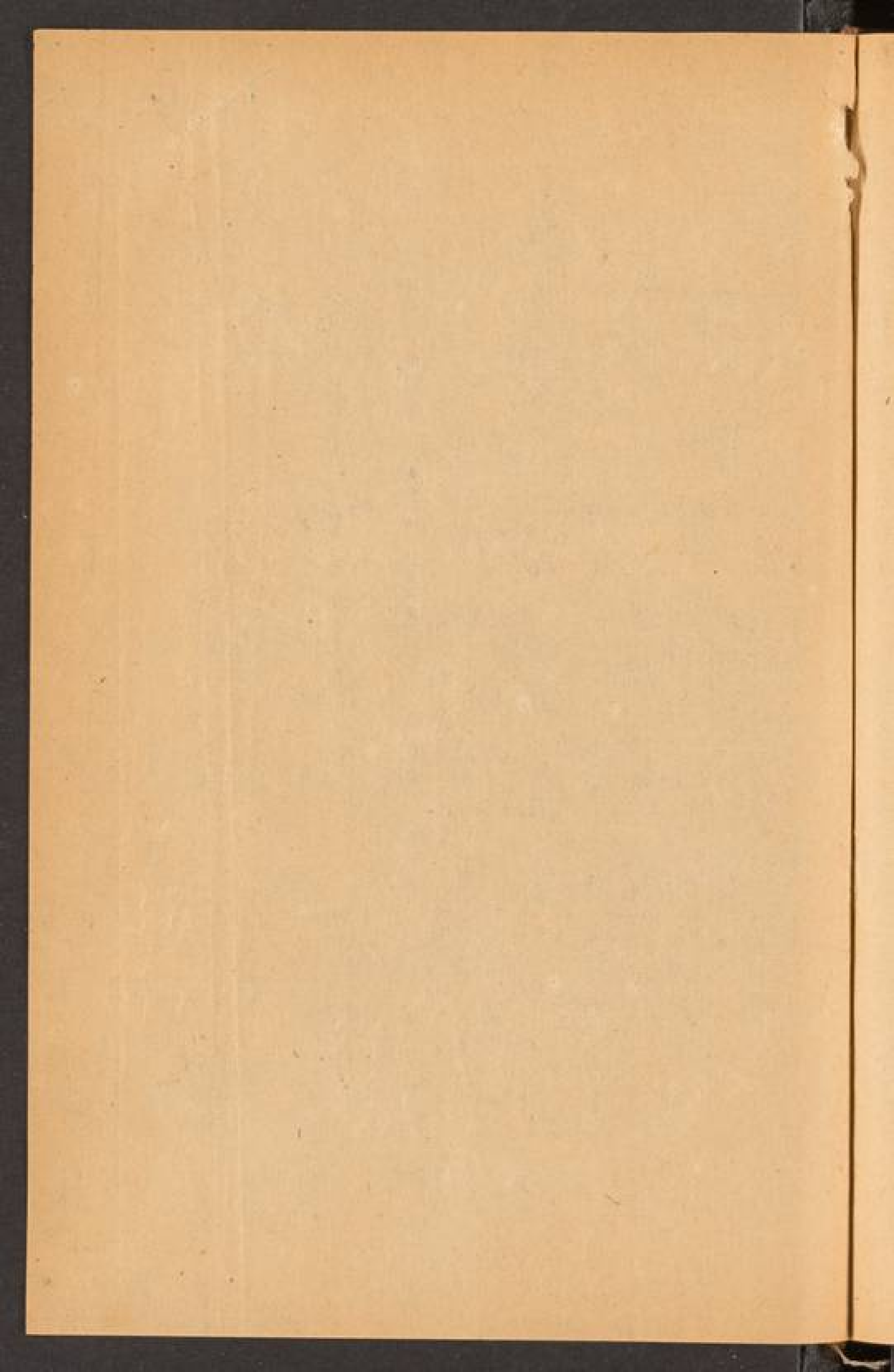
١٥

١٢

٢

موجود

٢



جمع خفته // بشاره بن بور صحه سعر × ٨٠
٤ ٧٠

٨٠ ٧٠ ٤

× اسكندر فرح الله

// سعيد طبيق ٥ ٧٠ ٩١٠

× بشاره بن بور ٥ ٧٠ ٢٥٠

٢٨٠ // حسن راغب ٤ ٧٠ ١٢٦٠

٢٢
٧٠
١٥٤٠

١٥٥ نصرى رضا ٥٠٠ و ٥٠ ٥٥٥

١٩٠ عمى [illegible] ٤٠٠ و عدى ٥٠ و فرسك [illegible]

٢٢٥ // شاكر [illegible] ٢٢٥

٢٥ // يوسف كنفانى ربع

٢٠٠ // نسيم لنجات ورفاعى

١٠ قواد احمد فرسك [illegible]

فؤاد حمر

١٥٥
١٢٥
٢٧٥ - ٢٤٥٠

٩٠

٥٫٧١



